مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد السادس

سورة النساء الآيات من ٦٦ إلى ١٧٦

مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفاً لوالديه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨-٨٣٩٧-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٥٤-٨٣٩٧-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد السادس

سورة النساء الآيات من ٦٦ إلى ١٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٧٠][(١)].

يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أُمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه؛ لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه ـ تبارك وتعالى ـ بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾.

قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثني إسحاق، حدثنا أبو زهير عن إسماعيل، عن أبي إسحاق السبيعي، قال: لما نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية، قال رجل: لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا. فبلغ ذلك

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ١١ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ و١٤ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ و١٨ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ.

النبيَّ ﷺ فقال: «**إن من أمتي لرجالًا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي**»(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن منير، حدثنا روح، حدثنا هشام، عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ الآية. قال أناس من أصحاب النبي ﷺ لو فعل ربنا لفعلنا، فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لَلإيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا استثناء منه سبحانه، قال: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ الذين هم أهل الإيمان الكامل وأهل البصيرة الكاملة يؤثرون أوامر الله على أهواء أنفسهم، ولهذا قال بعضهم: لو كتب علينا لفعلنا، وما ذلك إلا لعظم الإيمان والثبات وكماله في قلوبهم، ولكن أكثر الخلق ليسوا كذلك، أكثر الخلق ليسوا كذلك ما بين كافر وبين ضعيف الإيمان، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال السدي: افتخر ثابت بن قيس بن شَمَّاس ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنا. فقال ثابت: والله لو كتب علينا: ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ لقتلنا. فأنزل الله هذه الآية. رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمود بن غَيْلان، حدثنا بشر بن السَّرِي، حدثنا مصعب بن ثابت، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: لما نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، والله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت، قال: «**صدقت يا أبا بكر**».

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ١٦٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر ولهذا قال: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم أهل الإيمان الصحيح الصادق، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي عمر العَدَنيّ قال: سئل سفيان عن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم**».

وحدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن شُرَيْح بن عُبَيْد[1] قال: لما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية، أشار رسول الله ﷺ بيده إلى عبد الله بن رَواحة، فقال: «**لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل**»، يعني: ابن رواحة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن أكثر الخلق ما ينفذ ما يخالف هواه أو نفسه الأمارة بالسوء، أكثر الخلق تبع هواه، وليس عنده القوة على تنفيذ ما فيه المشقة، كقتل النفس، والخروج من البلد من وطنه، لكن أهل الإيمان الصادقون أقوياء الإيمان ينفذون كل شيء حتى قتل النفس كما جرى لليهود، من قوي الإيمان في قلبه نفذ ما وافق هواه وما خالف هواه؛

---

(١) قال سماحة الشيخ وهذا مرسل أيضًا لأن شريح بن عبيد تابعي، وذكر الأول ابن مسعود وهنا شريح بن عبيد لا شك إن عبد الله بن رواحة وعبد الله بن مسعود من أعيان الصحابة حريُّون بهذا الاستثناء وأنهم من هؤلاء المستثنين.

لأن طاعة ربه مقدَّمة عنده على كل شيء، والإيمان في قلوبهم مثل ما في الأثر فالإيمان كالجبال الرواسي، الناس في إيمانهم طبقات كثيرة، والله المستعان، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وهكذا أهل الإيمان فضل بعضهم على بعض، ليسوا على حد سواء.

مداخلة: الإيمان يشارك في الأعمال؟

الشيخ: ما يصلح عمل بلا إيمان، لا بد من الإيمان، إيمان القلوب هو الأساس، نعم، أصل الإيمان هو الأساس، لكن الإيمان يتفاوت، بعضه أقوى من بعض؛ ولهذا أعمال المنافقين باطلة، فهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأن أعمالهم صدرت عن غير إيمان، عن رياء وعن مخادعة نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به، وتركوا ما ينهون عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ أي: من مخالفة الأمر وارتكاب النهي ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ قال السدي: أي: وأشد تصديقًا.

﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾؛ أي: من عندنا، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾، يعني: الجنة. ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾؛ أي: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله ﷻ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصدِّيقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه دلالة أن العبد إذا تحرَّى فعل الأوامر وترك النواهي وانتفع بموعظة الله وتذكير الله فإن الله، يزيده ثباتًا وتوفيقًا وهدايةً وعلمًا نافعًا؛ بسبب عمله الصالح وبسبب مسارعته للخيرات، بسبب انتفاعه بتذكير الله وعظته، فكلما زاد العبد في الاتعاظ والتذكر والعمل زاده الله خيرًا، زاده الله هدًى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، فكلما كان إقبال العبد على الله أكثر وامتثاله أكمل صارت الهداية أكثر وأكمل، وتوفيق القلوب وتثبيتها.

● **س: هل إذا أكل الحرام هل هو يقسي القلب؟**

○ **الجواب**: لا شك، أكل الحرام من أسباب قسوة القلوب، وهكذا الغافل عن الله، وهكذا صحبة الأشرار، كلها من أسباب قسوة القلوب ومرضها، نسأل الله العافية.

الشيخ: ولا شك أن آكل الحرام شره عظيم، نسأل الله.. يجعلنا وإياكم في عافية.

مداخلة: الترتيب في الآية بحسب الأفضلية الصدِّيقين ثم الشهداء ثم الصالحين؟

○ **الجواب**: نعم، هم على هذه المراتب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله بن حَوْشَب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عُرْوَة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**». وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**»

فعلمت أنه خُيِّر[١]. وكذا رواه مسلم من حديث شعبة، عن سعد بن إبراهيم به.

وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الآخر: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»[٢] ثلاثًا ثم قضى، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة:

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القُمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبيِّ ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ: «**يا فلان، ما لي أراك محزونًا؟**» قال: يا نبيَّ الله شيء فكرت فيه؟ قال: «**ما هو؟**» قال: نحن نغدو عليك ونروح، ننظر إلى وجهك ونجالسك، وغدًا تُرفع مع النبيِّين فلا نصل إليك. فلم يرد النبي ﷺ عليه شيئًا، فأتاه جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ فبعث النبي ﷺ فبشَّره.

وقد روي هذا الأثر مرسلًا عن مسروق، وعكرمة، وعامر الشَّعْبي، وقتادة، وعن الربيع بن أنس، وهو من أحسنها سندًا.

قال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية، قال: إن أصحاب النبي ﷺ قالوا: قد علمنا أن النبي ﷺ له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدَّقه، وكيف لهم إذا

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ برقم (٤٥٨٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة برقم (٢٤٤٤).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ برقم (٤٤٣٧)، ومسلم في الباب السابق برقم (٢٤٤٤).

اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضًا؟ فأنزل الله في ذلك ـ يعني هذه الآية ـ فقال: يعني رسول الله ﷺ: «**إن الأعْلَيْنَ ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها، فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويثنون عليه، وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهُون وما يدعون به، فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه**».

وقد روي مرفوعًا من وجه آخر، فقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد، حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك. فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾، وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه: «صفة الجنة»، من طريق الطبراني، عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال، عن عبد الله بن عمران العابدي، به. ثم قال: لا أرى بإسناده بأسًا، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه بشارة لأهل الإيمان أن الله ﷻ يجمعهم بأنبيائهم والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، أهل الجنة لهم اجتماعات يرى بعضهم بعضًا، ويسر بعضهم ببعض، ويتحدث بعضهم مع بعض، فمن دخل الجنة نال كل مطلوب ونال كل خير، فلهم فيها ما يشاءون ولهم فيها ما يطلبون من اللقاء والاجتماع وأنواع النعيم وأنواع اللذات،

كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٨]. هم يتقابلون، ويرى بعضهم بعضًا، ويسر بعضهم ببعض، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، يعني: ما تطلبون. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧]، ومن ما يطلبون: اللقاء بإخوانهم وبالأنبياء والصالحين، ويسر بعضهم بعضًا ويأنس بعضهم ببعض، ويتحدث بعضهم إلى بعض. وهذا من جملة النعيم.

مداخلة: أحسن الله إليك. صحة الأثر.

الشيخ: هذه يشهد بعضها لبعض، لكن نص القرآن كاف.

مداخلة: عندنا: وإن الجنة. . . . . وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك؟

الشيخ: من دون إن؟

مداخلة: وإن.

الشيخ: حط نسخة أقول: حط نسخة، ما يخالف.

مداخلة: نعم.

الشيخ: يعني ما يجزم، ما يجزم لنفسه، ما يستطيع يجزم.

مداخلة: بعض.

الشيخ: ما يستطيع الإنسان يجزم لنفسه.

مداخلة: ما يكون الإنسان إلا يكون عمله قاصر ويصير له مصيبة فيصبر عليها. . . . . منازل؟

الشيخ: على كل حال، هم درجات، عند ربهم لكن لهم لقاءات، لهم لقاءات بمن هو أعلى منهم .الله المستعان.

مداخلة: كثرة اللقاء ـ عفا الله عنك ـ مع النبي عليه السلام على حسب العمل؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الاجتماع مع النبي عليه الصلاة والسلام على حسب العمل الصالح في الدنيا؟

الشيخ: كل نعيم على حسب الأعمال الصالحة، كل درجاتهم في الجنة ونعيمهم في الجنة على حسب أعمالهم في الدنيا..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن مردويه أيضًا: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا أبو بكر بن ثابت بن عباس المصري، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عامر الشعبي، عن ابن عباس، أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لأحبك حتى إني لأذكرك في المنزل فيشق ذلك علي وأحب أن أكون معك في الدرجة. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾، وقد رواه ابن جرير، عن ابن حُمَيْد، عن جرير، عن عطاء، عن الشعبي، مرسلًا.

وثبت في صحيح مسلم من حديث هقل بن زياد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «**سَلْ**». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «**أَوَغَيْرَ ذَلِكَ**». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه برقم (٤٨٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كأمثاله من الأحاديث الدالة على فضل الاستقامة، والآية الكريمة واضحة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، فلو صح هذا معناه يعني مع مراعاة بقية الأمور، ولكن سنده فيه ابن لهيعة، لكن لو صح فالمراد يعني: مع مراعاة بقية الواجبات وترك المحارم، كما في النصوص الأخرى في فضل التوحيد وفضل صيام رمضان وفضل بر الوالدين كلها مع مراعاة الواجبات الأخرى وترك المحارم. يعني: النصوص يفسر بعضها بعضًا ويشرح بعضها بعضًا، فإذا جاء فضل عمل من الأعمال من صوم وصلاة أو صدقة أو غير ذلك لا بد من مراعاة البقية، بقية ما أوجب الله وترك ما حرم الله، مثل ما قال عليه الصلاة والسلام: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»[١].

في حديث فضل الوضوء لما ذكر الوضوء: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٢].

وفي اللفظ الآخر: «**مَا لَمْ تُصَبُ الْمَقْتَلَةُ**»[٣]، يعني: الكبيرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرنا ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن عيسى بن طلحة، عن عمرو بن مُرَّةَ الجُهَنِيّ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ**

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٧٨) (٥/ ٢٤٧).
(٢) سبق تخريجه في (٥/ ٢٠٠).
(٣) سبق تخريجه في (٥/ ٢٤٧).

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ هَكَذَا وَنَصَبَ إِصْبَعَيْهِ ـ مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يدل على أن كثرة الصلاة من أسباب اللقاء بالنبي ﷺ والاجتماع به في دار النعيم. في رواية أحمد: أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي. قَالَ لِي: «**إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[٢]، فكثرة الصلاة في أوقات العبادة. . . . . كالضحى والليل من أعظم أسباب اللقاء بنبي الله ﷺ ودخول دار الكرامة.

الأسئلة:

● **س: إذا كان مع الإنسان الوقت نحو نصف ساعة ليصلي، هل الأولى أن يصلي ركعتين طويلتين أو أن يكثر السجود والركوع ويخفف الصلاة؟**

○ **الجواب**: ظاهر الحديث الإكثار أكثر مع الركوع، مع الطمأنينة.

مداخلة: حتى وإن كان في صلاة الليل؟

الشيخ: الظاهر هو هذا، لكن لا يزيد على إحدى عشر وثلاثة عشر أفضل ما يكون ثلاثة عشر، إحدى عشر، وإذا تيسر له الخشوع والتأمل، لا بد من الطمأنينة والخشوع، النبي ﷺ فعل هذا وهذا، فعل هذا طوّل في بعض الليالي، وفي بعض الليالي لم يطوّل، صلى معه حذيفة ذات ليلة قرأ بالبقرة والنساء وآل عمران، ﷺ. وكان يطوّل في السجود قريبًا من ذلك وفي الركوع، ولكن في غالب الليالي يصلي إحدى عشر، ثلاثة عشر من غير إطالة، ﷺ.

مداخلة: أحسن الله إليك! الركعتين الخفيفتين اللتين. .

---

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني بإسنادين، ورجال أحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح (ص٢٧٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/٥٩).

الشيخ: هذه، مفتاح الصلاة ركعتان خفيفتان.

مداخلة: تحسب من إحدى عشر ركعة؟

الشيخ: لا.

مداخلة: ما تحسب.

الشيخ: ولهذا قالت عائشة: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ. فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»[(١)]، يعني: غير الثنتين، غير مفتاح الصلاة.

الأعمال الصالحة سبب لشفاعة النبي ﷺ:

• س: أحسن الله إليك! كونه يسأل النبي عليه الصلاة والسلام سؤاله مرافقته في الجنة مع العلم أن دخول الجنة إلى الله ﷻ، ليس إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

○ **الجواب**: يسأل عن الأسباب.

الشيخ: أسباب مرافقته. ولهذا قال: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ**»، وفي اللفظ الآخر: «**أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي**»، المقصود: الشفاعة..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم، حدثنا ابن لهيعة، عن زَبَّان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب قيام الليل في رمضان وغيره برقم (١١٤٧)، ومسلم في كتاب صلاة الليل، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ... برقم (٧٣٨).

رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُتِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى**»(١).

وروى الترمذي من طريق سفيان الثوري، عن أبي حمزة، عن الحسن البصري، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**»(٢)، ثم قال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو حمزة اسمه عبد الله بن جابر شيخ بصري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصدوق الأمين يعني: الذي يتعاطى التجارة مع الصدق والأمانة والنصح، وعدم الغش والخيانة، مع النبيين والصديقين والشهداء، وهذا فيه الحث على الصدق في المعاملات، وأداء الأمانات في المعاملات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما، من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «**المرء مع من أحب**» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث.

وفي رواية عن أنس أنه قال: إني أحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرجو أن الله يبعثني الله معهم وإن لم أعمل كعملهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا لا شك أنها بشارة عظيمة، فإن كل مؤمن يحب الله ورسوله ويحب السلف الصالح، لكن الشأن في تحقيق هذه المحبة، هل تكون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار برقم (١٢٠٩) وحسنه.

دعوى أو حقيقة، فإن كانت حقيقة جد في العمل ونصح في العمل، أما الدعاوى ما تجدي على أهلها شيئًا، ما تغني شيئًا، (لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم)، فالصادق في المحبة ينصح في العمل ويجتهد في العمل فيما يرضي المحبوب وبما جاء به المحبوبه وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام، هذا هو الصادق، ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فلا بد من الصدق.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ. قوله: (من قرأ آية في سبيل الله) يعني وهو يجاهد أو في بيته؟

الشيخ: في طاعة الله، لكنه ضعيف.

القاعدة والثابت مثل ما سمعتم في الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾، هو الأساس، المهم هو طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله، وأخبار الفضائل وأحاديث الفضائل تقيَّد بالنصوص الأخرى..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام مالك بن أنس، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لِتَفَاضُلِ ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى**، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ولفظه لمسلم.

ورواه الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا فزارة، أخبرني فُلَيْح، عن هلال ـ يعني ابن علي ـ عن عطاء، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون** ـ أو تَرون ـ **الكوكب**

الدري الغارب في الأفق والطالع في تفاضل الدرجات». قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: «**بلى، والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**».

قال الحافظ الضياء المقدسي: هذا الحديث على شرط البخاري والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على التفاضل العظيم، وأنهم يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءى الناس الكوكب الدري الغابر في الأفق الشرق أو الغرب لتفاضل ما بينهم من المنازل في الأعمال الصالحات، والتقوى لله عَزَّوَجَلَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»(١).

يعني: هذه المنازل تكون للأنبياء ولغيرهم من الأخيار والأتقياء والمؤمنين الذي صدقوا الله وتابعوا رسله. فالمنازل متفاوتة في الدرجات ومع ذلك كل واحد منهم في نعمة لا يرى أن غيره فيها، ليس هناك حزن ولا مشقة ولا كدر، ولا، كل في نعيمه راضٍ بنعيمه، قد قرَّت عينه واستقام أمره، ما يرى أن هناك من هو أفضل منه في النعيم، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ برقم (٣٢٥٦)، ومسلم في كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء برقم (٢٨٣١)

هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٧]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧]. فهي دار نعيم ليس فيها أكدار ولا أحزان ولا مشقة ولا كدر ولا مرض ولا غير ذلك، بل كل في نعيم دائم، وفي خير دائم، وفي سرور دائم، وحبرة دائمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عُفَيْف بن سالم، عن أيوب بن عُتْبة عن عطاء[1]، عن ابن عمر قال: أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ يسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «**سَلْ واسْتَفْهِمْ**». فقال: يا رسول الله، فُضِّلتُم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به، وعملتُ مثلَ ما عملتَ به، إني لكائن معك في الجنة؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، والذي نفسي بيده إنه ليضيء بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام**» قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة**»، فقال رجل: كيف نهلك بعدها يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يتطاول الله برحمته**»، ونزلت هذه الآيات: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ١ ـ ٢٠]، فقال الحبشي: وإن عيني لتريان ما ترى

(١) قال سماحة الشيخ هذه من غرائب أيوب بن عتبة وأشباهها الله المستعان.

عيناك في الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «**نعم**». فاستبكى حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر: لقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيديه.

فيه غرابة ونكارة، وسنده ضعيف.

ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: من عند الله برحمته، هو الذي أهَّلهم لذلك، لا بأعمالهم. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾؛ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩][1].

حدّثنا محمّد بن عبد الله بن حوشبٍ، حدّثنا إبراهيم بن سعدٍ، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، وكان في شكواه الّذي قبض فيه أخذته بحّةٌ شديدةٌ، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ فعلمت أنّه خُيِّر[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اللّهمَّ صلّ عليه وسلّم. وفي اللّفظ الآخر: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»[3]، اللّهمّ صلّ عليه وَسَلِّم.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب التفسير، باب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ برقم (٤٥٨٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة برقم (٢٤٤٤).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٠).

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ: (يمرض) بكسر الراء صحيحة أم خطأ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الّذي نعرف من باب (فرح) مرض يمرض من باب (فرح وتعب) مرض يمرض. ماذا عندك؟

(من القارئ): في الشكل **(يمرض)** نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: عندك ضبط غيره؟

(من الطّالب): في نسخة مع الأخ مضبوطةٌ بالكسر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: بالشكل ولا تكلّم الشّارح؟

(من الطّالب): بالشّكل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الشّكل غلطٌ، الشّكل يقع فيه غلطٌ كثيرٌ، القاعدة العربية **(يمرض)** (مرض يمرض).

• **س: (يُمْرَض) بالضم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: عَلَى البناء للمجهول (مُرِض يُمْرَض)، وعلى الفاعلِ **(يمرَض)** مثل يتعب ويفرح.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٧١ ـ ٨٠][(١)].

في الآيات الكريمات التَّوجيه إلى كل خير، والتحذير من كل شَرٍّ، وقد سبق غير مرةٍ أن القرآن الكريم أنزله الله ليدعو إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وينهى عن سَفاسِفِ الأخلاق وسَيِّئ الأعمال، ويدعو هذه الأمة إلى ما فيه صلاحها ونجاتها واستقامة حالها مع ربِّها ومع العباد، ويحذِّر الأمة من كل ما يضرُّها في العاجل والآجل، ويُعلِّمها الآداب الشرعية في كل شيءٍ، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ يأمر ﷻ بأخذ الحذر من الأعداء، وأن الأعداء يتربَّصون بأهل الإيمان الدوائر، وينتهزون الفرص للانقضاض عليهم، وإيذائهم وظلمهم والعدوان عليهم وإبطال مساعيهم الصالحة الخيرة، هذا شأن أعداء الله، فيجب على أهل الإيمان في كل وقت وفي كل مكان أن يأخذوا حِذْرَهم من أعدائهم

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٣٠١).

ومكائدهم؛ بالتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والحذر من كل تَساهُل يفتح ثغرةً على المسلمين، هكذا يجب أن يكون أهل الإيمان دائمًا، فإذا تساهلوا بهذا صار ضعفًا ونقصًا في الإيمان، وتمكينًا للأعداء.

ولهذا في الآية الأخرى يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، فهم مأمورون بأن يأخذوا الحذر والأسلحة جميعًا، فالعدو لا يغفل، بل من شأنه التربص والعناية بالثغرات التي يجدها على المسلمين حتى يَنفَذ منها. فهكذا ينبغي للمؤمن دائمًا أن يكون على حذر، وأن يكون على استعداد فيما يتعلق بالحرب مع الأعداء وإعداد القوة لجهادهم وقتالهم حتى لا يجدوا ثغرة عند المسلمين، وإذا كانت الصلاة التي هي عمود الإسلام وأعظم فريضة بعد الشهادتين يوافيها بأخذ الحذر وأخذ السلاح وحمله؛ لئلا يهجم عليه العدو، فكيف بحال غير الصلاة من الحالات الأخرى التي هي أسهل والإنسان فيها أقدر على حمل السلاح؟

والمقصود من هذا كله: التنبيه على أن المؤمن لا ينبغي أن يَتَّكِلَ على الإيمان، ويقول: أنا مؤمن، وكفى، وأنا معصوم وأنا مُعافى، هذا غرور؛ بل يجب أن يأخذ حذره مطلقًا، وأهل الإيمان هم أهل الحذر وأهل العناية وأهل الاستعداد. ولما فرَّط الرماة يوم أُحد في الموقف، وتنازعوا فيما بينهم مع أميرهم وجرى ما جرى، ولا يخفى على أحد ما حدث بسبب ذلك من المصيبة على المسلمين والقتل والجراح بأسباب هذا الإخلال، وهم سادةٌ مؤمنون وهم أفضل المؤمنين وخيرة الناس من خلقه في ذاك الوقت وفي كل وقت.

فنبيّ الله ﷺ هو أفضل الخلق، ومعه صفوة المؤمنين وأفضلهم وخيرهم بعد الأنبياء، وهم أصحابه، ومع هذا لما أخلوا بشيء مما يجب الأخذ فيه بالحيطة جرى ما جرى، فلا ينبغي لأهل الإيمان أن يقولوا: إن إيماننا يقتضي أن نحاط وأن نُحْفَظَ من كل سوء ولو فرَّطنا وضيَّعنا وأخللنا بسُنَّة الله في الحرب، ولم نأخذ الحذر الذي ينبغي، هذا كله مما لا ينبغي قوله أو اعتقاده، فهو تفريط ونقصٌ وضَعفٌ في الإيمان وغِرَّة يتمكَّن منها الأعداء. وفي هذا يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾، ﴿ثُبَاتٍ﴾؛ أي: متفرقين، ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾؛ أي: على حسب ما تقتضي المصلحة، فإذا كانت المصلحة تقتضي أن يتفرقوا ها هنا وها هنا، لِسَدِّ الثغرات، ولحماية الحَوزة والمجتمع من شر الأعداء ـ فعلوا، فإذا كانت المصلحة تقتضي أن يكونوا جميعًا على وجه واحد فعلوا، فالمقصود: مراعاة المصالح ومراعاة الحيطة من شَرِّ العَدوِّ ومكائده من جميع الوجوه.

ثم يُبيِّن ﷻ حال المنافقين، وأن من الناس من يُبطِّىء ولا يُسارع في الخروج، ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ وهذا في شأن أهل النفاق الذين عندهم الجُبْنُ، وعندهم الخوَرُ والضعف، فلا يعجلوا في النفير إلى قتال أعداء الله طمعًا في الحياة وخوفًا من الموت، فإذا نزل بالمسلمين نازلة مما يصيب المسلم من مكائد الأعداء فرحوا بذلك وحمدوا الله أنهم لم يكونوا معهم؛ لئلا تُصيبهم المصيبة التي أصابت هؤلاء المؤمنين، وهذا من خَوَرِهم وضعفهم، وإن انتصر المؤمنون وفازوا وظفروا، طالبوا بأن يكونوا معهم وحرصوا على أن يشاركوا في الغنائم، وإلى غير ذلك. وهذا من شأن المنافقين وأشباههم الذين ليس عندهم ثباتٌ، وليس عندهم إيمان أو بصيرةٌ، وليس عندهم صِدقٌ، بل هم مع الدُّنيا وعاجلها لا مع الآخرة.

ثم يَحُثُّ المسلمين على الجهاد واستِئْمانِ المستَضعَفِين من أيدي الكَفرة ويُحذِّرهم من التَّساهل وخوف الموت، وأن الموت لا بُدَّ أن يأتيهم أينما كانوا.

ويُبيِّن ﷻ أنَّ ما أصابهم مما يكرهون أو يحبون كله مقدَّر، وكله من عند الله، فما أصاب من سيِّئةٍ، يعني: ما أصاب من مصيبة في نفس أو مال، أو مِن حسَنةٍ من نصرٍ على الأعداء، فكله من عند الله ﷻ؛ ولكن الحسنات من فضله ﷻ، والسيِّئات أسبابها من الإنسان وتَقصيره، ولهذا بعدما قال: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: قدرًا وقضاءً، قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ يعني: سبب هذه المصيبة هي السيِّئة نفسها وتقصيره وظلمه، كما قال في الآية الأخرى ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فما أصاب الناس مما يكرهون من تسليط الأعداء ومن هزائم ومن غير ذلك، فأسبابه أعمالهم السيِّئة، وتقصيرهم في أمر الله، وتأخُّرُهم عن حق الله، وعدم قيامهم بما يجب من حق الله عليهم ﷻ، فهذه أسباب الهزائم وأسباب النقص وأسباب المصائب، وما أصابهم من فضل ونصر وعز وتمكين فهو من فضل الله ﷻ ومن نعمته عليهم وإحسانه ﷻ؛ فهو المتفضل بما يحصل من نصر وتأييد وجمع كلمة، وانهزام عدو إلى غير ذلك، فكلُّه من فضله ﷻ، وأسباب ذلك: طاعته، والقيام بأوامره، والوقوف عند حدوده، والإعداد لعدوِّه، وأخذ الحذر دائمًا، حتى في الصلاة، فيؤخذ الحذر وحمل السلاح والاستعداد للعدو حتى لا يهجم العدو على غِرَّة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾ [النساء: ٧١ ـ ٧٤][(١)].

يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعُدد وتكثير العَدد بالنفير في سبيله.

﴿ثُبَاتٍ﴾؛ أي: جماعة بعد جماعة، وفرقة بعد فرقة، وسرية بعد سرية، والثبات: جمع ثُبَة، وقد تجمع الثبة على ثُبين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا يدل على وجوب الأخذ بالأسباب، والظاهر أن مجرد السبب الإيماني لا يكفي، بل لا بد من أخذ العدة، والتحرز من الأعداء من جميع الوجوه، الإيمان هو الأصل، ولكن الإيمان يأمر بهذه العُدة، فمن الإيمان الإعداد، والحذر كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١]. ولهذا كان النبي ﷺ يأخذ العدة، ويجعل المراقبين، والحرس، وغير ذلك، كل ذلك من أجل أخذ الحذر. فلا يجوز لأهل الإسلام أن يتساهلوا في هذا الأمر، بل يجب أن يأخذوا بالحذر، والعدة حسب الطاقة، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، مأمورون بالمستطاع، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والباقي على الله جَلَّ وَعَلَا،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فجر الأحد ١٨ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ.

هم عليهم أن يأخذوا بالأسباب في جميع الأمور، في قتال عدوهم، وفي حفظ حياتهم، ستر عوراتهم، أداء ما أوجب الله عليهم، ترك ما حرم الله عليهم، صلة أرحامهم، بر والديهم، إكرام جيرانهم، إلى غير هذا، عليهم أن يأخذوا بالمستطاع في كل شيء، ووعد الله وراء ذلك، هذا للجنة وهذا للنار، ولكن كلها مقيدة بأسبابها، ومربوطة بأسبابها. الملقي: أحسن الله إليك! (ثبات)؛ أي: جماعة بعد جماعة، وفرقةً بعد فرقة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾؛ أي: عُصبًا، يعني: سرايا متفرقين ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾، يعني: كلكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: على حسب المصلحة، ولي الأمر يرتبهم وينظمهم بحسب المصلحة، تارةً تكون المصلحة في بعث السرايا، وتوزيع الجيش فرقًا، هذا إلى جهة، وهذا في جهة، وهذا في جهة، وتارةً تدعو الحاجة إلى أن يجتمعوا؛ لأن عدوهم مجتمع فيجتمعوا له، فولي الأمر ينظر الأصح في نفيرهم، والنبي ﷺ هكذا فعل، نفر إلى قريش جماعة، وهكذا يوم أحد نفروا جميعًا؛ لأن العدو جاء مجتمعًا، وأرسل السرايا عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا رُوي عن مجاهد، وعكرمة، والسدي، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، ومُقاتل بن حَيَّان، وخُصَيف الجَزَري.

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين، وقال مقاتل بن حيان: ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾؛ أي: ليتخلفن عن الجهاد.

ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه، ويبطئ غيره عن الجهاد، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول ـ قبحه الله ـ يفعل، يتأخر عن الجهاد، ويُثَبِّط الناس عن الخروج فيه. وهذا قول ابن جُرَيْج وابن جَرِيرٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا جاء مشدد، قرئ بالتشديد (يبطئنّ)، هذا يقتضي أنه يبطئ غيره، وبالتخفيف (يبطئن) يتأخر هو، لكن المنافقون شرهم مستطيل، فيبطئون ويبطئون، يبطئون عن الخير، ويبطئون غيرهم عن الخير، يعني: يكسلون ويكسلون غيرهم، ويثبطون غيرهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى إخبارًا عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: قتل وشهادة وغلب العدو لكم، لما لله في ذلك من الحكمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾؛ أي: إذ لم أحضر معهم وقعة القتال، يعد ذلك من نعم الله عليه، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: نصر وظفر وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾؛ أي: كأنه ليس من أهل دينكم ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾؛ أي: بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه. وهو أكبر قصده وغاية مراده.

ثم قال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ﴾؛ أي: المؤمن النافر ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: يبيعون دينهم بعَرَض قليل من الدنيا، وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وظاهر السياق: يشرون الحياة يعني: يشترونها، يشترون الحياة بالآخرة، يبيعون الآخرة ويشترون الدنيا؛ لعدم إيمانهم، يعني: يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، الذين يشترونها ويبيعون الآخرة، يعني: يرفضون الآخرة، ويزهدون فيها، وهم الكفار والمنافقون؛ لقلة علمهم، وعدم إيمانهم.

مداخلة: تفسير المؤلف يقول: يبيعون الحياة الدنيا. : في سياق المتن فليقاتل؟

الشيخ: ويحتمل ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾، يعني: فاعل يقاتل (الذين يشرون الحياة الدنيا) يعني: يبيعونها بالآخرة؛ لأنها وصف للمقاتلين، ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ﴾ فاعل يقاتل، يشرون، فيكون معناها مثل ما قال المؤلف: باعوا الدنيا واشتروا الآخرة، معنى يشرون يعني: باعوا الحياة الدنيا بالآخرة، والشراء يستعمل بمعنى باع، وبمعنى اشترى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾؛ أي: كل من قاتل في سبيل الله ـ سواء قتل أو غَلَب وسَلَب ـ فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل، كما ثبت في الصحيحين وتكفل الله للمجاهد في سبيله، إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٥ ـ ٧٦][1].

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحد ١٨ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ.

يحرِّض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، يعني: مكة، كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣].

ثم وصفها بقوله: ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾؛ أي: سخر لنا من عندك وليًّا وناصرًا.

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن عبيد الله قال: سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مُلَيْكَة أن ابن عباس تلا: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ قال: كنت أنا وأمي ممن عَذَرَ الله ﷻ.

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾؛ أي: المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان.

ثم هَيَّجَ تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا ضعيف بالنسبة إلى أولياء الله، الذين يتحرَّزون منه، ويبتعدون منه، ويجاهدونه، ولكنه شديد على أولئك الذين يوالونه، استحوذ عليهم، وأغراهم، وصدَّهم عن الهدى بوساوسه، وما زينه لهم، وما وعدهم به من الأكاذيب والأباطيل، نسأل الله العافية، الله أكبر.

المقصود من هذا: التحريض على محاربة الشيطان، هذا اللي حكم الله عليه بأن كيده ضعيف، كيف ترضى أن يغلبك؟ كيف ترضى أن يؤذيك بالباطل، ويصدك عن الهدى؟ ألا تصدق الله في هذا الخبر العظيم؟ احرص في محاربة هذا العدو، وكيده ضعيف لمن جاهد نفسه لله، وصَدَق مع الله، وبذل وسعه في طاعة الله، والله يقيه شره، ويكفيه وساوسه، ولهذا في الآية الثانية يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦]، يعني: عاملوه معاملة الأعداء، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، هذا طلبه، طلبه أن يكونوا معه في النار، فلا تتساهل في تحقيق رغباته، وإجابته إلى طلباته، والإصغاء إلى وساوسه، بل احذر، الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن العجب العجيب أن هذا الشيطان مع كون كيده ضعيف قد تابعه الأكثرون، وأطاعوه، واتبعوا خطواته؛ بسبب الأهواء، وضعف الإيمان، وقلة اليقين، فغلب على الأكثر إيثار الشهوات التي حرم الله، والتكاسل عن الواجبات، فصار بهذا تحقيق مطالب العدو، واتباع خطواته، في ترك الصلوات، والتثاقل عنها، والجماعات، البخل بالزكاة، عدم الصوم، عدم الحج، عدم بر الوالدين، عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير هذا من أسلوب البلاء، كله من تزيين عدو الله، ومن ضعف الإيمان وقلة البصيرة، وقلة العزم وضعف العزم، وعدم بُعد النظر، أكثر الخلق نظره قاصر على شهوته الحاضرة، وحظه العاجل، ليس عنده بُعد النظر إلى العواقب وما يكون بعد الموت، سكران في هذه الشهوات العاجلة، ولهذا غلب عليهم عدو الله، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]، وقوله ﷻ عنه أنه قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾

[الأعراف: ١٧]. قال عن ظن فصدق عليهم ظنه، وتابعوه لضعف الإيمان، وعدم بُعد النظر، وغلبة الهوى، وطاعة أولياء الشيطان، نسأل الله السلامة.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٧ ـ ٧٩][1].

كان المؤمنون في ابتداء الإسلام ـ وهم بمكة ـ مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النُّصُب، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبًا لأسباب كثيرة، منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقًا. فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة، لما صارت لهم دار ومنعة

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ الأحد الليل ٦ ـ ٤ ـ ١٤٠٧هـ، وفجر الأحد ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٤١٥هـ.

وأنصار، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جَزِع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفًا شديدًا ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: لو ما أخَّرت فرضه إلى مدة أخرى، فإن فيه سفك الدماء، ويُتْم الأبناء، وتأيّم النساء، وهذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمة، وعلي بن زنجة، قال:ا حدثنا علي بن الحسن، عن الحسين بن واقد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن عبد الرحمٰن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة: قال: «**إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم**». فلما حوَّله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفوا. فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ الآية.

ورواه النسائي، والحاكم، وابن مَرْدُويه، من حديث علي بن الحسن بن شَقِيق، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الحكمة العظيمة؛ لأنه بمكة قلة، في مكة قلة وضعفاء، فلو قاتلوا لأذوا وقتلوا؛ لأن المشركين أكثر وأقوى، فمنعوا من قتال في مكة إلا الدعوة فقط، وهكذا في أول الهجرة، كان مشروع لهم الدعوة فقط، ولم يشرع لهم الجهاد، ثم شرع الجهاد دفاعًا، من قاتلهم

قاتلوه، ومن كف عنهم كفوا عنه، ثم لما قووا، وصارت لهم عدة وسلاح وكثرة، فرض الله عليهم القتال، دفاعًا وطلبًا، وهكذا ينبغي، ليس بنسخ، لكنه على حسب وجود القوة، فإذا كان في المسلمين قوة بدأوا عدوهم وقاتلوا وجاهدوا، فإن كان عندهم ضعف لم يبدأوا، ولكن يدافعوا، إذا هجم عليهم العدو يدافعون حسب الطاقة. وأما الدعاة إلى الله والمعلمون فيعلِّمون ويرشدون من دون قتال، يعلِّمون الناس ويرشدونهم كحال النبي ﷺ والصحابة في مكة وفي أول الهجرة، دعوة وتعليم وإرشاد فقط، لا قتال ولا اغتيال ولا مضاربة؛ لأن هذا يعرقل الدعوة ويضرها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أسباط، عن السدي: لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة، فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال، فلما كتب عليهم القتال: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ﴾ وهو الموت، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ وعن مجاهد: إن هذه الآيات نزلت في اليهود. رواه ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن الله قال في سورة الإنعام: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ﴾ [الأنعام: ٤١]، وهي مكية دل على أن جنس الزكاة فرض بمكة، لكن تفصيلها وأنصبتها وبيان أهلها، كل هذا كان في المدينة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؛ أي: آخرة المتقي خير من دنياه.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾؛ أي: من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء. وهذه تسلية لهم عن الدنيا. وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم على الجهاد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]، يعني يوفون أعمالهم، لا يظلمون شيئًا، لا قليل ولا كثير، حتى الفتيل وهو الخيط الذي في النواة، والنقير الذي فيها لا يظلمون شيئًا، لا قليلًا ولا كثيرًا، بل يوفون أعمالهم كاملة، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، ذرة، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فالمؤمن يعمل، الواجب العمل والجد والنشاط والرغبة فيما عند الله، وإيثار الآخرة على الدنيا، متاعها قليل. فالواجب إيثار الآخرة، ولزوم الحق، والدعوة إليه، والتحذير من خلافه حسب الطاقة، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، والدنيا متاعها قليل، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وإن عمِّر ألف عام كما عمِّر نوح أكثر من ألف عام فالمآل الموت، لكن الغبطة والسعادة في الاستقامة على الحق والثبات عليه، عند وجود الفتن والملاحم يثبت ويستقيم، ويدعو إلى الحق حسب طاقته، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ينظر في الأمور، يضع الأمور مواضعها، كل مقام له مقال، فيتحرَّى الحق، ويتحرى الألفاظ المناسبة والأوقات المناسبة، حتى تكون الدعوة لها أثرها، ولها قيمتها في نفوس المدعوين، ويتحرَّى الألفاظ المناسبة والأساليب المناسبة حتى تكون الدعوة في محلها، وحتى يتأثر بها المدعوون أكثر.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

في الآية الأخرى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، من طبيعة الإنسان كراهة القتال وخوف الموت، لكن متى استقام الإيمان وعرف فضل الجهاد وما له عند الله من الخير العظيم، والعاقبة الحميدة، قبل ذلك وشمَّر إليه، وسارع إليه؛ لأن إيمانه يحفزه إلى ذلك، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا حماد بن زيد، عن هشام قال: قرأ الحسن: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ قال: رحم الله عبدًا صحبها على حسب ذلك، ما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة، فرأى في منامه بعض ما يحب، ثم انتبه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول النبي ﷺ ما هو أعظم من هذا، يقول النبي ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع**» في البحر، الله المستعان. ويقول لعبد الله بن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ حتى ولو متع فيها مائة عام أو ألف عام فهي قليل بالنسبة إلى حياته الأخروية، فإن حياته الأخروية حياة مستمرة لا انقطاع لها ولا فناء، فهي حياة لا تحصى آمادها؛ بل آلاف السنين وآلاف وآلاف بلا نهاية.. الله أكبر. فالشيء المحدود بالنسبة إلى الشيء الدائم قليل جدًّا مهما كانت حاله، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن مَعين: كان أبو مُسْهِر ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... مِنَ الله في دار المقام نَصيبُ
فإن تُعْجب الدنيا رجَالًا فإنها ... مَتَاع قليل والزّوَال قريبُ

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صحيح، الله أكبر! نعم صدق الله العظيم: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، كما قال ﷺ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، ولو عمِّر آلاف الأعوام، الله المستعان. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، إذا رأوا القيامة الله المستعان، ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾؛ أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحد منكم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والمقصود: أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء، وسواء عليه جاهد أو لم يجاهد، فإن له أجلًا محتومًا، وأمدًا مقسومًا، كما قال خالد بن الوليد حين جاء الموت على فراشه: لقد شهدت كذا وكذا موقفًا، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني ليس للعبد إلا ما قدِّر له، أصابه من الجراحات والطعنات الكثيرة وحضر من المواقف العظيمة، وكان من أشجع الرجال وأصبرهم ومع هذا مات على فراشه، لم يقدَّر له الموت في القتال؛ بل نجا في القتال الذي خطف الكثير في عهد الرسول ﷺ، وفي قتال بني حنيفة، ومع هذا مات على فراشه والمقصود من هذا أن الأجل حصن حصين، من لم يقدِّر الله له الموت في الجهاد، مات على فراشه.

والمعنى أن الموت لا بد منه، وله حد محدود، وليس الجهاد يقربه ولا عدم الجهاد يبعده، فمتى جاء الأجل انتهى الأمد، وانتهى الأمل، فلا ينبغي لعاقل أن يمنعه خوف الموت من الجهاد، ولا ينبغي لعاقل أن يمنعه خوف الموت من المسارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى الطاعات، فالموت هو حد محدود، وأجل ممدود، متى وصل انتهى الأمر. ولهذا قال خالد هنا رحمة الله عليه، ورضي الله عنه ما فيه عضو من أعضائه إلا وفيه جرح أو طعنة، ومع ذلك ما تم له شيء، ما تم له شيء إلا أن يموت على فراشه، أنجاه الله من تلك الحروب الكثيرة في الجاهلية والإسلام، وقد باشر حروبًا عظيمة في الإسلام، وفي قتال بني حنيفة، في قتال الفرس، وفي قتال الروم، ثم مات على فراشه رضي الله عنه وأرضاه، الله المستعان..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾؛ أي: حصينة منيعة عالية رفيعة. وقيل: هي بروج في السماء. قاله السدي، وهو ضعيف. والصحيح: أنها المنيعة. أي: لا يغني حذر وتحصن من الموت، كما قال زهير بن أبي سلمى:

وَمَن خَاف أسبابَ المَنيّة يَلْقَهَا ... ولو رَامَ أسبابَ السماء بسُلَّم

ثم قيل: «المشَيَّدَة» هي المَشِيدَة كما قال: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] وقيل: بل بينهما فرق، وهو أن المُشَيَّدة بالتشديد، هي: المطولة، وبالتخفيف هي: المزينة بالشيد وهو الجص.

وقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم هاهنا حكاية مطولة عن مجاهد: أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطَّلْقُ، فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار، فخرج، فإذا هو برجل واقف على الباب، فقال: ما ولدت المرأة؟ فقال: جارية، فقال: أما إنها ستزني بمائة رجل، ثم يتزوجها أجيرها، ويكون موتها بالعنكبوت. قال: فَكَرَّ راجعًا، فبعج الجارية بسكين في بطنها، فشقه، ثم ذهب هاربًا، وظن أنها قد ماتت، فخاطت أمها بطنها، فبرئت وشبَّت وترعرعت، ونشأت أحسن امرأة ببلدتها فذهب ذاك الأجير ما ذهب، ودخل البحور فاقتنى أموالًا جزيلة، ثم رجع إلى بلده وأراد التزويج، فقال لعجوز: أريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة. فقالت له: ليس هنا أحسن من فلانة. فقال: اخطبيها علي. فذهبت إليها فأجابت، فدخل بها فأعجبته إعجابًا شديدًا، فسألته عن أمره ومن أين مقدمه؟ فأخبرها خبره، وما كان من أمره في هربه. فقالت: أنا هي. وأرته مكان السكين، فتحقق ذلك فقال: لئن كنت إياها فلقد أخبرتني باثنتين لا بد منهما، **إحداهما**: أنك قد زنيت بمائة رجل. فقالت: لقد كان شيء من ذلك، ولكن لا أدري ما عددهم؟ فقال: هم مائة. **والثانية**: أنك تموتين بالعنكبوت. فاتخذ لها قصرًا منيعًا شاهقًا، ليحرزها من ذلك، فبينا هم يومًا إذا بالعنكبوت في السقف، فأراها إياها، فقالت: أهذه التي تحذرها علي، والله لا يقتلها إلا أنا، فأنزلوها من السقف فعمدت إليها فوطئته بإبهام رجلها فقتلتها، فطار من سمها شيء فوقع بين ظفرها ولحمها، فاسودت رجلها وكان في ذلك أجلها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولهم. الله أكبر. الله المستعان. الموت لا بد

منه، وما كتبه الله واقع، وهذه القصة من الحكايات التي قد يكون لها أصل، وقد يكون لا أصل لها، ولكنها من باب العبر، وأن الآجال لا بد من وقوعها، والأسباب التي قدَّرها الله لا بد منها، الله المستعان، سم، الله المستعان.

مداخلة: قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾، والخوف والخشية فالمعنى: بالنسبة لله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: على ظاهره، يعني: يخشون ما يقع من القتال والفتن بينهم وبين الناس، والخوف من ذلك، هذا قد يكون من ضعف الإيمان مِن مَن أظهر الإسلام، وقد يكون قبل أن يعلموا ما في الجهاد من الأمر العظيم والخير العظيم والفائدة العظيمة، قد يكون لأسباب. . .

مداخلة: لا تخش إلا الله كيف هذا؟.

الشيخ: نعم هذا في القتال، يعني في الموت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ونذكر هاهنا قصة صاحب الحَضْر، وهو «الساطرون» لما احتال عليه «سابور» حتى حصره فيه، وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين، وقالت العرب في ذلك أشعارًا منها:

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تُجْبَى إليه والخابورُ
شاده مَرْمَرا وجلَّله كِلْـ ... ـسًا فللطير في ذُرَاه وُكُور
لم تَهَبْهُ أيدي المنون فباد الـ ... ـمُلْكُ عنه فبابُه مَهْجور

ولما دخل على عثمان جعل يقول: اللَّهُمَّ اجمع أمة محمد، ثم تمثل بقول الشاعر:

أرى الموتَ لا يُبقي عَزيزًا ولم يَدَعْ ... لعاد ملاذًا في البلاد ومَرْبَعا
يُبَيَّتُ أهلُ الحِصْن والحصنُ مغلقٌ ... ويأتي الجبالَ في شَماريخها معا

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الدنيا ليس فيها بقاء لأحد، ولا ملك دائم، إنما هو ملك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الدائم، أما الدنيا فأهلها صائرون إلى الفناء، مهما كانت الدنيا ومهما عظمت، ومهما بلغوا من الملك والقوة والقدرة والمال، المآل إلى الذهاب والزوال. الله المستعان. فالعاقل يعتبر بهؤلاء الماضين وما جرى لهم، وما جرى عليهم، ويعد العدة للقاء ربه، فالسعادة كل السعادة في إعداد العدة للقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والاستقامة على أمره، والبعد عن أسباب غضبه، وإلا فالدنيا مهما تزخرفت ومهما بلغت فإن مآلها إلى الزوال.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك، هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي: ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتاج أو غير ذلك. كما يقوله أبو العالية والسدي. ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: من قِبَلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك. كما قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وكما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ الآية [الحج: ١١]. وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهرًا وهم كارهون له في نفس الأمر؛ ولهذا إذا أصابهم شر إنما يسندونه إلى اتباعهم للنبي ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من جهلهم وغبائهم، وفساد قلوبهم، وإلا فالحسنة من الله جَلَّ وَعَلَا، فهو الذي يسرها ومَنَّ بها، والسيئات بقدره وقضائه، وأسبابها معاصي

العباد وانحرافهم، وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم. فالله وعظهم بهذا وذكَّرهم ليستعدوا للقائه، ولهذا يقول سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، فهي من عنده سبحانه خلقًا وإيجادًا وقدرًا سابقًا، لكن الحسنات يثابون عليها لأنها بفعلهم، وإخلاصهم، والسيئات يجازون عنها لأنها بفعلهم أيضًا وانحرافهم، وكل شيء بقضائه وقدره ﷻ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

فما أصاب العبد من نعمة وخصب ورخاء وصحة وعافية وأولاد فمن فضل الله سبحانه ومن إحسانه وجوده وكرمه، وقد سبق بهذا قَدَره السابق، وما أصاب الناس من نقص ومصائب وجدب وقحط، وتسليط لأعداء وغير ذلك، فأسباب ذلك معاصيهم وسيئاتهم، ومخالفاتهم، وكل من عند الله قضاء وقدرًا ﷻ. ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، يعني: بسبب أعمالك، وإن كان مضى بهذا علم الله وقدره ﷻ، فلا منافاة وكل من عند الله قدرًا وقضاءً ﷻ، وما كان من السيئات التي يفعلها العبد، فهي منسوبة إليه، ويستحق جزاءها إذا كانت معاصي، أما ما يكون من الجدب والقحط والنعم والخيرات فهذا كله من عند الله ﷻ قضاءً وقدرًا. فالجدب من جملة المصائب كالفقر والمرض ونحو ذلك لله فيه حِكَم عظيمة ﷻ، وما كان من النعم والخيرات التي هي الحسنات كالمطر والصحة والملك ونحو ذلك، فكله لحكمة بالغة وكله بقضائه وقدره، فإن الحسنات تطلق على النعم، وتطلق على الأعمال الصالحات، والسيئات تطلق على الشرور والمصائب، وتطلق على الأعمال السيئة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال السدي: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ قال: والحسنة الخصب، تُنْتج خيولهم وأنعامهم ومواشيهم، ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان قالوا:

﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ والسيئة: الجدْب والضرر في أموالهم، تشاءموا بمحمد ﷺ وقالوا: ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ يقولون: بتركنا ديننا واتباعنا محمدًا أصابنا هذا البلاء، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾، فقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾؛ أي الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البَرّ والفاجر، والمؤمن والكافر.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾؛ أي: الحسنة والسيئة. وكذا قال الحسن البصري.

ثم قال تعالى منكرًا على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب. وقلة فهم وعلم، وكثرة جهل وظلم: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة رحمه الله، الله يعيننا وإياكم على الاستعداد ويعيذنا وإياكم من الغفلة، هذه كلها عظات توجب للمؤمن الاستعداد والحذر، الله المستعان.

● **س: القصة التي ذكرها المؤلف صحيحة قصة الرجل وجاريته.**

○ **الجواب**: الله أعلم، الأخبار هكذا أقول: من أخبار الماضين فيها الغث والسمين فيها العظة المقصود عظة وذكرى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا السَّكن بن سعيد، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا إسماعيل بن حماد، عن مقاتل بن حَيَّان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ؛ فأقبل أبو بكر وعمر في قبيلتين من الناس، وقد ارتفعت أصواتهما، فجلس أبو

بكر قريبًا من رسول الله ﷺ؛ وجلس عمر قريبًا من أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**لم ارتفعت أصواتكما؟**» فقال رجل: يا رسول الله، قال أبو بكر: الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا. فقال رسول الله ﷺ: «**فما قلت يا عمر؟**» قال: قلت: الحسنات والسيئات من الله تعالى. فقال رسول الله ﷺ: «**إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل، فقال ميكائيل مقالتك يا أبا بكر، وقال جبريل مقالتك يا عمر فقال: نختلف فيختلف أهل السماء وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض. فتحاكما إلى إسرافيل، فقضى بينهم أن الحسنات والسيئات من الله**». ثم أقبل على أبي بكر وعمر فقال: «**احفظا قضائي بينكما، لو أراد الله ألا يُعْصَى لم يخلق إبليس**».

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيميّة: هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة(١).

---

(١) قال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ: رجاله معروفون لكن شيخ البزار هو محل نظر يمكن أنه من وضع السكن ابن سعيد لأن الباقين عمر بن يونس وما بعده معروفون، قد يكون من وضع السكن هذا حدثنا عمر بن يونس عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كلهم معروفون. نعم. ولكن الآية فصلت بحمد الله، كل من عند الله، الحسنات والسيئات من عند الله قدرًا، والسيئة من نفسك عملًا، ولهذا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] يعني: قدرًا، قدَّر هذا وهذا سبحانه. ثم قال سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] يعني: من أعمالك أنت ومن اقترافك وسيئاتك وإن كانت مقدرة، فهي قدر من الله وهي عمل من نفسك، أنت العامل، أنت المقترف، ولهذا بيَّن سبحانه وتعالى أن ما أصابنا من سيئاتنا، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالحسنات لنا عملًا ونؤجر عليها، والسيئات منا عملًا ونستحق العقاب عليها، وكلها بقضاء الله وقدره، لكن الحسنة فضل من الله وفَّق لها وهدى لها، والسيئة أطعتَ بها الشيطان وهواك فصارت من نفسك، =

ثم قال تعالى مخاطبًا للرسول ﷺ والمراد جنس الإنسان ليحصل.

○ **الجواب**: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من فضل الله ومَنِّه ولطفه ورحمته ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: فمن قبلك، ومن عملك أنت كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال السدي، والحسن البصري، وابن جُريج، وابن زيد: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: بذنبك.

وقال قتادة: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ عقوبة يا ابن آدم بذنبك. قال: وذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ كان يقول: «**لا يصيب رجلًا خَدْش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عِرْق، إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر**».

وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصلًا في الصحيح: «**والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن هَمٌّ ولا حَزَنٌ، ولا نَصَبٌ، حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّر الله عنه بها من خطاياه**».

= وإن كانت مقدرة، لو شاء الله لم يُعْصَ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ولكنه قدر ما قدر من المعاصي وقيض لها دعاة من الشياطين شياطين الإنس والجن لحكمة بالغة، ليتميز الناس ويعلم من يتبع الهدى ممن يتبع الهوى، وليحاسب الناس أنفسهم ويجتهدوا في طاعة ربهم، ولولا هذا ما تميز الناس ولا انقسم الناس. نعم .الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك.

الشيخ: السكن بن سعيد. ليس في التقريب.

الشيخ: ولا في التعجيل ولا التقريب.

الشيخ: نعم. يمكن أنه من وضعه. نعم. مثل هذا يطلب في الميزان أو من رجال ابن أبي حاتم وأشباهه، اللسان.

وقال أبو صالح: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: بذنبك، وأنا الذي قدرتها عليك. رواه ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار[١]، حدثنا سهل ـ يعني ابن بَكَّار ـ حدثنا الأسود بن شيبان، حدثني عقبة بن واصل بن أخي مُطَرِّف، عن مُطَرِّف بن عبد الله قال: ما تريدون من القدر، أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: من نفسك، والله ما وُكِلُوا إلى القدر وقد أُمِروا وإليه يصيرون.

وهذا كلام متين قوي في الرد على القدرية والجبرية أيضًا، ولبسطه موضع آخر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾؛ أي: تبلغهم شرائع الله، وما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾؛ أي: على أنه أرسلك، وهو شهيد أيضًا بينك وبينهم، وعالم بما تبلغهم إياه، وبما يردون عليك من الحق كفرًا وعنادًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا كله لا منافاة فيه بين الآيتين، فالله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعني: ما يقضى من الحسنات والسيئات كله من عند الله، بقضائه وقدره وحكمته البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقوله في الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، يعني: من جهة نفسك من جهة ما تعمل، من ذنوب، وتقصير، وترك الواجب ونحو ذلك، فيبتلى الإنسان في بدنه وفي ماله وفي غير ذلك بأسباب تقصيره، وهذا معنى الآية الكريمة الأخرى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) قال سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الظاهر أنه محمد بن عمار المصري.

فالإنسان مأمور بطاعة الله، والكف عن محارم الله، والقيام على حدود الله، ومرده إلى القدر، القدر نافذ في الجميع، ولكن على العبد أن يجتهد في طاعة ربه، ويبتعد عن مساخطه، وعليه أن يقف عند حدود الله، فما أصابه من خير ونعمة وفضل وحسنات وأعمال صالحات، وما وفق له من سائر وجوه الخير فهو من فضل الله وإحسانه إليه، وقد مضى به قدره السابق أيضًا. وما حصل عليه من نكبة وفقر وغير ذلك هذا أسبابه أعماله، وأسبابه ما يقدمه من معاصي وسيئات، وما يقصر فيه من طاعات واجبة إلى غير ذلك، والقدر ماض في الجميع، وسابق في الجميع من الله ﷻ، وما يعفو الله عن العباد وما يتجاوز عنه سبحانه أكثر وأعظم، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. فيجب على المؤمن أن يكون عليمًا بهذا الأمر، مؤمنًا به، وأن يلوم نفسه، ويجتهد في إصلاحها عند التقصير، وأن يبادر بالتوبة، ويحسن ظنه بربه ﷻ، كما عليه أن يجتهد في أداء الواجب، والبعد عما حرم الله، والاستكثار من الحسنات؛ حتى يفوز بما وعد الله به المحسنين، وحتى يفوز أيضًا بتكفير السيئات التي قد يبتلى بها، فإذا رجع إلى الله وأناب إليه واستكثر من طاعته عفا عنه سبحانه وكفَّر سيئاته..

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء: ٧٨][١].

فهذه الآية في قصة عمر رضي الله عنه لما توجه إلى الشام في حرب الروم وكانت الجيوش في الشام جيوش المسلمين في الشام مع قائدهم أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وجماعة، فلما وصل عمر رضي الله عنه

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٥٤٧).

إلى محل يقال لها: السرغ في أطراف الشام بلغه أن الطاعون قد وقع بالشام؛ يعني: الوباء الخبيث فتوقف واستشار الناس في ذلك هل يرجع أو لا يرجع دعا بالمهاجرين رضي الله عنهم فانقسموا منهم من قال ارجعوا ومنهم من قال: لا ترجع، ثم دعا الأنصار الذين معه فاختلفوا كاختلاف المهاجرين منهم من قال: ارجعوا ومنهم من قال: لا ترجع، ثم دعا بقية الصحابة الذين أسلموا عام الفتح، فاستشارهم فأجمع رأيهم على الرجوع وألا يقدم الناس على الوباء؛ يعني: ألا يقدم الجيش الذي معه على هذا الوباء فعزم على الرحيل ونادى في الناس أنه مصبح على ظهر؛ يعني: إنه متوجه صباحًا إلى المدينة راجع للمدينة.

فجاءه أبو عبيدة بن الجراح أمير الجيوش في الشام وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أفرار من قدر الله؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لكان أسهل، ثم قال عمر رضي الله عنه: (**نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ**)[١]، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ الذي هو الوباء إلى قدر الله الذي هو السلامة هو طريق السلامة، ثم قال: أضرب لك مثلًا، (**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟**) وكله من قدر الله فبينما هم كذلك **فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ** رضي الله عنه الزهري وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة أيضًا، (**وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، عن النبي** ﷺ في هذا، ففرح عمر بذلك والمسلمون **فقال: إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ** يعني: الطاعون **فَلَا**

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون برقم (٥٧٢٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩).

تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»(١). هذا هو فصل النزاع هذا هو الفصل إذا وقع الطاعون وأنت في البلد لا تخرج فلا تخرج فرارًا منه، أما إذا خرج الإنسان لحاجة أخرى ليس لقصد الفرار فلا بأس، وأما إذا وقع وأنت خارج البلد فلا تقدم عليه، إذا وقع في الشام أو في مصر أو في أي مكان فلا تقدم عليه؛ ولكن متى وقع وأنت في البلد فاصبر على قدر الله، والآجال مضروبة ما أحد يتقدم عن أجله ولا يتأخر كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]؛ لكن الإنسان مأمور بالبعد عن أسباب الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] الإنسان يأخذ بالأسباب وما كتب الله ماضٍ ونافذ لا حيلة فيه؛ لكنه مأمور بالأسباب التي شرعها الله، وهذا الوباء كانت في السنة السابعة عشرة من الهجرة وقيل: سنة ثمان من الهجرة مات فيه أبو عبيدة رئيس أمير الجيش رضي الله عنه مات فيه هو ومن كان من أهل البلد وتوفي بهذا الطاعون، هو شهادة للمؤمن هذا الوباء شهادة للمؤمن ومات فيه أيضًا معاذ بن جبل وجماعة من المسلمين في الشام بهذا الوباء رضي الله عنهم ورحمهم.

❉

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩](٢).

معناها: أن ما أصابك من حسنة، فمن الله هو الذي تفضل به

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر الطاعون برقم (٥٧٢٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩).
(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٢٠).

عليك، وهداك لها وأعانك عليها، وهو المتفضل ـ سبحانه ـ، وهو الجواد الكريم، وقد سبق بها القدر، ومع هذا تفضل بها عليك، وأعانك عليها وهداك لها حتى فعلتها من صلاة وغيرها، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، من معصية أو غيرها؛ فمن أسباب نفسك من معاصيك، أو تساهلك وعن القيام بالواجب، وقد سبق في علم الله أنها تقع، لكن أنت بأفعالك السبب، في وقوعها من معاصيك، أو تفريطك وعدم أخذك بالأسباب الشرعية، فإذا سرق مالك؛ لأنك ما قفلت الباب، أو ما فعلت ما ينبغي من حراسته، فأنت السبب وكذلك إذا وقعت في المعصية، فأنت السبب؛ لأنك أنت الذي فعلتها وأنت الذي تساهلت فيها وأنت الذي سعيت إليها، وإن كانت بقدر سابق، ولكن بأسبابك أنت لك أسباب لك فعل، لك قدرة، لك عقل، فمن نفسك، وإن كانت بقدر الله، ولهذا قال بعدها: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]؛ يعني: بقدر الله، لكن الطاعة من فضله، والمعصية من أسباب تفريطك وأسبابك الأخرى التي تساهلت بها حتى وقعت المعصية، أو وقع المرض، أو وقعت السرقة، أو وقع الهدم، أو الانقلاب، أو ما أشبه ذلك.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨٠ ـ ٨١][1].

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحد الليلي ٢٠ ـ ٤ ـ ١٤٠٧هـ.

أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني**». وهذا الحديث ثابت في الصحيحين، عن الأعمش به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى واضح في أن معصية الرسول معصية لله، (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني)، فطاعة ولاة الأمور في المعروف من طاعة الله ورسوله، وهذا لكي تستقيم الأمور وتنتظم أحوال العالم ويستتب الأمن، فلا بد من هذا وهذا، من طاعة الله ورسوله، ولا بد من طاعة ولاة الأمور في المعروف والحذر من المعصية. في الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**. قيل: يا رسول الله، من يأبى؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» أخرجه البخاري رحمه الله.

المقصود أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ، ومن أطاع الله ورسوله فقد أراد الجنة على الحقيقة، ومن عصا فهو في المعنى يأبى، يريد عدم دخولها بفعله وامتناعه كسلًا وضعفه، الله بيَّن أسباب هذه وأسباب هذه، من أراد الجنة أخذ بأسبابها، ومن أراد النار أخذ بأسبابها وإن زعم أنه لم يرد النار، ما دام أخذها بأسبابها فهو..... نسأل الله السلامة.

● **س: أحسن الله إليك. الحسنة هي النعمة أم العمل الصالح؟**

○ **الجواب**: الأعمال الصالحة، والنعم من فضل الله، من نعم الله،

الحسنة من الله يعني، لكن الحسنة إذا أطلقت يعني: أعماله الصالحة، إذا أطلقت الحسنات أعماله الصالحة، أما ما يُجد الله به عليك فهذا من إحسانه، إحسان من الله إليك بالنعم، نعم الصحة والعلم والولد والزوجة، هذه من النعم، وهي حسنات منه سبحانه وتعالى، تشمل الحسنة من الله والتوفيق بالأعمال الصالحة وما أعطاك الله مما يسرك: من صحة وزوجة صالحة وولد ومسكن وغير هذا، كله من إحسان الله إليك.

ولكن ما يذكر من الحسنة ضد السيئات يعني: الأعمال الصالحة، ما يقابل السيئة المراد به الأعمال الصالحة..

المقصود بالأمير في طاعة ولاة الأمور:

• **س: طاعة الأمير خاص بولاة الأمور وإلا بكل من ولي.. عام في كل من ولي أمر من أمور المسلمين؟**

عام، ولي الأمر الأكبر وأمرائه.

مداخلة: يدخل فيه أمير السفر؟ سلمك الله.

الشيخ: الأقرب ـ والله أعلم ـ أنه يدخل فيه ما يتعلق باجتماعهم الذي يخصهم. إذا كان لم يكن معصية حتى يستقيم أمرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾؛ أي: لا عليك منه، إن عليك إلا البلاغ فمن تَبِعك سَعِد ونجا، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر، وليس عليك من أمره شيء، كما جاء في الحديث: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه حث وتحريض على طاعة الله ورسوله، والاستقامة على شريعة الله، وأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله؛ لأنه المبلِّغ عن الله أمره

ونهيه، وهو الدال عليه والمرشد إلى ما شرع ﷻ، فمن أطاع الرسول فقد أطاع المرسل؛ لأنه ليس معبِّر عن نفسه ولا يخبر عن نفسه، وإنما يخبر عن الله ﷻ، ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤]، فهو عليه الصلاة والسلام يبلغ عن الله ما أمره به. فالواجب على المكلفين أن يطيعوه عليه الصلاة والسلام وأن ينقادوا لما جاء به؛ لأن طاعته طاعة لله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ولهذا في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**»، طاعة الأمراء من طاعة الله ﷻ ومن طاعة الرسول ﷺ في المعروف، كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وطاعة ولاة الأمور طاعة للرسول ﷺ، وعصيانهم عصيان الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن في طاعة ولاة الأمور استتباب الأمن، استقامة الأمر، وفي عصيانهم شق العصا واختلاف الأمور وفساد المجتمع. فالواجب على الرعية طاعة ولاة الأمور فيما أمروا به وفيما نهوا عنه ما دام ذلك في المعروف، ليس في معاصي الله ﷻ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني**»، وفي اللفظ الآخر: «**من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**»، وما هذا إلا لأن طاعة ولاة الأمور بها تستقيم أمور الناس، وينفذ الحق، ويلزم الظالم بترك الظلم، وينصر المظلوم، ويقضى على أسباب الفساد، فإذا اختلف الناس وعصوا ولاة أمرهم واختلفوا عليهم سادت الفوضى واختل الأمن وهضم الحق، ولم ينصر المظلوم ولم يردع الظالم، فترتب على ذلك مفاسد كثيرة وأخطار عظيمة، وشر كثير، ولهذا أمر الله بطاعة ولاة الأمور ونهى عن عصيان ولاة الأمور، يعني: في المعروف كما في الحديث الصحيح: «**إنما الطاعة في المعروف**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: خرجوا وتواروا عنك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾؛ أي: استسرُّوا ليلًا فيما بينهم بغير ما أظهروه. فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد. يعلمون ما يفعلون. والمعنى في هذا التهديد، أنه تعالى أخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلًا من مخالفة الرسول وعصيانه، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسيجزيهم على ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا وإن كان تهديدًا للمنافقين فهو أيضًا تحذير لغيرهم، فالله سبحانه يعلم ما يسره العبد وما يضمره كما يعلم ما يظهره، يعلم السر وأخفى. فالواجب على العبد أن يحذر أن يضمر السوء والشر، وأن يجتهد في إصلاح سريرته بينه وبين الله، ومحبة الخير وأهله، كراهة الشر وأهله، ونية الخير للمسلمين، وعدم تبييت السوء، فالله يعلم ما تنطوي عليه القلوب والضمائر وما يعزم عليه العبد، فالواجب أن يحذر. وما كان من الوساوس والهجسات والأشياء العارضة هذا جَلَّ يعفو عنه، وما كان من العمل والإصرار فهو مما مأخذ به العبد. وفي الحديث الصحيح: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلَّم)، فإذا كان عملًا قلبيًّا أخذ به الإنسان، كبغضه لأولياء الله وحبه لأعداء الله. وهكذا الطاعة خوفه من الله ورجائه من الله الحسنة كلها أعمال قلبية، إخلاصه عمل قلبي، نفاقه عمل قلبي. نسأل الله العافية.

والمقصود من هذا التهديد: لمن أظهر الطاعة وأضمر المعصية وأخفاها، فإن هذا في الحقيقة مخادع ومظهر للناس خلاف ما يبطن،

ولو أتى الأمر على وجهه لكان أسهل، لكنه لما أظهر خلاف ما يبطن صار شره أكثر وصارت فتنته أعظم، وهذه سجية المنافقين وأحوالهم، لهم ظاهر غير الباطن، فلهذا غضب الله عليهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا، وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار. وفي هذا وعيد لغيرهم أيضًا ممن يتساهل في المعاصي أو يظهر للناس النسك والعبادة، فإنه قد شابه أهل النفاق في هذه الحال فليحذر؛ ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾، يعني: يقولون: طاعة منا لك يا رسول الله، أو هي طاعة منا لك يا رسول الله، ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: خرجوا صاروا إلى أهاليهم وإلى قراهم وإلى قبائلهم وإلى شياطينهم بيتوا خلاف ذلك، وأضمروا من الباطل والعصيان والمخالفة والفساد في الأرض ما لا يعلمه إلا الله ﷻ. فالله يتوعدهم أنه يعلم ما أضمروا ويعلم ما أسروا وما كتموا، وذلك ليس بخاف عليه ﷻ، فليترقبوا جزاء ذلك وليعلموا أن الله لهم بالمرصاد وأنهم لن يفوتوا الله ﷻ، ولا شك أن هذا ليس خاصًا بالمنافقين؛ بل هو يعم أيضًا مَن فَعلَ فعلهم وشابههم في أعمالهم السيئة التي يضمرونها ضد المؤمنين. فهكذا من شابههم في إضمار الشر للمؤمنين والعدوان عليهم، فالله له بالمرصاد إذا تعدى الحدود وخالف الأوامر لأغراضه وأهوائه، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تؤاخذهم، ولا تكشف أمورهم للناس، ولا تَخَفْ منهم أيضًا ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)﴾؛ أي: كفى به وليًّا وناصرًا ومعينًا لمن توكل عليه وأناب إليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه الآية: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، محمول على إحدى حالين: إما **حالة** قبل أن يؤمر بالجهاد يعني: من كان مأمورًا بالإعراض عن الكفرة

وما أظهروا والتأليف والحلم والصفح لئلا تثور ثائرة القتال بينهم والفتنة، والمسلمون ليس عندهم الاستعداد للقتال والقوة على ذلك؛ ولهذا أمر الرسول ﷺ بالإعراض عن الكفرة في مكة وفي أول الإسلام وفي أول الهجرة أيضًا، ثم أمر بالجهاد والقتال بعد ذلك. **والحال الثاني**: أن يكون ذلك فيمن لم يظهر منهم النفاق؛ بل يظهر منهم أماراته، ويعلم منهم الأمارات ولكنهم لم يعلنوا نفاقهم ولم يظهروه، فأمر الرسول ﷺ أن يعفو ويصفح عما ظهر له منهم وعما علمه من أحوالهم لعدم وقوعه بين الناس؛ ولئلا يقال: إن محمد يقتل أصحابه ويتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه، فلهذا أعرض عن كثير من المنافقين وما يظهر منهم من أمارات النفاق وعلامات النفاق حذرًا من الفتنة ومن تفريق الصف ومن تحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه؛ فلهذا أعرض عليه الصلاة والسلام وصبر حتى شرع الله الجهاد وحتى ظهر من أمر المنافقين ما ظهر، فمن أظهر النفاق حق ما يجب لمثله، ومن كتمه وأخفاه بينه وبين الله، فالله ولي حسابه سبحانه وتعالى.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٢ - ٨٣][1].

يقول تعالى آمرًا عباده بتدبر القرآن، وناهيًا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المُحكَمة وألفاظه البليغة، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ٢٨ - ١٠ - ١٤١٥هـ

فيه ولا اضطراب، ولا تضادّ ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لو كان مفتعلًا مختلَقًا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾؛ أي: اضطرابًا وتضادًّا كثيرًا. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله. كما قال تعالى مخبرًا عن الراسخين في العلم حيث قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]؛ أي: محكمه ومتشابهه حق؛ فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا؛ ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين.

قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسًا ما أحب أن لي به حُمر النَّعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ على باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حَجْرَة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسولُ الله ﷺ: «**مُغْضَبًا حتى احمر وجهه، يرميهم بالتراب**»، ويقول: «**مَهْلًا يَا قَوْمُ بِهَذَا أُهْلِكَتِ الأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَضَرْبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»(١). وهكذا رواه أيضًا عن أبي معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عَمْرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: خرج رسولُ الله ﷺ ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر، فكأنما يُفْقَأ في وجهه حب الرُّمان من الغضب، فقال لهم: «**مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٨١).

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[١]. قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده.

ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هند، به نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يُبيِّن أن الواجب على أهل العلم الأخذ بكتاب الله ورده متشابهه إلى محكمه، فإن الله أنزله يصدِّق بعضه بعضًا، فما اشتبه وجب رده إلى المحكم كما في الحديث الصحيح: «**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**»، فما اشتبه من آيات وأحكام يرد إلى الواضح ويتبين المعنى، ولا يبقى الإشكال، والله بهذا يمتحن عباده ليتفقهوا ويتنبهوا ويتعقلوا، ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، الله جعل بعض الآيات فيها اشتباه ليتدبر المؤمن ويتعقل وينظر ويستفيد، فما أشكل عليه من ألفاظ رده إلى المحكم الواضح، ولهذا ذم الله المختلفين وأثنى على المجتمعين والمتعاونين: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ... وفي الحديث الصحيح: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا**»، وأنكر عليهم النزاع، وأخبر أن الأمة هلكت بهذا، فما عرفوه حمدوا الله عليه وعملوا به، وما أشكل وكلوه إلى الله حتى يتبين ويتضح لهم الأمر، فإذا ضُمَّت الآيات بعضها إلى بعض والأحاديث بعضها إلى بعض اتضح المشكل، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا:
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٧٨).

﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا كثير، إذا تأمله المؤمن يتعظ مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]، لغة العرب تعبر بـ(نحن) وأنزلنا وفعلنا ونحوه، يقوله... ولا سيما إذا كان له أتباع كالأمير وشيخ القبيلة ونحو ذلك، فليس فيه شبهة. وتعلّق النصارى به وقولهم أن هذا يدل على التثليث شيء باطل، كيف يكون تثليث والله يقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، هذا محكم. ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وهكذا. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] المحصنة، يعني: المزوجة محرمة، أما المحصنات المباحات فهي الحرائر العفائف، هذه مباحات، والمحصنات المحرمات يعني: المزوجات، لأن تزويجها يحرِّمها على غير من تزوجها، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] السبي فإن نكاحها يبطل، إذا كان لها زوج من الكفار سبيها يكون فرقة بينها وبينه وتحل للسابي إذا استبرأها، وأشباه ذلك. المقصود أن الإنسان إذا أشكل عليه المعنى يتأمل الآيات الأخرى الذي في المعنى حتى يتضح له المعنى من الآيات الأخرى. وهكذا السنة أيضًا تفسر وتبين..

مداخلة: عفا الله عنك! قوله: (أقبلت أنا وأخي) ما اسم أخي عبد الله.

الشيخ: ما أذكره الآن، أقول: ما أذكره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عِمْران الجَوْني قال: كتب إلي عبد الله بن رَبَاح، يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: هَجَّرتُ إلى رسول الله ﷺ يومًا، فإنا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية، فارتفعت أصواتهما فقال: «**إِنَّمَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي**

الْكِتَابِ»[١] ورواه مسلم والنسائي، من حديث حماد بن زيد، به[٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن الفائدة العظيمة ومن أسباب التحصيل على بصيرة: كثرة قراءة القرآن بالتدبر، كون طالب العلم يكون له عناية بالقرآن تدبرًا وتعقلًا وتفهمًا في الأوقات المناسبة، فإذا أشكل عليه شيء بادر إلى كتب التفسير المعتمدة واستفاد، فإن كتاب الله فيه الهدى والنور، يفسر بعضه بعضًا، فحفظ كتاب الله والإكثار من تلاوته من أعظم أسباب التحصيل وأسباب العلم النافع، وهو أصل كل خير، وهو أصل العلم، والسنة شارحة ومكملة وموضحة. فمن أهم أسباب التحصيل ومن أعظم طرق التحصيل ومن أبركها، بل ذلك هو أبركها وأعظمها: العناية بالقرآن والإكثار من تلاوته والتدبر والتعقل والنية الصالحة والإخلاص والقصد الصالح، هذا هو طريق العلم، الإكثار من قراءة القرآن والتدبر والتعقل والتفهم، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وهكذا السنة يتعقلها ويتدبرها ويعتني بصحيحها، فإنها تعينه على فهم كتاب الله وعلى فهم الحق، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ [الشورى: ٥٢] يعني: يا محمد. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن برقم (٢٦٦٦).

﴿لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢]، في الحديث الصحيح يقول: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال مسلم في «مقدِّمة صحيحه» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن حفص، حدثنا شعبة، عن خُبيب بن عبد الرحمٰن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(٢). وكذا رواه أبو داود في كتاب «الأدب» من سننه، عن محمد بن الحسين بن إشكاب، عن علي بن حفص، عن شعبة مسندًا، ورواه مسلم أيضًا من حديث معاذ بن هشام العنبري، وعبد الرحمٰن بن مهدي. وأخرجه أبو داود أيضًا من حديث حفص بن عمر النمري، ثلاثتهم عن شعبة، عن خُبَيب عن حفص بن عاصم، به مرسلًا.

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(٣)؛ أي: الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تَثبُّت، ولا تَدبُّر، ولا تبيُّن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه خطر عظيم؛ لأن الإنسان إذا تكلم بكل ما يسمع، يتكلم بالكذب، وبالباطل، وبالغيبة، وبالنميمة، يقع في كلامه الشيء الكثير من الخطأ، فالواجب على المؤمن أن يتثبت وألا يتكلم إلا بالشيء اللي يرى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة برقم (٥)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب برقم (٤٩٩٢).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] برقم (١٤٧٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات من برقم (١٧١٥).

فيه المصلحة والفائدة ويظنه صدقًا، لا يتساهل في الكلام، ولهذا (نهى ﷺ عن قيل وقال)، وقال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١).

وذم هؤلاء في كتاب الله قال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾، يعني: من غير تثبُّت، ولا بصيرة، ولا رويَّة، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢)، لا بد من التثبت حتى لا يتكلم إلا بما ينفعه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»(٣).

وفي الصَّحيح: «**مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ**»(٤).

ويذكر هاهنا حديث عمر بن الخطاب المتفق عليه، حين بلغه أن رسول الله ﷺ طَلَّق نساءه، فجاءه من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله ﷺ فاستفهمه: أطلَّقت نساءك؟ قال: «**لا**». فقلت الله أكبر. وذكر الحديث بطوله(٥).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التشويه في الكذب برقم (٤٩٩٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر... برقم (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار... برقم (٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في «زعموا» برقم (٤٩٧٢)، والإمام أحمد (٤/ ١١٩ و٥/ ٤٠١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٥٠ و٢٥٢ و٢٥٥).

(٥) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب التناوب في العلم برقم (٨٩)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء برقم (١٤٧٩).

وعند مسلم: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: «لا» فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ. ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر.

ومعنى قوله: ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾؛ أي: يستخرجونه ويستعلمونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين، إذا حفرها واستخرجها من قعورها.

ومعنى قوله: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني المؤمنين.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾، يعني: كلكم. واستشهد من نصر هذا القول. بقول الطرِمَّاح بن حكيم، في مدح يزيد بن المُهَلَّب:

أشَمَّ كثير يَدي النوال قليل المَثالب والقَادحة

يعني: لا مثالب له، ولا قادحة فيه.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٤ - ٨٧][1].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ٥ - ١١ - ١٤١٥هـ.

يأمر تعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل عليه فلا عليه منه؛ ولهذا قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمرو بن نُبَيْح، حدثنا حَكَّام، حدثنا الجراح الكندي، عن أبي إسحاق قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى مائة من العدو، فيقاتل، أيكون ممن يقول الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: قد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ورواه الإمام أحمد، عن سليمان بن داود، عن أبي بكر بن عيَّاش، عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا؛ لأن الله بعث رسوله ﷺ وقال: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنما ذلك في النفقة.

وكذا رواه ابن مردُويه، من طريق أبي بكر بن عياش، وعلي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن البراء به.

ثم قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا مسلم بن عبد الرحمٰن الْجَرْمِيّ، حدثنا محمد بن حِمْيَر، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت على النبي ﷺ: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ الآية، قال لأصحابه: «**قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا**» حديث غريب.

وقوله: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: على القتال ورغِّبهم فيه وشجِّعهم عنده كما قال لهم رسول الله ﷺ يوم بدر، وهو يسوي الصفوف: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**».

وقد وردت أحاديثُ كثيرة في الترغيب في ذلك، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي**

سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ. قَالَ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»**(١). ورُوي من حديث معاذ وأبي الدرداء وعُبادة نحو ذلك.

وعن أبي سعيد الخدْري أنّ رسول الله ﷺ قال: **«يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»**. فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ: **«وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»**. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» رواه مسلم**(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه الفضائل وأشبهها ينبغي أن يعلم منها، مع مراعاة أصل الدين وأساس الملة، فإن الفضائل كلها مقيدة بالأصول، من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا ﷺ، ومن مجاهد في سبيل الله وهو مؤمن؛ لأن اللي يرضى بالله ربًّا يقتضي الإيمان بالله، وأنه ربه، وأنه إلهه ومعبوده الحق، ويقتضي طاعة أوامره، وترك نواهيه، هذا هو الصادق، وهكذا الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الكفار يقتضي هذا العبد نفسه في طاعة الله ورسوله، والقيام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات برقم (١٨٨٤).

بحقه، وعدم التساهل، فالفضائل التي جاءت في النصوص مقيدة؛ مثل ما قال ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فلا بد من الحذر، وألا يغر الشيطان الإنسان، فيهلك نفسه بما حرم الله عليه تعلقًا بالفضائل، فالفضائل مقيدة بما جاء في النصوص الأخرى من اجتناب الكبائر، من طاعة الله ورسوله ﷺ، من ترك ما نهى الله عنه ورسوله، فالله ﷻ يرغِّب بالأعمال الصالحة، ويشجعهم عليها، مع مراعاة النصوص الأخرى الذي فيها العناية بما أوجب الله، وترك ما حرم الله، ومن هذا قول النبي ﷺ: **«يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»**(١)، في الحديث الآخر: **«ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(٢).

ومن هذا قوله ﷺ: **«من قال حين يسمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»، «مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»**(٣)، كل هذه وعد من الله بالمغفرة، هذه الأعمال لأهل الإيمان.

مداخلة: أحسن الله إليك! أقول: بعض المصائب يكون الرجل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات برقم (١٨٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا فهو مؤمن ولإن [وإن] ارتكب المعاصي الكبائر برقم (٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥٢٩)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٣٨٩)، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيها، باب ما يقال إذا أذن المؤذن برقم (٧٢١)، والإمام أحمد (٤/ ٣٣٧).

عمله قاصر، فيصيبه الله من... قاصد....... في....... فيرضى ويصبر ويحتسب، فيرفعه الله.

الشيخ: على كل الفضائل فيها خير عظيم، الفضائل والأعمال الصالحات فيها الخير العظيم، يكفر الله بها السيئات، ويرفع بها الدرجات، لكن بشرط الإيمان والتوحيد وعدم الكفر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾؛ أي: بتحريضك إياهم على القتال تنبعث هممهم على مناجزة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾؛ أي: هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل قوله في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، يعني: يكفيك الله، ثم قال بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥]، يعني: مع كفاية الله، وأنه سبحانه كافي عبده، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، مع هذا لا بد من الأخذ بالأسباب، من القتال والجهاد والتشجيع على ذلك، الله هو الذي يكفيهم سبحانه، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، هو ناصر أوليائه، وكافي أوليائه الذين اعتصموا به، واستقاموا على دينه، وعظموا أمره ونهيه.

وقوله: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ﴾؛ أي: من سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك ﴿وَمَن يَشْفَعْ

شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»، وقال مجاهد بن جَبْر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض.

وقال الحسن البصري: قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ ولم يقل: من يُشَفَّع.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ قال ابن عباس، وعطاء، وعطية، وقتادة، ومطر الوراق: ﴿مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾؛ أي: حفيظًا. وقال مجاهد: شهيدًا. وفي رواية عنه: حسيبًا. وقال سعيد بن جبير، والسدي، وابن زيد: قديرًا. وقال عبد الله بن كثير: المقيت: الواصب وقال الضحاك: المقيت: الرزاق.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحيم بن مطرف، حدثنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل، عن رجل، عن عبد الله بن رواحة، وسأله رجل عن قول الله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾، قال: يُقيت كلّ إنسان على قدر عمله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو سبحانه حسيب، وقدير، وعليم، على كل شيء مقيت، حسيبًا، وقديرًا، وعليمًا، كلها . . . ، متقاربة، المعنى متقارب، الله أكبر.

مداخلة: من أسماء الله عفا الله عنك حسيب ومقيت؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: تعد من الأسماء هذه؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: تعد من أسماء الله؟

الشيخ: نعم. نعم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: [ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

الشيخ: بركة، نعم، اللهم صلِّ عليه..

مداخلة: أحسن الله إليك! هل يوصف الله بأنه شخص؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الحديث الصحيح: «**وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِدْحَةٌ مِنَ اللهِ**»(١)، شخص قائم بنفسه، لا كالأشخاص سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قائم بنفسه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، كما يقال: ذات وشيء سبحانه، موجود، ذات وشيء وموجود كله، لكن ليس كالموجودات، وليس كالأشياء، وليس كالذوات، وليس كالأشخاص، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

مداخلة: من باب الخبر؟

الشيخ: نعم، هكذا في الصحيحين، البخاري.

مداخلة: لكن يطلق عليه من باب قبله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس من أسماء الله، ليس من الأسماء، مثل موجود وشيء، هو سبحانه حسيب، وقدير، وعليم، على كل شيء مقيت، حسيبًا، وقديرًا، وعليمًا، كلها...، متقاربة، المعنى متقارب، الله أكبر.

مداخلة: من أسماء الله حسيب ومقيت؟

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ: «**وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ**» في كتاب اللعان، برقم (١٤٩٩)، والإمام أحمد (٤/٢٤٨).

الشيخ: نعم؟

مداخلة: تعد من الأسماء هذه؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: تعد من أسماء الله؟

الشيخ: نعم. الله المستعان.

الملقي: [ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾؛ أي: إذا سلَّم عليكم المسلم، فردوا عليه أفضل مما سلَّم، أو ردُّوا عليه بمثل ما سلَّم به، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة.

قال ابن جرير: حدثني موسى بن سهل الرملي، حدثنا عبد الله بن السَّري الأنطاكي، حدثنا هشام بن لاحق، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النَّهْدي، عن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله**». ثم أتى آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله. فقال له رسول الله ﷺ: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته**». ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال له: «**وعليك**»، فقال له الرجل: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي، أتاك فلان وفلان فسلَّما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت عليَّ. فقال: «**إنك لم تدع لنا شيئًا، قال الله تعالى**: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ **فرددناها عليك**»، وهكذا رواه ابن أبي حاتم معلقًا فقال: ذكر عن أحمد بن الحسن الترمذي، حدثنا عبد الله بن السري أبو محمد الأنطاكي قال أبو الحسن: وكان رجلًا صالحًا حدثنا هشام بن لاحق، فذكر بإسناده مثله.

ورواه أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن قانع، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان، فذكره بمثله، ولم أره في المسند والله أعلم.

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إذ لو شرع أكثر من ذلك، لزاده رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يكفي، نعم المقصود: أن الآية الكريمة واضحة في أن الواجب على المسلّم عليه الرد بالمثل، والزائد فضل، ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، فالرد واجب بالمقابلة والزيادة أفضل وأكمل؛ ولهذا في الحديث: (لما قال: السلام عليكم، قال له النبي ﷺ: **السلام عليكم ورحمة الله**) زاده ورحمة الله، فلما جاء الثاني: (قال له: ورحمه الله زاده قال: وبركاته)، فلما جاء الثالث وقال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: وعليك ذلك). يعني كمل التحية، وهذا يفيد أن النهاية وبركاته، التحية الكاملة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في بعض... الأحاديث الأخرى أنه قال: (عشرًا، فلما قال: ورحمة الله، قال: عشرون، فلما جاء الثالث وقال: وبركاته قال: ثلاثون)، فالمقصود أن الله جل وعلا يحب من عباده، أن يجودوا وأن يكثروا من الفضل، وأن يستعملوا ما هو أفضل وأكمل، زيادة على الواجب، والمؤمن يختار ما هو أفضل؛ لأنه كلما زاد في العمل زاد في الحسنات، فهو خير له، كلما زاد العمل الصالح كان خيرًا له، لكن إذا قال بعد هذا: كيف حالك؟ كيف أولادك؟ هذا لا بأس هذا من زيادة التحية، من زيادة العناية بأخيه.

حكم الرد على المسلم:

مداخلة: إذا ما رد عليه يأثم؟

الشيخ: نعم، الرد واجب.

مداخلة: أحسن الله إليك، فيه تعليق على الحديث يا شيخ.

الشيخ: نعم.

مداخلة: للشيخ مقبل.

الشيخ نعم.

الحكم على حديث: إنك لم تدع لنا شيئًا:

مداخلة: والحديث ضعيف، عبد الله بن السري، قال الحافظ الذهبي في الميزان: قال ابن حبان: يروي عن أبي عمران العجائب التي لا يشك أنها موضوعة، ولكنه قد توبع كما تراه في سند ابن مردويه، وإن كان الراوي في المتابعة، عبد الباقي بن قانع فهو متكلم فيه، والحديث يدور على هشام بن لاحق، وهو ضعيف، وهذه الترجمة ترجمته في لسان الميزان.

الشيخ: الآية الكريمة كافية بالمعنى، أقول: الآية الكريمة كافيهة المعنى، الله أكبر.

مداخلة: أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم.

حكم زيادة ومغفرته بعد السلام:

مداخلة: من يقول: أن بعد وبركاته ومغفرته، هل يصح هذا؟

الشيخ: ما أعلم فيه شيء حديث صحيح، النهاية وبركاته.

مداخلة: أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم، لكن إذا دعا له بعد ذلك، كيف حالك؟ أو غفر الله لك، أو كيف أولادك؟ طيب.

مداخلة: أحسن الله إليك في زيادة، فيه كلام على زيادة: ومغفرته، في رد السلام.

الشيخ: نعم.

مداخلة: للشيخ ناصر، كلام قليل.

الشيخ: نعم.

مداخلة: في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

الشيخ: نعم.

مداخلة: قال: (كنا إذا سلَّم النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ومغفرته)، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير. قال: قال محمد: حدثنا إبراهيم بن مختار، عن شعبة، عن هارون بن سعد، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: فذكره، قلت: وهذا إسناده جيد، رجاله ثقات، كلهم من رجال التهذيب وإبراهيم بن مختار، وهو الرازي، روى عنه جماعة من الثقات، ذكرهم ابن أبي حاتم، ثم قال: سألت أبي عنه، فقال: صالح الحديث، وهو أحب إلي من سلمة بن الفضل، وعلي بن مجاهد، ومحمد الراوي عنه، هو ابن سعيد بن الأصفهان، وهو من شيوخ البخاري، في الصحيح، فالإسناد متصل غير معلق، والكلام فيه كالكلام في حديث هشام ابن عمار في الملاهي الذي رواه البخاري عنه بصيغته: قال، كما هو مذكور في محله.

الشيخ: أعد أول الحديث.

القاري: (كنا إذا سلَّم النبي ﷺ علينا، قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يكفي.. على كل حال إن صح الحديث يكون فيه الدلالة أنه لا مانع من الزيادة (ومغفرته)، وهي تدخل ضمن ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾، في العموم، لكن يحتاج إلى مزيد عناية بالسند وإلا فالعموم يعم، لكن الاقتصار على (وبركاته)، هذا هو المعروف في الأحاديث المعروفة في الأحاديث الصحيحة الكثيرة (ورحمه الله وبركاته).

حكم اقتصار المسلمين في رد السلام بقوله: وعليكم:

● **س: أحسن الله إليك، لو اقتصر أحد على قوله فقال: وعليكم.**

○ **الجواب**: يعني: عليك ما قلت: ورحمة الله وبركاته، يعني: عليك مثل ما قلت.

مداخلة: لو قال واحد: وعليكم.

الشيخ: نعم.

مداخلة: يكون.

الشيخ: يعني: عليكم ما قلتم، مثل ما قال: (إذا سلم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم) لكن نص الحديث في سنده مقال، هذه، أقول: في سنده ضعف، فإذا صرح بالكلام يكون أكمل، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يكون أكمل؛ لأن الحديث في سنده بعض المقال، ذكر الحافظ أن عبد الله بن السري هذا له مناكير.

حكم السلام بصيغة الإفراد

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ!

الشيخ: نعم.

● **س: بعض الناس يأتي بها بصيغة الإفراد وعليك.**

○ **الجواب**: ما في بأس، عليك كلها جائز هذا وهذا، إن قال: وعليك، إذا كان واحد وعليك وإن كان جماعة وعليكم، وإن قال: وعليكم في حق الجميع، كله طيب.

سلام اليهود على النبي ورده عليهم:

مداخلة: أحسن الله إليك!

● **س: اليهود كانوا يسلمون على النبيِّ ﷺ: عليك السام.**

○ **الجواب**: هذا من عمل اليهود، قبَّحهم الله، كل هذا من عمل اليهود قبَّحهم الله، ولهذا النبي ﷺ قال: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فَقُولُوا**

وَعَلَيْكُمْ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ السَّامُ عَلَيْكُمْ»(١)، يعني: عليكم ما قلتم.

● **س: إذا صرَّحوا بالسلام.**

○ **الجواب**: نعم. يقول: وعليكم، مثل ما قال ﷺ: **«وعليكم»**.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير أخو سليمان بن كثير، حدثنا جعفر بن سليمان، عن عوف، عن أبي رجاء العُطَاردي، عن عمران بن حُصَين؛ أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ: فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: **«عَشْرٌ»**. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: **«عِشْرُونَ»**. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: **«ثَلَاثُونَ»**(٢)، وكذا رواه أبو داود عن محمد بن كثير، وأخرجه الترمذي والنسائي والبزار من حديثه، ثم قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي سعيد وعلي وسهل بن حُنَيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

وقال البزَّار: قد روي هذا عن النبي ﷺ من وجوه، هذا أحسنها إسنادًا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا حميد بن عبد الرحمٰن الرؤاسي عن الحسن بن صالح، عن سِمَاك، عن عكرمة عن ابن عباس قال: من يسلم عليك من خلق الله، فاردد عليه وإن كان مجوسيًّا؛ ذلك بأن الله يقول: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

وقال قتادة: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾، يعني: للمسلمين ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾، يعني: لأهل الذمة.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة برقم (٢٩٣٥)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم برقم (٢١٦٥)..

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٣٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مثل ما تقدم مبني على عدم ثبوت الزيادة وعلى ثبوت هذا السند هذا أيضًا، لكن هذا معناه: موجود في الأحاديث الكثيرة الصحيحة.

كيفية رد السلام على غير أهل الكتاب من الكفار:

● **س: يا شيخ! أحسن الله إليك كيف يرد على غيره، الله يجزيك الخير.**

مداخلة: غير اليهود والنصارى، إذا سلم المجوسي أو الوثني؟

○ **الجواب:** هذا محل بحث، الأقرب والله أعلم أن تقول: (وعليكم)، مثل اليهود من باب أولى؛ لأنهم أكفر منهم.

مداخلة: أحسن الله إليك، إذا سلم أهل البدع المكفرة؟

الشيخ: ولأن فيه دعاية للإسلام، فيه دعوة الإسلام، والأخلاق الكريمة.

حكم رد السلام على أهل البدع:

● **س: إذا سلم أهل البدع المكفرة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بخلاف أهل البدع، أهل البدع يستحقون الهجر، أهل البدع يستحقون الهجر، كالرافضة وأشباههم، إذا عرفت أنه مبتدع مُصِر ولم يقبل الحق فهؤلاء يستحقون الهجر لا يبدءون ولا يرد عليهم، تعزيرًا لهم؛ لعلهم يرجعون؛ لعلهم ينيبون إلى الحق، بخلاف الكفار الأصليين، فالقول بأنهم يقاسوا مع اليهود، والنصارى، إذا بدءوا ليس ببعيد.

مداخلة: إنما قول النبي ﷺ قال: «**هل أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم**».

مثل ما سمعته في الحديث، أقول: مثل ما سمعته في الحديث.

الرد على اليهود والنصارى إذا سلموا بتحية الإسلام المعروفة:

• **س: أحسن الله إليك، إذا سمعت مثلًا: النصراني، أو اليهودي يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بنفس اللفظة؟**

○ **الجواب**: مثل ما قال النبي ﷺ: «**وعليكم**»، هذا عام، «**إذا سلم اليهودي فقولوا: وعليكم**»، يعني: إذا قال هذا عليه ما قال، ورحمة الله وبركاته، مثله.

الاكتفاء برد السلام من البعض إذا كانوا جماعة:

• **س: أحسن الله إليك! إذا كانوا جماعة هل يكفي بعضهم للرد؟**

○ **الجواب**: يكفي مع الجماعة أن يرد بعضهم، وأن يسلم بعضهم، لحديث علي: «**يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ وَيُجْزِئُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ**»(١).

دلالة الأحق في حديث: حق المسلم على المسلم على الوجوب:

• **س: يا شيخ أحسن الله إليك! حديث النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم» ما يكون الحق بالوجوب؟**

الشيخ: يقتضي ظاهره الوجوب الظاهر هو للوجوب، لكن المؤلف: حكى عن الجميع السنيَّة، ينبغي للؤمن ألا يتساهل، ينبغي إذا مرَّ على إخوانه أن يبدأ لكي يفوز بالأجر.

حكم السلام على الجماعة التي فيها أخلاط من المسلمين وغيرهم:

• **س: أحسن الله إليك، يا شيخ! في الوقت الحاضر السواقين وغيرهم من الخدم، في منهم كفار وفي منهم مسلمين، فإذا مررت عليهم ما أميز، هل أسلِّم؟**

○ **الجواب**: سلِّم، النبي ﷺ: مرَّ على أخلاط من المسلمين،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة برقم (٥٢١٠)

والمشركين، واليهود فسلم عليهمتنوي السلام على من يستحق السلام، والحمد لله، ولهذا في الحديث، الصحيح، يقول ﷺ لما سئل: (أي الأعمال أفضل؟ قال: «**أَنْ تُطْعِمَ الطَّعَامَ وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(١).

ما دمت ما تعرف أنه كافر تسلِّم على الجميع؟

صحة قول: لا سلام على طعام:

مداخلة: أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم؟ السؤال: إذا سلم على رجل وهو يأكل، فقال: لا سلام على طعام؟

○ **الجواب:** لا، هذا غلط، لا سلام على الطعام إلا عليه السلام، يسلم عليهم ولو هم يأكلون، يسلم عليهم، ولو هم يصلون، ولو هم يقرءون، فالمصلي يرد بالإشارة، والذي يأكل أو يقرأ يرد ثم يرجع إلى أكله وقراءته.

حكم رفع اليد مع السلام:

● **س: أحسن الله إليك، رفع اليد مع السلام بالقول؟**

○ **الجواب:** إذا صار للإشارة، ثم ما يسمع لأنه بعيد وإلا بالسيارة، (مر النبي على نساء فأشار بيده) عليه الصلاة والسلام، إذا كان للإشارة فائدة يشير...

حكم السلام ورده على المبتدع الجاهل:

● **س: أحسن الله إليك، سمعنا في بعض إجابتكم أنه إذا كان مبتدع ينشر بدعته، فلا يسلم عليه، ولا يرد عليه، أما إذا كان جاهل؟**

○ **الجواب:** هذا يعلم ينصح، إذا كان ما بعد نصح ينصح.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٦٩)

مداخلة: طيب إذا أصر؟

الشيخ: يهجر، يستحق الهجر.

مداخلة: لا يسلم ولا يرد عليه؟

الشيخ: نعم، كالرافضي وأشباهه.

حكم السلام على المرأة الشابة:

● **س: أحسن الله إليك! السلام على المرأة الشابة؟**

○ **الجواب**: السلام على الجميع، حتى النساء يسلم عليهن، ويردون.

مداخلة: يبدأ بالسلام؟

الشيخ: يبدأ بالسلام.

مداخلة: إذا خيف هنا الفتنة؟

الشيخ: ما في فتنة، والسلام ما فيه فتنة، السلام ما فيه فتنة..

الغلظة على اليهود في السلام:

مداخلة: كلام عائشة لما سلم اليهود.

الشيخ: نعم.

● **س: كلام عائشة للنبي ﷺ.**

الشيخ: نعم.

○ **الجواب**: رد عليها النبي أخبرها قال: (ألم تسمعي ما قلت لهم؟ قلت لهم مثل ما قالوا، لأنها قالت: عليكم السام واللعنة، فقال: مهلًا يا عائشة أمرها بالرفق.

مداخلة: أحسن الله إليك.

السلام على من يقضي حاجته:

● **س: أحسن الله إليك، هل جاء في السنة، أنه لا يسلَّم على أحد غير من يقضي حاجته؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل جاء في السنة النهي عن السلام على غير من يقضي حاجته؟ الإنسان حال قضاء الحاجة لا يسلم عليه.

الشيخ: نعم.

مداخلة: كذا أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم.

مداخلة: لكن هل جاء غير هذا؟

○ **الجواب**: ما أتذكر شيء، أقول: ما أتذكر الآن شيء، إلا (لا تبدأوا اليهود والنصارى) وما أشبه ذلك، النهي عن بدأة الكفار.

كيفية التسليم على الخاصة:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! تسليم الخاصة، كيف صفته؟ ورد في حديث، تسليم الخاصة من علامات الساعة، أو من أشراط الساعة؟**

○ **الجواب**: يعني: يسلم على ربعه ويخلي الناس الآخرين هذا الخاصة، إذا مر عليك صاحب سلمت عليه، والآخرين ما تسلم عليهم.

حكم تسليم الإنسان على ملائكته الذين معه:

● **س: والملائكة الذي مع الإنسان إذا سلم عليهم؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: هل له حق؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: والملائكة الذي مع ابن آدم، الحفظة والذين يحفظونا بأمر الله، هل لهم دخل في السلام؟

○ **الجواب**: الله أعلم.

حكم مصافحة الكافر:

● **س: مصافحة الكافر عفا الله عنك؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: إذا مد الكافر يده هل يصافحه؟

○ **الجواب**: لا إثم، أقول: لا إثم إذا بدأ بنية السلام إذا بدأ.

مداخلة: وهل له أن يبدأ في مد اليد؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل للمسلم أن يمد يده أولًا؟

الشيخ: لا، لا يبدأ لا، من باب أولى، لا يبدأ بالسلام فالمصافحة من باب أولى.

التسليم على الواحد بلفظ السلام عليك:

• **س: إذا كان المسلم عليه واحد، يصلح أن أقول: السلام عليك، أو الأولى: السلام عليكم؟**

○ **الجواب**: كله طيب، عليك أو عليكم، كله طيب.

القول لمن سلم عليه الكافر: رد عليه:

• **س: أحسن الله إليك، من سلم على الكافر هل يقول له: رد عليه السلام؟**

○ **الجواب**: والله يروى عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك. يروى عن ابن عمر ولكن محل نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا التنزيل فيه نظر؛ بل كما تقدم في الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن مما حياه به، فإن بلغ المسلم غاية ما شرع في السلام؛ رد عليه مثل ما قال، فأما أهل الذمة فلا يُبْدؤون بالسلام ولا يزادون؛ بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمُ السَّامُ عَلَيْكَ. فَقُلْ وَعَلَيْكَ»**[1].

---

(١) سبق تخريجه في (ص٧٦).

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ**»(١).

وقال سفيان الثوري، عن رجل، عن الحسن البصري قال: السلام تطوع، والرد فريضة.

وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة: أن الرد واجب على من سلَّم عليه، فيأثم إن لم يفعل؛ لأنه خالف أمر الله في قوله: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾. وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وبدء السلام من حق المسلم على أخيه؛ ولهذا في الحديث الصحيح: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**».

قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

فالبدء بالسلام سنَّة مؤكدة، ولو قلت: بالوجوب لكان له وجه لقوله: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وهذا أمر، لكن المؤلف حكى عن العلماء كافة بأنه سنَّة، وفي الأحاديث الصحيحة الحث على البدء: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ**

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها برقم (٥٤).

فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»، رواه مسلم في الصحيح»[١]. فمن حق المسلم على أخيه أن يبدأه بالسلام، والحديث الصحيح الآخر: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»[٢]، وفيه أيضًا جمع القلوب، والحث على تقاربها، وتآلفها، والبعد من الشحناء، بقي ما إذا سلَّم غير أهل الكتاب، مثل المجوس وغيرهم، إذا بدءوا هل يرد عليهم أو لا يرد عليهم؟

الشيخ: الأقرب والله أعلم أنه يرد عليهم، كاليهود والنصارى، يقال: (وعليكم)، وذكر اليهود، والنصارى؛ لأنهم يخالطون الناس في الغالب؛ ولأن اليهود يضمرون الشر والعداء فيأتون بكلام غير واضح، فقال: (قل: وعليكم). وإذا كان لا يبدءون فغيرهم من باب أولى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إخبار بتوحيده وتفرده بالإلٰهية لجميع المخلوقات، وتضمَّن قسمًا، لقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهذه اللام موطئة للقسم، فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر وقَسَم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾؛ أي: لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره، ووعده ووعيده، فلا إلٰه إلا هو، ولا رب سواه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يوجب الحذر والاستعداد، وأن الله سوف يجمعهم ليوم القيامة، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، وقال ﷻ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ

---

(١) أخرجه في كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام برقم (٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في فضل من بدأ بالسلام برقم (٥١٩٧).

ﱡﭐ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﱠ [التغابن: ٧ ـ ٩]. فجدير بكل مكلف، أن يتذكر هذا اليوم، ولا سيما المسلم، هو يوم عظيم، فيه الأهوال العظيمة وفيه الخطر العظيم وفيه يجاز العباد على أعمالهم، خيرها وشرها، فالواجب الإعداد لهذا اليوم العدة الصالحة، وهي: تقوى الله وطاعته والاستقامة على دينه.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ [النساء: ٨٥][1].

فهذه الآية الكريمة تدل على شرعية الشفاعة في الخير، فالمؤمن أخو المؤمن يشفع له في الخير ويشفع في الدفاع عنه ويحوطه بنصحه ويعينه بكل ما يستطيع من الخير؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾.

والمؤمن يشفع الشفاعة الحسنة ويحذر الشفاعة السيئة، فالشفاعة الحسنة كأن ترى صاحب حاجة في قضاء دينه، في زواج، في سد حاجته، ترى مظلومًا يطلب النجدة والنصرة لدفع الظلم عنه، ترى مريضًا يحتاج إلى مساعدة في علاجه فتشفع عند من له الأمر وعند من يستطيع نفعه وأنت تعلم حال هذا المسكين، فتقول: لعلك تحسن إليه، احتسب أجر الإحسان إليه في قضاء حاجته، في التخفيف عنه إذا كان مصابًا بشيء يؤذيه، في دفع الظلم عنه، إلى غير هذا من وجوه الخير، ويدل

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٤٩٩).

على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]. التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتعاون على البر والتقوى يدخل فيه قضاء حاجة أخيه والشفاعة له، وفي هذا المعنى أيضًا يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**» متفق على صحته(١).

ومعلوم أن شفاعتك في دفع الظلم عنه وفي قضاء دينه وفي إعانته على الزواج إذا كان محتاجًا لغير هذا من شؤون إخوانك داخل في الحاجة التي قال فيها ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»، وداخل في قوله ﷺ: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٢).

وفي حديث أبي موسى يقول عليه الصلاة والسلام إذا جاءه طالب حاجةٍ يقول لأصحابه: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**»(٣). إذا جاءه طالب حاجة يطلب حاجة يطلب قضاء دينه يطلب مواساته والإحسان إليه يطلب ترحيله ودفع ما يعينه على السفر إلى أهله وما أشبه ذلك، يطلب حاجة من الحاجات يقول: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»؛ يعني: أدلوا بما عندكم ساعدوا هذا المحتاج إذا كنتم تعلمون شيئًا من حاله، «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**»، الرواية

---

(١) سبق تخريجه (٣/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في حديث أبي موسى عن أبيه ﵄ من كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة برقم (١٤٣٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب الشفاعة فيما ليس للهبحرام برقم (٢٦٢٧) بلفظ: «ما أحب».

الأخرى: «**مَا أَحَبَّ**»؛ يعني: العبد عليه الشفاعة والله هو الموفق ﷻ، أما أنت تشفع أما كونه تُقضى الحاجة أو ما تُقضى هذا إلى الله ﷻ، هو الذي يشرح الصدور، هو الذي يعين على قضاء الحاجة إذا شاء، وإنما أنت شافع، فإن قبلت شفاعتك فقد حصل المطلوب، وإن لم تقبل فقد أدَّيت ما عليك، ولا يضرك ذلك.

وفي الصحيح أن بريرة عُتقت تحت عبد مملوك وكانت مملوكة جارية يقال لها بريرة عند جماعة من الأنصار باعوها مكاتبة؛ يعني: اشترت نفسها منهم بنقود مؤجلة أقساط، اشترت نفسها بثلاثمائة وستين درهما كل سنة أربعين تسع سنين أقساط، فعلمت عائشة بحالها، فقالت: إن أحب أهلك أن أعد لهم الدراهم وأعتقك فعلت، فقالت لهم فوافقوا على أن يكون الولاء لهم، فقال النبي ﷺ: «**فَإِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**»[(١)] من أعتق له الولاء؛ العقوبة والإرث والأجر.

وبعد ما عتقت كان لها زوج مملوك وخيَّرها النبي ﷺ هل تبقى معه أو تفارقه فاختارت نفسها، واختارت أنها تفارقه، فاحتج العلماء بهذا الحديث على أن المرأة المملوكة إذا عتقت تحت مملوك لها الخيار، إن شاءت بقيت معه وإن شاءت اختارت نفسها، وفسخت منه؛ لأنها صارت حرة وهو مملوك تحت تصرف غيره، وهي صارت حُرةً لها التصرف، فخيَّرها النبي ﷺ في ذلك، وكان زوجها يحبها كثيرًا وهي لا تحبه فتنازعوا في ذلك وصار يطلب من الناس الشفاعة في أن ترضى بأن تبقى معه وهي تأبى إلا الفراق، فأتاه النبي ﷺ وشفع إليها وقال: يا بريرة لو بقيت مع زوجك، فقالَتْ: (يَا رَسُولَ اللهِ تَأمُرُنِي؛ يعني: سمعًا وطاعة إن

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، برقم (٤٥٦)، ومسلم في كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، برقم (١٥٠٤).

كان أمر، قال: «**لا إِنَّمَا أَشْفَع**»[١] قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ).

هذا النبي ﷺ شفع لامرأة عتيقة جارية ما قال: هذه امرأة لا قيمة لها، ولا أشفع لها، ما حقَّرها، عليه الصلاة والسلام، ولا حقَّر زوجها وهو يبكي عليها، بل شفع فدل ذلك على أن الشفاعة مطلوبة من الكبير إلى الصغير، ومن الصغير إلى الكبير، وأنه ينبغي للمؤمن التواضع في قضاء حاجة إخوانه، والإحسان إليهم ولو كانوا من عامة الناس، ومن فقراء الناس، فهذه امرأة جارية عتيقة رأى النبي ﷺ حرص زوجها عليها وبكاءه عليها فشفع إليها أن ترجع إليه، وأن ترضى ببقائها معه، فقالت: تَأْمُرُنِي أو تشفع، عندها علم، عندها بصيرة، إن كان أمرًا فأنا أسمع وأطيع، فإن كان شفاعة ليس بأمر قالت: لا ليس بي حاجة، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا أَشْفَع**» فقالت: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.

فدل ذلك على أن الشافع ليس بلازم أن يطاع، الشافع محسن إن قبل منه المشفوع إليه فلا بأس، وإن لم يقبل فلا حرج، إذا شفعت إلى إنسان يزوج فلانًا بنته أو يزوج أخته، قال: جزاك الله خيرًا، لكن أنا ما أوافق زواجه على بنتي ولا أختي، هو أعلم بنفسه، قد يكون عنده موانع، أو شفعت إليه أن يسامح الدَّين الذي عليه، قال: لا، أنا ما أسامح أصبر حتى يوفي الله عنه، الحمد لله ما هو لازم أنت أديت ما عليك وما أشبه ذلك، الشافع محسن، هو بذل معروفًا فإن قبل منه هذا هو المطلوب والحمد لله، فإن لم يقبل فلا شيء عليه، وإن كان المشفوع إليه ظالمًا، فالإثم عليه، وإن كان ليس بظالم فلا تلزمه الشفاعة، وهو أعلم بنفسه وبحاجاته.

*

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه في كتاب الطلاق، باب خيار الأمة إذا أعتقت برقم (٢٠٧٥).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء: ٨٨ ـ ٩١][١].

يقول تعالى منكرًا على المؤمنين في اختلافهم في المنافقين على قولين، واختلف في سبب ذلك، فقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز، حدثنا شعبة، قال عدي بن ثابت: أخبرني عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ خرج إلى أُحُد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم. وفرقة تقول: لا، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**إنها طَيْبة، وإنها تنفي الذُّنوبَ كما تنفي النار خَبَثَ الفضة**». أخرجاه في الصحيحين، من حديث شعبة[٢].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أحد برقم (٤٠٥٠) وفي كتاب التفسير، باب ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ برقم (٤٥٨٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها برقم (١٣٨٤).

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يَسار في وقعة أحد أن عبد الله بن أُبي بن سلول رجع يومئذ بثلث الجيش، رجع بثلاثمائة وبقي النبي ﷺ في سبعمائة.

وقال العوفي، عن ابن عباس: نزلت في قوم كانوا بمكة، قد تكلموا بالإسلام، كانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس، وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم. وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله! أو كما قالوا: أتقتلون قومًا قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟ أمِنْ أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم تستحل دماؤهم وأموالهم. فكانوا كذلك فئتين، والرسول عندهم لا ينهى واحدًا من الفريقين عن شيء، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

رواه ابن أبي حاتم، وقد رُوي عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا.

وقال زيد بن أسلم، عن ابنٍ لسعد بن معاذ: أنها نزلت في تقاول الأوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبيّ، حين استعذر منه رسول الله ﷺ على المنبر في قضية الإفك.

وهذا غريب، وقيل غير ذلك.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾؛ أي: ردهم وأوقعهم في الخطأ.

قال ابن عباس: ﴿أَرْكَسَهُم﴾؛ أي: أوقعهم. وقال قتادة: أهلكهم. وقال السدي: أضلهم.

وقوله: ﴿بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾؛ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾؛ أي: لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه.

ثم قال: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾؛ أي: هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾؛ أي: تركوا الهجرة، قاله العوفي عن ابن عباس. وقال السدي: أظهروا كفرهم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾؛ أي: لا توالوهم ولا تستنصروا بهم على الأعداء ما داموا كذلك.

ثم استثنى الله، سبحانه من هؤلاء فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾؛ أي: إلا الذين لجؤوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم. وهذا قول السدي، وابن زيد، وابن جرير.

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جُدْعان، عن الحسن: أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر يعني النبي ﷺ على أهل بدر وأُحُد، وأسلم من حولهم قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مُدْلج فأتيته فقلت: أَنْشُدُك النعمة. فقالوا: صه، فقال النبي ﷺ: «**دعوه، ما تريد؟**». قال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم تَخْشُن قلوب قومك عليهم. فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد فقال: «**اذهب معه فافعل ما يريد**». فصالحهم خالد على ألا يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، ومن وصل إليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم فأنزل الله: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة، وقال: فأنزل الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم وهذا أنسب لسياق الكلام.

وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد وأصحابه وعهدهم.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسخها قوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ الآية، هؤلاء قوم آخرون من المُسْتَثنَين عن الأمر بقتالهم، وهم الذين يجيئون إلى المصاف وهم حَصِرَةٌ صدورهم؛ أي: ضيقة صدورهم مُبْغضين أن يقاتلوكم، ولا يهون عليهم أيضًا أن يقاتلوا قومهم معكم؛ بل هم لا لكم ولا عليكم. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ﴾؛ أي: من لطفه بكم أن كفهم عنكم ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾؛ أي: المسالمة ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾؛ أي: فليس لكم أن تقتلوهم، ما دامت حالهم كذلك، وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين، فحضروا القتال وهم كارهون، كالعباس ونحوه، ولهذا نهى النبي ﷺ يومئذ عن قتل العباس وعبّر بأسره.

وقوله: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ الآية، هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك، فإن هؤلاء منافقون يظهرون للنبي ﷺ ولأصحابه الإسلام؛ ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ويصانعون الكفار في الباطن، فيعبدون معهم ما يعبدون، ليأمنوا بذلك عندهم، وهم في الباطن مع أولئك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، وقال هاهنا: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾؛ أي: انهمكوا فيها.

وقال السدّي: الفتنة هاهنا: الشرك. وحكى ابن جرير، عن مجاهد: أنها نزلت في قوم من أهل مكة، كانوا يأتون النبي ﷺ فيسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان، يبتغون بذلك أن يأمنوا هاهنا وهاهنا، فأمر بقتالهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾؛ أي: عن القتال ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: أين لقيتموهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾؛ أي: بيّنًا واضحًا.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ [النساء: ٨٨][١].

قال ابن عبّاسٍ: بدّدهم. فئةٌ: جماعةٌ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال على **(أركسهم)** الشّارح؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٥٧)]: «قوله: **(بابٌ**: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾): قال ابن عبّاسٍ: بدّدهم. وصله الطّبريّ من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ قال: بدّدهم.

ومن طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ قال: أوقعهم. ومن طريق قتادة قال: أهلكهم. وهو تفسيرٌ باللّازم؛ لأنّ الرّكس: الرّجوع؛ فكأنّه ردّهم إلى حكمهم الأوّل». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود ظاهر السّياق واضحٌ في أنّه ﴿أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾؛ يعني:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

أهلكهم بما كسبوا؛ حتّى وقعوا في ما وقعوا فيه نسأل الله العافية. بسبب نفاقهم وظلمهم نسأل الله العافية.

*

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ وعبد الرّحمن، قالا: حدّثنا شعبة، عن عديٍّ، عن عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ رجع ناسٌ من أصحاب النّبيّ ﷺ من أحدٍ، وكان النّاس فيهم فرقتين: فريقٌ يقول: اقتلهم، وفريقٌ يقول: لا، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، وقال: «إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الْخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

من عادة الجاهليّة التفرّق والاختلاف وعدم الانصياع للحكم الشّرعيّ، هذا شأن المنافقين، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٢ ـ ٩٣](٢).

---

(١) سبق تخريجه في (ص٨٩).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله الأحد الليل ٢٥ ـ ٥ ـ ١٤٠٧هـ و ١٧ ـ ٦ ـ ١٤٠٧هـ الأحد الليلي وفجر الأربعاء ١٢ ـ ١١ ـ ١٤١٥هـ.

يقول تعالى: ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه، كما ثبت في الصَّحيحين، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ»**(١).

ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث، فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه. وقوله: ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾، قالوا: هو استثناء منقطع، كقول الشاعر:

من البيض لم تَظْعن بعيدًا ولم تَطَأْ على الأرض إلا رَيْطَ بُرْد مُرَحَّل

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أن هذه الأمور يحكم فيها ولاة الأمور ونوَّابهم؛ لئلا تقع الفوضى والفساد، فعلى ولي الأمر إذا ثبت الزنا أن يأمر بالحد، وإذا ثبت العدوان وقتل النفس بغير حق أن يأمر بالقصاص إذا لم يسمح الورثة بالدية، وليس ذلك بأيدي أفراد الناس، إنما هذا لولي الأمر في البلد أو نائبه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقوله: ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾، قالوا: هو استثناء منقطع، كقول الشاعر:

من البيض لم تظعن بعيدًا ولم تطأ على الأرض إلا ريط برد مرحل]

الشيخ: إلا..

مداخلة: إلا ريط برد مرحَّل.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ برقم (٦٨٧٨)، ومسلم في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم برقم (١٦٧٦).

الشيخ: إلا ريح؟

مداخلة: ريط.

مداخلة: إلا ريط.

الشيخ: أيه، نعم.

مداخلة: إلا ريط برد مرحل. ولهذا شواهد كثيرة، واختلف في سبب نزول هذه الآية، ومعنى ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ يعني أن ليس له إلا أن يقع ذلك خطأً منه، ليس للمؤمن والمؤمنة العدوان على أخيهما، إلا أن يقع هذا خطأً، الخطأ قد يقع، وأما في الشرع فليس له قتله عمدًا، بل ذلك من أكبر الكبائر وأعظم الجرائم، أما الخطأ فيقع، قد يرمي صيدًا فيصيب إنسان، قد يرمي هدفًا فيصيب إنسان، قد يشتغل في آلة لإصلاحها فتسقط من يده وتصيب إنسان.. إلى غير هذا من أنواع الخطأ.

مداخلة: أول ما يقضى يوم القيامة في الدماء؟

الشيخ: نعم، هكذا جاء في الحديث... بين الناس، الله أكبر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى هذا أن الله جَلَّ وَعَلَا حرم على الناس دماءهم، فليس لأحد أن يقتل أحدًا إلا بحق، ثم إذا وجب الحق فاللي يتولى ذلك هو ولي الأمر، إن كان قصاصًا قصاصًا، وإن كان حدًّا حدًّا، فولي الأمر أو نائبه من القواد أو الأمراء بعدما يثبت الحكم الشرعي هم يتولون ذلك، وليس لأفراد الرعية أن يتعدى على أحد، بل ذلك إلى ولاة الأمور؛ لأن ذلك هو الواجب عليهم، تنفيذ ما أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قصاص أو حدود، ولهذا قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي**

رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ»[١]، أي: لا يحل لمسلم قد التزم الإسلام واستقام على الإسلام، ليس له شيء من هذه الثلاث، بل عليه أن يتقي الله وأن يحذر ما حرم الله عليه، وأن يتباعد عن كل ما يغضب الله ﷻ، وليس له إراقة دم أخيه، سواء كان إمامًا أو قاضيًا أو غير ذلك إلا بإحدى ثلاث: «**الثَّيِّبُ الزَّانِي**»، وهو المحصن الذي قد تزوَّج ووطئ الزوجة، ويقال له: مُحصِن بالكسر، ويقال: محصَن بالفتح، الذي تزوج زواجًا شرعيًّا حصل معه الوطء، فهذا هو الثيب. «**وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ**» قتل فيُقتل، قَتل مكافئه فيُقتل به، إذا توافرت الشروط الشرعية في ذلك. ثالثًا: «**التارك لدينه**» يعني: المرتد عن الإسلام، لقول النبي ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**». «**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»، يعني: المفارق لجماعة المسلمين وإن كان بينهم، وإن كان بين أظهرهم، متى أتى بناقض من نواقض الإسلام فقد فارق الجماعة، وإن كان فيما بينهم موجودًا.

وهذه الثلاث تجمع أسباب القتل، فإن التارك لدينه يدخل فيه جميع أنواع المرتدين، كل أنواع المرتدين داخلون في التارك لدينه المفارق للجماعة. ويلحق بذلك: قطَّاع الطريق، فإنهم قد تركوا دينهم الذي يلزمهم، وهو الكف عن أذى الناس وعن ظلم الناس، فإذا تعرضوا لهم في الطرقات أو في البلاد بالقوة والسلاح فهم قطاع الطريق، فلولي الأمر إذا أمسكهم أن يقتل أو يصلب أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفيهم من الأرض، حفظًا لأمن المسلمين، واحتياطًا لهم، وحرصًا على استتباب الأمن. ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾، يعني: ما كان يليق بالمؤمن ولا يجوز له أبدًا أن

(١) سبق تخريجه في (ص٩٥).

يتعدى على أخيه، اللهم إلا أن يكون خطأ، الخطأ يقع من الإنسان، قد يرمي صيدًا فيصيب إنسان، يسقط منه السلاح وهو يعمل فيه شيء فتصيب أحدًا، يرمي الشبح الهدف الغرض يرميه فيصيب أحدًا، إلى غير هذا من أسباب الخطأ. ولهذا عقب هذا بقوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾، ولهذا ما يليق للمؤمن أن يتعاطى أسبابًا يحصل بها القتل؛ لعظم الجريمة لعظم الخطأ، وعظم الوعيد في ذلك، فلا يقدم على ذلك ويتعمد ذلك إلا مَن ضعُف إيمانه وقلَّ خوفه من الله ﷻ، وغلب عليه داعي الهوى والشيطان، فلهذا شرع الله أن يعاقب بالقصاص، فإن سمحوا فالدية، فإن سمحوا عن القصاص والدية فإليهم، لكنه متوعد بهذا الوعيد العظيم، ومن تاب تاب الله عليه ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

واختلف في سبب نزول هذه فقال مجاهد وغير واحد: نزلت في عياش بن ربيعة أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه وهي أسماء بنت مُخَرِّمة، وذلك أنه قتل رجلًا كان يعذبه مع أخيه على الإسلام، وهو الحارث بن يزيد العامري، فأضمر له عَيّاش السوء، فأسلم ذلك الرجل وهاجر، وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه، فظن أنه على دينه، فحمل عليه فقتله. فأنزل الله هذه الآية.

قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: نزلت في أبي الدرداء؛ لأنه قتل رجلًا وقد قال كلمة الإسلام حين رفع السيف، فأهوى به إليه، فقال كلمته، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال: إنما قالها متعوذًا. فقال له: «**هل شققت عن قلبه**»، وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والصحيح هذه القصة لأسامة بن زيد رضي الله عن الجميع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾. هذان واجبان في قتل الخطأ، أحدهما: الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم، وإن كان خطأ، ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزئ الكافرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ومن شرطهما يعني الكفارة أن تكون الكفارة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وحكى ابن جرير، عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم النَّخَعِي والحسن البصري أنهم قالوا: لا يجزئ الصغير حتى يكون قاصدًا للإيمان. وروي من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة قال: في حرف، أبي: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ لا يجزئ فيها صبي.

واختار ابن جرير إن كان مولودًا بين أبوين مسلمين أجزأ، وإلا فلا. والذي عليه الجمهور: أنه متى كان مسلمًا صح عتقه عن الكفارة، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا هو الصواب، العبرة به نفسه، بالعتيق إذا كان مسلمًا أجزأ، سواء كان صغيرًا كبيرًا، وسواء كان أبواه مسلمين أو كافرين أو أحدهما، العبرة به نفسه؛ لأن الله قال: ﴿رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، فلا يجوز الزيادة على ذلك.

الأسئلة:

- **س: أحسن الله إليك، من اشترط السلامة من العيب، وأرضاهم للعمل؟**

الشيخ: نعم؟

○ **الجواب**: أقول: من اشترط الرقبة أن تكون سليمة من العيب؟

الشيخ: ليس بعيد القول بهذا ليس ببعيد كما يقال في الضحايا والهدايا والمطلقات ما هو بعيد.

● **س: وإن كان القاتل لم يبلغ بارك الله فيك؟**

الشيخ: نعم؟

○ **الجواب**: وإن كان القاتل لم يبلغ يعني يقتل إذا كان القاتل صغيرًا لم يبلغ؟

الشيخ: لا لا، هذا يعتبر خطأ، قتل الخطأ، إذا كان القاتل صغير ما يصير عمد يصير خطأ.

وقال الإمام أحمد: أنبأنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزُّهري، عن عبد الله بن عبد الله، عن رجل من الأنصار؛ أنه جاء بِأَمَةٍ سوداء، فقال: يا رسول الله، إن عليَّ رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أَتَشْهَدِينَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ**». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَتَشْهَدِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ**». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَتُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا**»(١). وهذا إسناد صحيح، وجهالة الصحابي لا تضر.

وفي موطأ الإمام مالك ومسندي الشافعي وأحمد، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود والنسائي، من طريق هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء قال لها رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا**»، قالت:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٥١).

أنت رسول الله ﷺ، **قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»**[١].

وقوله: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتيل، عوضًا لهم عما فاتهم من قريبهم. وهذه الدية إنما تجب أخماسًا، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث الحجاج بن أرطأة، عن زيد بن جبير، عن خشف بن مالك، عن ابن مسعود قال: قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ عشرين بنت مخاض، وعشرين بني مخاض ذكورًا، وعشرين بنت لبون، وعشرين جَذَعة وعشرين حِقَّة.

لفظ النسائي، وقال الترمذي: لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عبد الله موقوفًا. وكذا روي عن علي وطائفة.

وقيل: تجب أرباعًا. وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل، لا في ماله، قال الشافعي رحمه الله: لم أعلم مخالفًا أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة، وهو أكثر من حديث الخاصة وهذا الذي أشار إليه رحمه الله، قد ثبت في غير ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: اقتتلت امرأتان من هُذَيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى أن دية جنينها غُرَّة عبد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها[٢]، وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية، لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثًا كالعمد، لشبهه به.

وفي صحيح البخاري، عن عبد الله بن عمر قال: بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن

---

(١) أخرجه مسلم مطولًا في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة برقم (٥٣٧).

(٢) ذكره في الأم (٦/ ١٠١).

يقولوا: أسلمنا. فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فرفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**»(١). وبعث عليًّا فودى قتلاهم وما أتلف من أموالهم، حتى مِيلَغة الكلب. وهذا الحديث يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾؛ أي: فتجب فيه الدية مسلَّمة إلى أهله إلا أن يتصدقوا بها فلا تجب.

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: إذا كان القتيل مؤمنًا، ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب، فلا دية لهم، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: أهل حرب، الظاهر ليس بشرط، إن كانوا عدو لنا وهم كفار فإنه لا دية عليه، إنما عليه الكفارة، القاتل عليه الكفارة؛ لأن الكفار لا يجزون، فليس لهم الدية، وإنما تجب الكفارة في قتل المؤمن الذي ليس له وارث مؤمن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الآية، فإن كان القتيل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم، فإن كان مؤمنًا فدية كاملة، وكذا إن كان كافرًا أيضًا عند طائفة من العلماء، وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم، وقيل: ثلثها كما هو مفصل في كتاب الأحكام، ويجب أيضًا على القاتل تحرير...

الشيخ: هذا إذا كان القتيل له عهد وأمان، هذا تعطى الدية ورثته، أما إذا كان القتيل مؤمنًا وأقاربه كفار فليس فيه إلا الكفارة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد برقم (٤٣٣٩).

• **س: الدية على العاقلة؟**

○ **الجواب**: العاقلة: العصبة، أقرب العصبة، الأغنياء.

• **س: ... الذي يقسمه ولي الأمر أحسن الله إليك؟**

○ **الجواب**: المحكمة، ولي الأمر، نائب ولي الأمر، ينظر فيهم، ويسأل عنهم، ويتبصر عنهم، ويعرف أحوالهم، يقسمها عليهم.

• **س: أحسن الله إليك! قتل الصغير هل تبقى الكفارة في رقبته حتى يبلغ؟**

○ **الجواب**: الصواب ما عليه كفارة؛ لأنه لا ذنب له، الصواب أنه ليس عليه كفارة إذا كان صغير، لا قصاص ولا كفارة، بس الدية.

مداخلة: لعل يا شيخ! صيام شهرين في الذي أتى امرأته في رمضان..

• **س: الذي أتى امرأته في رمضان، أو جامع زوجته قبل التحلل الأول، الشهرين يا شيخ لو قطع يوم واحد مثل مريض كان مريض، هل يستأنف ولّا يبني يا شيخ؟**

الشيخ: الذي جامع زوجته في رمضان، والذي ظاهر من زوجته شهرين متتابعين كالقتل.

مداخلة: لكن أفطر يوم واحد لعذر؟

○ **الجواب**: إذا أفطر بغير عذر يعيدها كلها، وأما إذا كان بعذر شرعي يبني.

مداخلة: يقضي هذا اليوم بعد الشهرين؟

الشيخ: يبني، يكمل ستين يوم، يكمل ستين يوم ويبني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ الآية؛ أي: فإن كان القتيل

أولياؤه أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتيلهم، فإن كان مؤمنًا فدية كاملة، وكذا إن كان كافرًا أيضًا عند طائفة من العلماء. وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم، وقيل: ثلثها، كما هو مفصَّل في كتاب الأحكام، ويجب أيضًا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾؛ أي: لا إفطار بينهما؛ بل يسرد صومهما إلى آخرهما، فإن أفطر من غير عذر، من مرض أو حيض أو نفاس، استأنف. واختلفوا في السفر: هل يقطع أم لا؟ على قولين.

وقوله: ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾؛ أي: هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين.

واختلفوا فيمن لا يستطيع الصيام: هل يجب عليه إطعام ستين مسكينًا، كما في كفارة الظهار؟ على قولين؛ **أحدهما**: نعم. كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار، وإنما لم يذكر هاهنا؛ لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير، فلا يناسب أن يذكر فيه الإطعام لما فيه من التسهيل والترخيص. **القول الثاني**: لا يعدل إلى الإطعام؛ لأنه لو كان واجبًا لما أخَّر بيانه عن وقت الحاجة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب فليس فيه إلا العتق، فإن لم يستطع فالصيام، أما الإطعام فإنما هو في حكم الظهار والوطء في رمضان. أما القتل فليس فيه إلا هذا أو هذا؛ لأنه أعظم، وجريمته أكبر، فصارت عقوبته أشد، إذا استطاع العتق وجب العتق، فإن عجز صام شهرين متتابعين، وإن عجز بقي في ذمته هذان الأمران حتى يستطيع أحدهما: إن استطاع العتق أعتق، وإن لم يستطع صام..

مداخلة: أما الظهار يجوز فيه الإطعام؟

الشيخ: نعم، نصُّ القرآن، ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث، فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه.

وقوله: ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ قالوا: هو استثناء منقطع، كقول الشاعر:

من البيض لم تَظْعن بعيدا ولم تَطَأ   على الأرض إلا رَيْطَ بُرْد مُرَحَّل

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٩٢﴾ قد تقدَّم تفسيره غير مرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى عليم: عليم بأحوال عباده، وعليم بما يصلحهم، حكيم في ما يشرعه ويقدره سبحانه وتعالى، ليس بعابث، بل أحكامه كلها على العدل والحكمة جَلَّ وَعَلَا؛ لأنها تصدر عن علم بأحوال عباده، وعن عدل، فهو الحكيم العليم جَلَّ وَعَلَا في ما يفرضه على عباده، وبما يعاقبهم به، له الحكمة البالغة، والعلم الكامل سبحانه وتعالى.

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك! يصام عنه ومات ولم يصم؟**

○ **الجواب**: مثل ما قال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**» إذا تيسر.

حكم جمع القاتل خطأ الدية من غير العاقلة:

● **س: عفا الله عنك! بعض من يقع في قتل الخطأ يأتي للصفوف ويجمع الأموال، فهل يعطى ويكافى من غير العاقلة؟**

○ **الجواب**: إذا كان الصك حكم عليه بالدية هو قد يكون لا عاقلة له، وقد يكون له عاقلة فقراء، فيكون عليه الدية هو، إلا أن يسلمها بيت المال، وإذا كان مع عصبته من يؤدي عليه يعطى ويساعد إذا كان فقير.

لأن الصحيح أنه إذا كان لا عاقلة له، أو عاقلته فقراء يلزم بالدية هو، ما وجد البديل، إلا أن يتولى بيت المال أداءها عنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم لما بيَّن تعالى حكم القتل الخطأ، شرع في بيان حكم القتل العمد، فقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول، سبحانه، في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الآية [الفرقان: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًّا. من ذلك ما ثبت في الصَّحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(١).

وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود، من رواية عمرو بن الوليد بن عبدة المصري، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ**»(٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة برقم (٦٥٣٣)، ومسلم في كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة برقم (١٦٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن، باب تعظيم قتل المؤمن برقم (٤٢٧٠).

وفي حديث آخر: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»(١).

وفي الحديث الآخر: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ»(٢).

وفي الحديث الآخر: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللهَ ﷻ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ»(٣).

وقد كان ابن عباس ﵄، يرى أنه لا توبة للقاتل عمدًا لمؤمن.

وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا مغيرة بن النعمان قال: سمعت ابن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة، فَرَحَلْتُ إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء.

وكذا رواه هو أيضًا ومسلم والنسائي من طرق، عن شعبة، به

ورواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل، عن ابن مهدي، عن سفيان الثوري، عن مغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾ فقال: لم ينسخها شيء.

[وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قال عبد الرحمٰن بن أبزة: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن برقم (١٣٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الديات، باب الحكم في الدماء برقم (١٣٩٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الدياث، باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا برقم (٢٦٢٠).

فقال: لم ينسخها شيء]. وقال في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: نزلت في أهل الشرك.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، حدثني سعيد بن جبير ـ أو حدثني الحكم، عن سعيد بن جبير ـ قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمنًا متعمدًا، فجزاؤه جهنم ولا توبة له. فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم.

حدثنا ابن حميد، وابن وَكِيع قالا: حدثنا جرير، عن يحيى الجابر، عن سالم بن أبي الجَعْد قال: كنا عند ابن عباس بعد ما كُف بصره، فأتاه رجل فناداه: يا عبد الله بن عباس، ما ترى في رجل قتل مؤمنًا متعمدًا؟ فقال: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾، قال: أفرأيت إن تاب وعمل صالحًا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه، وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده! لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا مَتَعَمِّدًا يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا قَاتِلَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِيَسَارِهِ وَآخِذًا رَأْسَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا فِي قُبُلِ الْعَرْشِ يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ عَبْدَكَ فِيمَ قَتَلَنِي؟**»(١)، وأيم الذي نفس عبد الله بيده! لقد أنزلت هذه الآية، فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ، وما نزل بعدها من برهان.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت يحيى بن المُجَبَّر يحدث عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس؛ أن رجلًا أتاه فقال: أرأيت رجلًا قتل رجلًا متعمِّدًا؟ فقال: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٤٠).

جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ قال: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ. قال: أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى؟ قال: وأنى له بالتوبة. وقد سمعت رسول الله ﷺ. يقول: **«ثكلته أمه، رجل قتل رجلًا متعمدًا، يجيء يوم القيامة آخذًا قاتله بيمينه أو بيساره ـ وآخذًا رأسه بيمينه أو بشماله ـ تَشْخَب أوداجه دمًا من قبل العرش يقول: يا رب، سل عبدك فيم قتلني؟»**.

وقد رواه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن عمار الدُّهني، ويحيى الجابر وثابت الثمالي عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس، فذكره وقد روي هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة.

وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف: زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وعبيد بن عمر، والحسن، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم.

وفي الباب أحاديث كثيرة: من ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في تفسيره: حدثنا دَعْلَج بن أحمد، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البُوشَنْجي وحدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن فهد قالا: حدثنا عبيد بن عبيدة، حدثنا مُعْتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي عمرو بن شُرَحْبِيل، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: **«يجيء المقتول متعلقًا بقاتله يوم القيامة، آخذًا رأسه بيده الأخرى فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟»** قال: **«فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول: فإنها لي»**. قال: **«ويجيء آخر متعلقًا بقاتله فيقول: رب، سل هذا فيم قتلني؟»** قال: **«فيقول قتلته لتكون العزة لفلان»**. قال: **«فإنها ليست له بؤْ بإثمه»**. قال: **«فيهوي في النار سبعين خريفًا»**.

وقد رواه عن النسائي، عن إبراهيم بن المُسْتَمِرِّ العَوْفي، عن عمرو بن عاصم، عن معتمر بن سليمان، به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ثور بن يزيد، عن أبي عون، عن أبي إدريس قال: سمعت معاوية، ﵁، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**».

وكذا رواه النسائي، عن محمد بن المثنى، عن صفوان بن عيسى، به.

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا سَمُّوَيْه، حدثنا عبد الأعلى بن مُسْهِر، حدثنا صَدَقَةُ بن خالد، حدثنا خالد بن دِهْقان، حدثنا ابن أبي زكريا قال: سمعت أم الدرداء تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا، أو من قتل مؤمنًا متعمدًا**».

وهذا غريب جدًّا من هذا الوجه. والمحفوظ حديث معاوية المتقدم فالله أعلم.

ثم روى ابن مَردويه من طريق بَقَيَّةَ بن الوليد، عن نافع بن يزيد، حدثني ابن جبير الأنصاري، عن داود بن الحُصَين، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**من قتل مؤمنًا متعمدًا فقد كفر بالله** ﷻ»(١) وهذا حديث منكر أيضًا، وإسناده تُكُلم فيه جدًّا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا النضر، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد قال: أتاني أبو العالية أنا وصاحب لي، فقال لنا: هلما فأنتما أشب شيئًا مني، وأوعى للحديث مني، فانطلق بنا إلى بِشْر بن

---

(١) انظر: الكامل لابن عدي (٣/ ١٠٥٩).

عاصم ـ فقال له أبو العالية: حدث هؤلاء حديثك. فقال: حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال: بعث النبي ﷺ سرية، فأغارت على قوم، فشد من القوم رجل، فاتبعه رجل من السرية شاهرًا سيفه فقال الشاد من القوم: إني مسلم. فلم ينظر فيما قال، فضربه فقتله، فَنَمَى الحديث إلى رسول الله ﷺ فقال فيه قولًا شديدًا، فبلغ القاتلَ. فبينا رسول الله ﷺ يخطب، إذ قال القاتلُ: والله ما قال الذي قال إلا تعوذًا من القتل. قال: فأعرض رسول الله ﷺ عنه وعمن قِبله من الناس، وأخذ في خطبته، ثم قال أيضًا: يا رسول الله، ما قال الذي قال إلا تعوذًا من القتل، فأعرض عنه وعمن قِبله من الناس، وأخذ في خطبته، ثم لم يصبر، فقال الثالثة: والله يا رسول الله ما قال إلا تعوذًا من القتل.

فأقبل عليه رسول الله ﷺ تُعرف المساءةُ في وجهه، فقال: «**إن الله أبى على من قتل مؤمنًا**» ثلاثًا. ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة الذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه ﷻ، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملًا صالحًا، بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طِلابته.

قال الله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٩، ٧٠]. وهذا خبر لا يجوز نسخه. وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذا عام في جميع الذنوب، من كفر وشرك، وشك ونفاق، وقتل وفسق، وغير ذلك: كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك، وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها، لتقوية الرجاء، والله أعلم.

وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس، ثم سأل عالمًا: هل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟! ثم أرشده إلى بلد يَعْبد الله فيه، فهاجر إليه، فمات في الطريق، فقبضته ملائكة الرحمة. كما ذكرناه غير مرة، إن كان هذا في بني إسرائيل فَلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى؛ لأن الله وضع عنا الأغلال والآصار التي كانت عليهم، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة. فأما الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، وقد رواه ابن مردويه مرفوعًا، من طريق محمد بن جامع العطار، عن العلاء بن ميمون العنبري، عن حجاج الأسود، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعًا، ولكن لا يصح ومعنى هذه الصيغة: أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون كذلك مُعَارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه، على قولي أصحاب الموازنة أو الإحباط. وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، والله أعلم بالصواب.

وبتقدير دخول القاتل إلى النار، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحًا ينجو به، فليس يخلد فيها أبدًا؛ بل الخلود هو المكث الطويل. وقد تواردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى

ذرة من إيمان. وأما حديث معاوية: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**»: «عسى» للترجي، فإذا انتفي الترجي في هاتين الصورتين لا ينتفى وقوع ذلك في أحدهما، وهو القتل؛ لما ذكرنا من الأدلة. وأما من مات كافرًا؛ فالنص أنه لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة، ولا فرق بين المقتول والمسروق منه، والمغضوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة، ولا بد من أدائها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من الطلابة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع الطلابة وقوع المجازاة، وقد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوِّض الله المقتول من فضله بما يشاء، من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك، والله أعلم.

ثم للقتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قف على هذا. وقد أجاد المؤلف فيه هذا رَحِمَهُ اللَّهُ أجاد وأحسن، وهذا الذي قاله المؤلف من صحة توبة القاتل هو الصواب، وهو الحق، وهو قول جمهور أهل العلم، خلافًا لابن عباس.

ومن قال بقوله فالصواب الذي عليه جمهور أهل العلم وهو الحق، والذي قامت عليه الأدلة أن القاتل كغيره، متى تاب توبة صادقة تاب الله عليه، القاتل وأرضى عنه المقتول، إما بما يعطى من حسنات القاتل وأعماله الصالحة، وإما بما يشاؤه الله من فضله وإحسانه جَلَّ وَعَلَا. وأما أولياء المقتول فلهم حقوقهم من القصاص والدية، إذا أعطيت حقوقهم سقطت حقوقهم. فالحاصل: أن الصواب أن القاتل له توبة، فليس القتل أعظم من الشرك، الشرك هو أعظم وأكبر، ومتى تاب المشرك تاب الله عليه.

فالقاتل والزاني وشارب المسكر وغير ذلك كلهم من باب أولى، كلها دون الشرك، فمن تاب توبة صادقة تضمَّنت الندم على ما مضى منه، والعزيمة ألا يعود في ذلك، والإقلاع عن ذلك، تاب الله عليه ﷻ. وحق القتيل لا يضيع حقه محفوظ، الله يعطيه حقه ﷻ يوم القيامة، إما من حسنات القاتل وأعماله الصالحة، وإما من فضله وجوده وكرمه، مما يشاء سبحانه من أنواع النعيم. وهذا نص الآية الكريمة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. ونص آية الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]، ثم قال بعدها: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ هذا صريح ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. وحمله على المشركين لا يجوز؛ لأن الآية عامة، والقتل يكون من المشرك ويكون من غيره، يكون من المسلم ويكون من غيره، وهكذا الزنا.

فالحاصل: أن ما قاله الجمهور هو الصواب، وهو ما قاله المؤلف هنا، ونصره المؤلف هنا، وأن القاتل له توبة، ولو فرض أنه دخل النار ولم يتب، فإنه لا يخلد فيها، الخلود اللي يخلده الكفار، فالخلود هو الذي قاله الله خالدًا فيها: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] هذا خلود خاص وهو: طول المكث في النار. فإن العرب عندهم الخلود خلودان: خلود مؤبد، وهذا للكفار. وخلود له نهاية، وهو: الإقامة الطويلة. فالقاتل ونحوه وإن وقع في النار ودخل النار بسبب ذنبه العظيم، وإن طال مكثه لكن له نهاية، لا بد أن يخرج إلى الجنة؛ لأنه موحد مسلم. فبهذا يعلم أن جميع أهل المعاصي عند أهل السُّنَّة والجماعة لا يخلدون خلود الكفار، وإنما يخلد من خلد منهم خلودًا خاصًا، يعني: بمعنى طول الإقامة، كما يقول العرب: أقاموا فأخلدوا؛ أي: طوَّلوا، هذا هو قول أهل السُّنَّة خلافًا للخوارج. أما الخوارج والمعتزلة هاتان الطائفتان

تريان خلود أهل المعاصي نعوذ بالله، وأن من دخل النار لا يخرج منها، وهاتان الطائفتان ضالتان، قد حادتا عن طريق الهدى، وخالفتا الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ في خروج العصاة من النار. قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما: «**أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»، «**مثقال ذرة من إيمان**». وأن النبي ﷺ يشفع، والأنبياء يشفعون، والملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والمؤمنون يشفعون. هؤلاء الفجرة الخوارج والمعتزلة ضيعوا هذه الشفاعات، وقالوا: من دخلها لا يخرج منها أبدًا، نسأل الله العافية، وقولهم من أبطل الباطل، وأضل الضلال، فلا يجوز الالتفات إليهم ولا التعلق بقولهم. أما أهل السُّنَّة والجماعة فهم مجمعون على أن العاصي وإن دخل النار لا يخلد خلود الكفار، ما عدا ما جاء من ابن عباس ومن معه في القاتل خاصة، وأنه لا بد من دخوله النار، لكن ليس معناه أنه يخلد، معناه هنا أنه لا بد من تعذيب، ثم بعد ذلك يخرجه الله منها، بعدما يشاء سبحانه وتعالى.

الأسئلة:

حكم من مات وفي ذمته حقوق للناس ناس كالدين ونحوه:

● **س: الدين رعاك الله الذي هو في ذمة المسلم في حقوق الآخرين؟**

○ **الجواب**: الدين كذا لا يضيع إن أوفاه وإلا أوفى الله عنه، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**» رواه البخاري[(١)].

في الصحيح، الدين إذا كان عاجز معسر ما عليه شيء، يوفي الله عنه، إذا كانت نيته الوفاء، وقصده الوفاء. أما إذا قصده اللعب بأموال

---

(١) سبق تخريجه في (٥/ ٩٢).

الناس فهذا لا، مثل بقية أهل المعاصي، ولهذا في الحديث: «**وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**». يكون معرَّضًا للوعيد وعلى خطر من دخول النار، إلا أن يعفو الله عنه بجوده وفضله، أو بأسباب أعمال صالحة رجحت بسيئاته.

مداخلة: كذا يفسر الوعيد الذي لا يغفر ذنب صاحب الذنب؟

الشيخ: يعني هذا ما له أصل يغفر ذنبه، إنما ما يغفر الدَّين، وإلا هو يغفر له، لكن دينه يبقى معلق.

معنى قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩].

● **س: معنى قوله: ﴿مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] أيش؟.**

الشيخ: نعم؟

○ **الجواب**: الإهانة ضد العزة.

مداخلة: يهان دائمًا؟ أي: ذليلًا حقيرًا إلى أن تنتهي المدة التي كتبها الله، ثم يخرجه الله من النار، يعني: الزاني والقاتل، أما المشرك لا، يبقى دائمًا ذليلًا فيها إلى أبد الآباد لا خروج له، نسأل الله العافية.

الشيخ: كما قال سبحانه في الكفرة: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] نسأل الله العافية. وقال فيها بسورة المائدة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما في الدنيا فتسلَّط أولياء المقتول عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ثم هم مخيرون بين أن يَقتلوا، أو يعفوا، أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثًا: ثلاثون حِقَّة، وثلاثون جَذْعَة، وأربعون خَلِفَة كما هو مقرر في كتب الأحكام.

واختلف الأئمة: هل تجب عليه كفارة عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام؟ على أحد القولين، كما تقدم في كفارة الخطأ، على قولين: فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون: نعم، يجب عليه؛ لأنه إذا وجبت الكفارة في الخطأ فلأن تجب عليه في العمد أولى. وطردوا هذا في كفارة اليمين الغَمُوس، واعتضدوا بقضاء الصلوات المتروكة عمدًا، كما أجمعوا على ذلك في الخطأ.

قال أصحاب الإمام أحمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر، فلا كفارة فيه، وكذا اليمين الغموس، ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة المتروكة عمدًا، فإنهم يقولون: بوجوب قضائها وإن تركت عمدًا.

وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن إبراهيم بن أبي عَبْلَة، عن الغَرِيف بن عياش، عن واثلة بن الأسقع قال: أتى النبيَّ ﷺ نفر من بني سليم فقالوا: إن صاحبًا لنا قد أوجب. قال: «**فليعتق رقبة، يفدي الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار**»[١].

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣][٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نَعُوذُ بِاللهِ.

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانِ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العتق، باب في ثواب العتق برقم (٣٩٦٤).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قال: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ: «آيَةٌ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَرَحَلْتُ فِيهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه من آيات الوعيد المعروفة، وقد ظنّ بعض النّاس أنّها تدلّ على أنّ القاتل لا يتاب عليه، وروي هذا عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكن الّذي عليه أهل الحقّ وأهل السّنّة والجماعة قاطبةً أنّها من جنس بقية الآيات الّتي فيها الوعيد، والأحاديث الّتي فيها الوعيد، وأن هذا جزاؤه إن جازاه، هذا جزاؤه إن جازاه، فهو تحت مشيئة الله.

وهذا أيضًا ما لم يتب، فليس شرًّا من المشرك؛ بل المشرك شرٌّ منه، فإذا تاب المشرك قبلت توبته، فهكذا القاتل، فإذا تاب توبةً صادقةً قبل منه، وحقّ القتيل لا يضيع، وحقّ الأولياء لا يضيع. أمّا حقّ الله فيسقط بالتّوبة، هذا بالإجماع.

وقد حمل ما يروى عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه للتنفير والتحذير، وأنّ الحقيقة أن التّوبة تصحّ منه، ويغلب على ظني أنّه ورد عنه ما يدلّ على هذا المعنى.

وبكلّ حالٍ فالواجب حمل ما جاء عنه على هذا المعنى، وهو التنفير من القتل، لا أنّ معناه أنّه لو تاب توبةً صادقةً لا تصحّ توبته؛ هذا باطل، والنّصوص تدلّ على بطلانه، وعموم الآيات والأدلّة الكثيرة من السّنّة تدلّ على أن التّوبة عامّةٌ.

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن جبير. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا...﴾ إلخ برقم (٤٥٩٠)، ومسلم في كتاب التفسير، برقم (٣٠٢٣).

وقصّة الرجل الّذي قتل تسعةً وتسعين شخصًا، ثمّ تممّ المائة بالرّاهب، ثمّ تاب الله عليه فتاب؛ وقبلت توبته، وقد قتل مائةً؛ فكيف بمن قتل الواحد والاثنين؟! من باب أولى.

فالمقصود: أنّ الّذي عليه أهل الحقّ أن هذا جزاؤه إن جازاه؛ كما قال أبو هريرة رضي الله عنه لما سئل قال: هذا جزاؤه إن جازاه. وإن عفا فهو أهل العفو سبحانه وتعالى. وإذا تاب فلا خلاف أن توبته مقبولةٌ، إذا صحّت وتوفرت شروطها كسائر المعاصي، والقتيل يرضيه الله بما يشاء من أنواع الثّواب وأنواع الخير وأنواع النّعيم، والورثة لهم الدّية إن لم يسمحوا، فعلى كلّ حالٍ التّوبة بابها مفتوحٌ للقاتل وغيره[١].

---

(١) وقال سماحته في القراءة الثانية: وهذا ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وجماعةٌ يرون القاتلَ لا توبةَ له، ولكن الذي عليه عامَّةُ العلماءِ وجمهورهم أن له توبةً، والآية من بابِ الوعيد: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، من بابِ الوعيدِ.
وبعضُهم حملَها على المستحلِّ، على من استحلَّ ذلك كالبغويِّ وجماعة قالُوا: إذا استحلَّ ذلك. والصَّواب: أنَّها من بابِ الوعيدِ، وأن هذا وعيدٌ عامٌّ، من استحلَّ ومن لم يستحلّ، فهو متوعَّدٌ بهذا العذابِ الشَّديدِ، إلا أن يعفو اللهُ عنه، أو يتوب، فمن تابَ تابَ اللهُ عليهِ.
فإذا تاب وعمل صالحًا فالله يتوب عليه جل جلاله وهو القائلُ سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].
فمن تاب تاب الله عليه، الشِّركُ أعظم من القتل، ومع هذا من تاب تاب الله عليه.
وقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما هنا، قال بعضُهم: إنه من باب الزجر، أنه أراد الزجر، وأنه يعلم أن التوبة مقبولةٌ.
وعلى كل تقديرٍ فهو ضعيفٌ، القول بأنه لا توبةَ له قولٌ ضعيفٌ، إلا أن يحملَ على أن حقَّ القتيلِ لا يضيعُ، هذا صحيحٌ، حقُّ القتيلِ لا يضيعُ، إذا تاب توبةً صحيحةً فالله يعوض القتيلَ، ويعظم له الأجورَ، ويعفو عن القاتلِ بتوبته، ويعوِّض القتيل من فضله وجوده وكرمه سبحانه وتعالى.

• س: عفا الله عنك: يعني تقيّد بشرطين عدم التّوبة وأن يجازى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، وعدم العفو، هذا جزاؤه إن جازاه ولم يعف، إن لم يكن تائبًا، ثمّ الخلود خلودٌ مؤقتٌ، ما هو خلودٌ دائمٌ، الخلود الّذي ورد في أهل المعاصي كالقاتل والزاني ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، وقاتل نَفْسه: «**وَمَنْ قَتَلَ نَفْسه بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيْهَا أَبَدًا**»(١)، كلّه معناه العذاب الّذي يستمرّ مدةً طويلةً، لا يعلم مداها إلّا الله، لكنّه لا يخلّد خلودًا دائمًا مثل الكفّار، لا؛ بل له نهايةٌ.

فالخلود خلودان: خلودٌ له نهايةٌ كما تقول العرب: أقاموا فأخلدوا: طوّلوا يعني، وخلودٌ لا نهاية له وهو خلود الكفّار ـ نعوذ بالله ـ هذا ليس له نهايةٌ، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، هؤلاء عذابهم مستمرٌّ نعوذ بالله.

أمّا العصاة إذا دخلوا النّار فلا يخلّدون، لكن مُددهم متفاوتةٌ على حسب أعمالهم الخبيثة الّتي ماتوا عليها غير تائبين، وقد ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ أنّه يشفع في أهل النّار من العصاة، ويشفّع في جماعاتٍ كثيرة يشفع فيهم، ويشفع أربع شفاعاتٍ، في كلّ مرةٍ يحد الله له حدًّا فيخرجهم من النّار، أربع مراتٍ، ويشفع الملائكة، ويشفع المؤمنون، ويشفع الأفراط، ويشفع الأنبياء شفاعات.

---

(١) سبق تخريجه في (٥/ ١٩٩).

قال: ثمّ يبقى قومٌ في النّار ـ لم تشملهم الشّفاعات ـ «**لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»(١)، غير أنّهم يقولون: لا إله إلّا الله؛ يعني: موحِّدون؛ فيخرجهم الله من النّار بفضل رحمته ﷻ، بعد شفاعة الشفعاء، ثمّ بعد ذلك تطبق على أهلها وتوصد على أهلها فلا خروج منها ـ والعياذ بالله ـ أبد الآباد، نسأل الله العافية.

- **س: وحقوق الخلائق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الحقوق مثل ما تقدّم ربّنا يرضيهم ويعطيهم حقوقهم، تارةً من أعمال العبد، وتارةً يرضيهم الله من أنواع النّعيم ﷻ، حقّ المخلوق لا يضيع.

- **س: أحسن الله إليك: ما ثبت تراجع ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: جاء في بعض الرّوايات أنّه قاله على سبيل التهديد والتحذير.

- **س: أحسن الله إليك: المستحلّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المستحلّ ما فيه كلامٌ؛ كافرٌ، إذا استحلّ كفر، إذا مات على هذا فهذا مأواه، وإن تاب تاب الله عليه، حتّى المستحلّ إذا تاب تاب الله عليه، كمن استحلّ الزّنا واستحلّ الخمر ثمّ تاب؛ الشّرك أعظم فإذا كان مشركًا إذا تاب تاب الله عليه؛ فما دونه من باب أولى.

- **س: أحسن الله إليك: يعني الوعيد لغير التائب؟**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ برقم (٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوعيد عامٌّ، يعمّ المستحلّ وغير المستحلّ، لكن من استحل كَفَر كُفرًا أكبر، ومن لم يستحل صار كُفرًا دون كفرٍ، «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١)، ثمّ هو إذا مات على ذلك متوعدٌ بالنّار داخلٌ في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فقد يعفا عنه ويرضي الله القتيل، وقد يعذّب بقدر معصيته، ثمّ يخرجه الله من النّار؛ كسائر أهل الكبائر، تحت مشيئة الله ﷻ، لكن من تاب رفع عنه العذاب، من تاب توبةً صادقةً من الشّرك والقتل والمعاصي رفع الله عنه العقوبة كما في آية الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [٧٠].

● **س: أحسن الله إليك: المستحلّ ما يكفر ولو لم يقتل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، من استحلّ يكفر ولو ما قتل، من استحلّ قتل المسلم بغير حقٍّ أو استحلّ الزّنا ولو لم يزن، أو استحلّ الخمر ولو لم يشرب الخمر يكفر، هكذا من قال: إنّ ترك الصّلاة جائزٌ أو ترك الزّكاة جائزٌ وإن لم يتركها يكفر.

● **س: عفا الله عنك: أليس من تمام توبة القاتل أن يمكّن ورثة القتيل من قتله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، هذا من تمام توبته، إذا ما تمكّنوا؟، التّوبة ناقصةٌ؛ معرَّضٌ للوعيد أو يعطيهم الدّية إذا رضوا بها. نسأل الله العافية.

*

(١) متفق عليه من حديث جرير رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء برقم (١٢١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارًا... إلخ» برقم (٦٥).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾ [النساء: ٩٤][1].

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بُكَيْر، وحسين بن محمد، وخلف بن الوليد، قالوا: حدثنا إسرائيل، عن سِمَاك، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: مرَّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنمًا له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلَّم علينا إلا ليتعوَّذ منا. فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ إلى آخرها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على وجوب التثبت في القتل، وأن من أظهر الإسلام وجب الكف عنه، وألا يتعرض له بالقتل حتى يتبين ما يوجب ردته، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾، يعني: تثبتوا، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ الآية.

المقصود من هذا: هو الأمر بالتثبت، وعدم العَجَلة في الحكم على من أظهر الإسلام بأنه منافق أو بأنه قاله تعوذًا؛ بل يجب التثبت حتى ينظر في أمره، ويجب الكف عنه؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ على أسامة كما في الصَّحيحين: لما لحق بإنسان من المشركين فقال: لا إله إلا الله،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في ٣ ـ ٦ ـ ١٤٠٧ وفجر الأحد ٧ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

وكان مع أسامة رجل من الأنصار، فكف الأنصاري ولم يقتله، وأما أسامة فأقدم وقتله، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!**» قال: إنما قالها تعوذًا لما رأى السلاح! قال: «**هلَّا شققت عن قلبه؟! أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!**» فلم يزل يقول له ذلك حتى قال أسامة: فتمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ.

المقصود أن من أظهر الإسلام وترك الكفر يجب التثبت في أمره والكف عنه، وألا يعجل عليه إلا إذا رئي منه بعد ذلك ما يوجب الردة، وهذا في حق من كان لا يقول: لا إلٰه إلا الله، ينكرها، مثل كفار قريش وأشباههم من العرب، أما من كان يقول: لا إلٰه إلا الله ولكنه قد كفر بأمر آخر، بعبادة الأوثان، بسب الدين، بأشياء أخرى؛ هذا لا يكف عنه بقول: لا إلٰه إلا الله، إذا كان عنده مكفرات أخرى لم يتب منها ولم يقبل الحق، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، ولو قال: لا إلٰه إلا الله، ولو صلَّى وصام، إذا حصل منه ما يوجب الردة من سب الدين وسب الرسول ﷺ، وسب الله ﷻ، الاستهزاء بالدين وما أشبه ذلك، أو جحد شيء مما أوجبه الله من الأمور الظاهرة العظيمة المعروفة من الدين بالضرورة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك، أو جحد شيئًا مما حرمه الله وقال: إنه حلال، مما هو معروف من الدين بالضرورة كالزنا والسرقة ونحو ذلك؛ فهذا يقتل، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل ولو قال: لا إلٰه إلا الله. إنما الكف عمن قال: لا إلٰه إلا الله إذا كان لا يقولها في كفره ثم قالها، فهذا معناه أنه أظهر الإسلام، فيكف عنه وينظر في أمره، فإن استمر فهو أخونا له ما لنا وعليه ما علينا، وإن ظهر منه بعد ذلك ما يدل على الردة جوزي على ذلك، بأن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه الترمذي في التفسير، عن عبد بن حميد، عن عبد العزيز بن أبي رِزْمَة، عن إسرائيل، به. وقال: هذا حديث حسن، وفي الباب عن

أسامة بن زيد. ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، به. ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[(١)].

ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى وعبد الرحيم بن سليمان، كلاهما عن إسرائيل، به وقال في بعض كتبه غير التفسير ـ وقد رواه من طريق عبد الرحمٰن فقط ـ: وهذا خبر عندنا صحيح سنده، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا، لعلل منها: أنه لا يعرف له مُخرج عن سِمَاك إلا من هذا الوجه، ومنها: أن عكرمة في روايته عندهم نظر، ومنها: أن الذي أنزلت فيه الآية مختلف فيه، فقال بعضهم: أنزلت في مُحَلِّم بن جَثَّامَةَ، وقال بعضهم: أسامة بن زيد. وقيل غير ذلك.

(قلت): وهذا كلام غريب، وهو مردود من **وجوه**:

أحدها: أنه ثابت عن سِمَاك، حدَّث به عنه غير واحد من الكبار.

الثاني: أن عكرمة محتج به في الصحيح.

الثالث: أنه مروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس، كما قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قال: قال ابن عباس: كان رجل في غُنَيْمَة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غُنَيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ تلك الغنيمة. قرأ ابن عباس (السلام)[(٢)].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال: لحق المسلمون رجلًا في غُنَيْمَة فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَته فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة النساء برقم (٣٠٣٠).
(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء برقم (٤٥٩١)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠٢٥).

أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من طريق سفيان بن عيينه، به (وقد ذكرت في المسند في ترجمة جزء بن الحدرجان ﷺ أن أخاه فزارًا هاجر إلى رسول الله ﷺ عن أمر أبيهم بإسلامهم وإسلام قومهم فلقيه سرية لرسول الله ﷺ في عماية الليل، وكان قد قال لهم: إنه مسلم فلم يقبلوا منه فقتلوه، قال جزء: فقدمت إلى رسول الله ﷺ، فأعطاني ألف دينار دية أخي وأمر لي بمائة ناقة، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الخلاصة: أن الواجب على المسلمين الأخذ بالظواهر وعدم حمل الناس على أسواء الظنون، فمن أظهر الإسلام قُبل منه ظاهر الإسلام حتى يتبين منه خلاف ذلك، ولا يجوز التأويل وحمله على أسواء المحامل، بل يجب الأخذ بالظاهر وحمله على أحسن المحامل حتى يتبين خلاف ذلك، ومن هذا قصة أسامة لما قتل، لما توجه إلى بعض المشركين، فلما رفع السيف عليه قال له: لا إله إلا الله، فقتله أسامة بعدما قالها، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأنكر عليه النبي ﷺ ذلك، قال: (أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟! كيف لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟! قال: يا رسول الله! إنما قالها تعوذًا، قال: هلَّا شققت عن قلبه).

المقصود: أن الواجب على المسلمين في حق من أظهر الإسلام أن يقبلوا ظاهره، وأن يكفوا عنه السلاح حتى يتبين كذبه فيكون مرتدًا حينئذٍ.

● **س: أحسن الله إليك! إذا اختلف أئمة الجرح في رجل كونه صحابي أم لا؟ ولم يعرف بجرح ماذا يكون..؟**

○ **الجواب**: ينظر في الأدلة والأصل عدم الصحبة، ينظر في الأدلة إذا وجد ما يدل على أنه صحابي عمل بذلك وإلا فالأصل عدم الصحبة

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قصة محلِّم بن جَثَّامة فقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه عبد الله ابن أبي حدرد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضَم، فخرجت في نفر من المسلمين، فيهم: أبو قتادة الحارث بن رِبْعي، ومحلِّم بن جَثَّامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، على قَعُود له، معه مُتَيِّع ووَطْب من لبن، فلما مر بنا سلم علينا، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله، بشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومُتَيِّعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾ تفرد به أحمد[1].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا جرير، عن ابن إسحاق، عن نافع؛ أن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ مُحَلِّم بن جَثَّامة مبعثًا، فلقيهم عامر بن الأضبط، فحياهم بتحية الإسلام وكانت بينهم إحنة في الجاهلية، فرماه محلم بسهم فقتله، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ، فتكلم فيه عيينة والأقرع، فقال الأقرع: يا رسول الله، سن اليوم وغيِّر غدًا. فقال عيينة: لا والله، حتى تذوق نساؤه من الثُّكل ما ذاق نسائي. فجاء محلم في بردين، فجلس بين يدي رسول الله ليستغفر له، فقال رسول الله ﷺ: **«لا غَفَرَ الله لك»**. فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات، ودفنوه، فلفظته الأرض، فجاءوا إلى النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١١).

فذكروا ذلك له، فقال: «**إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله أراد أن يعظكم من جرمتكم**» ثم طرحوه بين صدفي جبل وألقوا عليه الحجارة، ونزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله المستعان نسأل الله العافية لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال البخاري: قال حبيب بن أبي عَمْرَة، عن سعيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ للمقداد: «**إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلتَه، فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل**».

هكذا ذكر البخاري هذا الحديث معلقًا مختصرًا وقد روي مطولًا موصولًا فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا حماد بن علي البغدادي، حدثنا جعفر بن سلمة، حدثنا أبو بكر بن علي بن مُقَدَّم، حدثنا حبيب بن أبي عَمْرَة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله. وأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلًا شهد أن لا إلٰه إلا الله؟ والله لأذكرَن ذلك للنبي ﷺ. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إن رجلًا شهد أن لا إلٰه إلا الله، فقتله المقداد. فقال: «**ادعوا لي المقداد. يا مقداد، أقتلت رجلًا يقول: لا إله إلا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله غدًا؟**». قال: فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، فقال رسول الله ﷺ

للمقداد: «**كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه، فقتلْتَه، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل**».

وقوله: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ﴾؛ أي: خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام، وأظهر إليكم الإيمان، فتغافلتم عنه، واتهمتموه بالمصانعة والتقية؛ لتبتغوا عَرَضَ الحياة الدنيا، فما عند الله من المغانم الحلال خير لكم من مال هذا.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يُسرّ إيمانه ويخفيه من قومه، كما تقدم في الحديث المرفوع آنفًا، وكما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ الآية [الأنفال: ٢٦]، وهذا هو مذهب سعيد بن جبير، كما رواه الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ تخفون إيمانكم في المشركين.

ورواه عبد الرزاق، عن ابن جُرَيْج، أخبرني عبد الله بن كثير، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ تستخفون بإيمانكم، كما استخفى هذا الراعي بإيمانه.

وهذا اختيار ابن جرير. وقال ابن أبي حاتم: وذُكر عن قيس، عن سالم، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ تورَّعون عن مثل هذا، وقال الثوري عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ لم تكونوا مؤمنين ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾، وقال السدي: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: تاب عليكم، فحلف أسامة لا يقتل رجلًا يقول: «لا إله إلا الله» بعد ذلك الرجل، وما لقي من رسول الله ﷺ فيه.

وقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تأكيد لما تقدم. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾ قال سعيد بن جبير: هذا تهديد ووعيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تثبتوا، التبيُّن التثبت، يعني تثبتوا ولا تعجلوا حتى يتبين الأمر، مثل ما قال ﷻ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] يعني تثبتوا حتى تعلموا صحة الخبر أو عدم صحة الخبر.

والمعنى: احذروا فإن الله يعلم كل شيء، فاحذورا أن تقترفوا معصيته أو تتساهلوا بأمره، أو تقدموا عرض الدنيا على ما أوجب الله عليكم، الواجب الحذر، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١]، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وهذا الحكم يعم في جميع الأمور، التثبت في الأمور كمثال، الواجب على المؤمن التثبت في الأمور، وهكذا في بيته ومع إخوانه وزملائه ومع غيرهم لا يعجل في الأمور ولا يقبل أخبار المجهولين أو الفسقة، لا. لا بد من التثبت في كل شيء، التثبت واجب حتى لا تقع المصيبة، حتى لا يقع في الخطأ، فإذا جاء من يقول له: فعل أهلك كذا. أو فعل ولدك كذا. أو فعل جارك كذا. أو فعل فلان كذا. لا يبادر بالتصديق بل يتثبت ينظر في الأمر حتى لا يقع في مصيبة. الله المستعان.

الأسئلة:

مداخلة: فلفظته الأرض.

الشيخ: لفظته، من باب (ضرب)، لفظ يلفظ.

مداخلة: يعني: يدفن فتخرجه الأرض...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

دفنوه فلفظته الأرض، يعني: أطلعته الأرض على وجهها للعظة

والذكرى؛ ليتعظ الناس من شدة جريمته، قال الرسول الله ﷺ فيما جاء في هذا الحديث: «**إن الأرض تقبل من هو شر منه من الكفرة، ولكن الله ليعظنا**»، (فعل هذا ليعظكم)، يعني: لتحذروا القتل بغير حق. الله المستعان.

مداخلة: أليس هذا سنده شيء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في سنده نظر، في سنده سفيان بن وكيع ضعيف رحمه الله، هذا السند ضعيف، لكن لو صح فهو من باب العظة، من باب العظة والذكرى، اللَّهُمَّ صلِّ على محمد، وكونه قال: «**لا غفر الله لك**» من باب التغليظ والتعزير والتحذير من قتل النفوس بغير حق، نسأل الله السلامة.

مداخلة: إسناده في البخاري. . . .

الشيخ: نعم؟

الملقي: إسنادها في البخاري شبيه بقصة. . برجل لفظته الأرض. .

الشيخ: ما أتذكر.

مداخلة: إذا خسف قبر بأحد، أو نزل عليه؟

الشيخ: يواسى ويرفع حتى لا يطأه الناس.

مداخلة: هل هذا من عذاب القبر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يجعله مثل بقية القبور حتى لا يمتهنه الناس.

مداخلة: وهل لفظها بسبب دعاء. .؟ النبي عليه ﷺ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، لو صح من باب التعزير والتحذير، أنه يجوز أن يدعى على من أتى جريمة عظيمة للتنفير منها، نعم. مثل ما قال النبي ﷺ: «**قاتل الله اليهود والنصارى**»، قاتل الله فلانًا، نعم. اللَّهُمَّ صلِّ على محمد.

مداخلة: أقول: لو حصلت قصة مثل هذه مثلًا في بلد من البلدان أو حي أيكون موعظة لأهل..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من باب العظة، إذا دفن ولفظته الأرض من باب العظة، وأنه أتى جريمة عظيمة اقتضت ذلك. نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك.

مداخلة: لكن الحكم الشرعي، يعني: ما يدفن لو كلما دفن لفظته الأرض؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يحط عليه حجارة، ويحط في محل بعيد عن طريق الناس مثل ما فعلوا..

مداخلة: ولا يغطى؟.

الشيخ: يحط عليه حجارة، يغطى بالحجارة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤][1].

السَّلْم والسَّلَامُ والسِّلْمُ واحد.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قال: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ، فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ:

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ» قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (السَّلَامَ)[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أكبر، والمعنى: أن الواجب التّثبّت، من أظهر الإسلام يتثبّت فيه ولا يظنّ به السوء، يقال: ما تلفّظ بالسّلام إلّا لخوفٍ من السّلاح، وأنّه ليس بمسلم لا، الله قال: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، فَلَا بدَّ من التَّثبُّتِ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، لأجل غنيمةٍ من الغنم أو الإبل لا، الواجب التّثبّت؛ فإذا أظهر الإسلام وجب أن يصان دمه، وأن يقبل منه إسلامه وألا يتعرّض له بسوءٍ، فإذا تبيّن بعد هذا ردته وكفره بعد ذلك أمكن أن يقتل.

وهذا من عظيم إحسان الله إلى عباده، وعظيم لطفه بعباده؛ لأنّ النّاس قد يعجلون، وقد يسيئون الظّنون، فلا بدّ من التّريّث والتّثبّت حتّى يعلم حال الشّخص الّذي أظهر الإسلام هل هو صادقٌ أو متعوّذ؟ فإن كان صادقًا فالحمد لله، وإن أبدى بعد هذه الرّدّة والكفر والعداء للإسلام أمكن قتله وسوف يعذره الله.

وهذا يفيد وجوب التّثبّت، وأن من ألقى السّلام وهو كافر فهذا علامة أنّه دخل في الإسلام، يتثبّت في أمره ولا يستعجل في قتله، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

فالواجب التّثبّت، والتّبيّن: التّثبّت، فمن شكّ في إسلامه نظر فيه

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٢٥).

وتثبّت فيه وسئل، فإن كان أسلم فالحمد لله، وإن كان لم يسلم استتيب؛ فإن تاب وإلّا قتل، إذا لم يكن من أهل الجزية، فإن كان من أهل الجزية طولب بالجزية.

● **س: إذا اعتدى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا اعتدى يؤخذ باعتدائه، مثل غيره كلّ من اعتدى يعامل بما شرع الله في حقه.

❋

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦](١).

قال البخاري: حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾. حدثنا محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال النبي ﷺ: «**ادع فلانا**» فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال: «**اكتب:** ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»، وخَلْفَ النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فجر الأربعاء ١٠ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

رسول الله، أنا ضرير فنزلت مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وقال البخاري أيضًا: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني ابن كَيْسان، عن ابن شهاب، حدثني سهل بن سعد الساعدي: أنه رأى مَروان بن الحكم في المسجد، قال: فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله ﷺ أملى عَلَيّ: «**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**». فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يمليها عليَّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله على رسول الله ﷺ، وفَخِذه على فخذي، فثقلت عليَّ حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ انفرد به البخاري دون مسلم(١).

وقد روي من وجه آخر عن زيد، فقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أنبأنا عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد قال: قال زيد بن ثابت: إني قاعد إلى جنب رسول الله ﷺ، إذ أُوحِي إليه، قال: وغشِيَته السكينة، قال: فوقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة. قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئًا قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، ثم سُري عنه فقال: «**اكتب يا زيد**». فأخذت كتفًا فقال: «**اكتب**: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾»، فكتبت ذاك في كتف، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلًا أعمى فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى، وأشباه ذلك؟ قال زيد: فوالله ما مضى كلامه أو ما هو إلا أن قضى كلامه حتى غشيت النبي ﷺ السكينة، فوقعت فخذه على فخذي، فوجدت من ثقلها كما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء برقم (٤٥٩٢).

وجدت في المرة الأولى، ثم سري عنه فقال: «**اقرأ**». فقرأت عليه: «**لا يستوي القاعدون من الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ**»، فقال النبي ﷺ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ قال زيد: فألحقتها، فوالله لكأني أنظر إلى مُلْحَقها عند صدع كان في الكتف[(١)]، ورواه أبو داود، عن سعيد بن منصور، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، به نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أنهم لا يستوون، لا يستوي المجاهدون مع القاعدين، فهو فرق عظيم بين هؤلاء وهؤلاء، لكن المعذور غير داخل في ذلك، المعذور لمرض أو عمى أو عجز من جهة المال، أو عجز من جهة المرض أو نحو ذلك معذور، إذا كانت نيته الجهاد، وهو يحب الجهاد ويرغب في الجهاد لكنه معذور يلحق بالمجاهدين، وإن كان لم يشارك، ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[(٢)]، في اللفظ الآخر: «**إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**»[(٣)].

فالذين حبسهم العذر هم مع المجاهدين له أجره وأجرهم، إذا كان الذي حبسه هو العذر لولا العذر لجاهد. هكذا من حبسه العذر عن الصلاة في الجماعة، عن الجمعة، عن عيادة المريض، عن عمل صالح آخر، يكون له أجره ومن عمله، بسبب العذر، ولهذا في الحديث

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب برقم (٤٤٢٣)، ومسلم من حديث جابر في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر. وفيه حبسهم المرض برقم (١٩١١).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الجهاد برقم (٢٧٦٥)، والإمام أحمد (٣/ ٣٠٠).

الصحيح يقول ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»(١)، فإذا مرض حتى تأخر عن صلاة الجماعة أو الجمعة، كتب الله له أجر المصلين في الجماعة والجمعة، وهكذا إذا سافر، كان من عادته الصيام مثلًا، فسافر وأفطر من أجل السفر كتب الله له أجر الصائمين، وهكذا. نعم. وهذا من فضل الله وكرمه، وجوده، ومن محاسن هذا الدين، أن المعذور ملحق بالعامل. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن الزهري، عن قَبيصة بن ذُؤَيب، عن زيد بن ثابت، قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال: «**اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**» فجاء عبد الله ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله إني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى، قد ذهب بصري. قال زيد: فثقلت فَخذ رسول الله ﷺ على فخذي، حتى خشيت أن ترضها ثم سُرِّي عنه، ثم قال: «**اكتب**: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾».

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق: أخبرني ابن جُرَيْج، أخبرني عبد الكريم هو ابن مالك الجَزري أن مِقْسمًا مولى عبد الله بن الحارث أخبره أن ابن عباس أخبره: لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر، والخارجون إلى بدر.

انفرد به البخاري دون مسلم. وقد رواه الترمذي من طريق حجاج، عن ابن جُرَيج، عن عبد الكريم، عن مِقْسم، عن ابن عباس قال: لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضر عن بدر، والخارجون إلى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة برقم (٢٩٩٦).

بدر، لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين درجة، فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر.

هذا لفظ الترمذي، ثم قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

فقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان مطلقًا، فلما نزل بوحي سريع: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ صار ذلك مخرجًا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد ـ من الْعَمَى والعَرَج والمرض ـ عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين، قال ابن عباس: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ وكذا ينبغي أن يكون لما ثبت في الصحيح عند البخاري من طريق زهير بن معاوية، عن حُمَيْد، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[1].

وهكذا رواه الإمام أحمد عن محمد بن أبي عَدِيّ عن حُمَيد، عن أنس، به وعلقه البخاري مجزومًا. ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه**». قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: «**حبسهم العذر**» لفظ أبي داود[2].

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب الرخصة في القعود من العذر برقم (٢٥٠٨).

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

يا راحلين إلى البَيت العتيق لَقَدْ سرْتُم جُسُومًا وسرْنا نحنُ أرواحا
إنَّا أقَمنا على عُذْرٍ وعَنْ قَدَرٍ ومَنْ أقامَ على عذْرٍ فقد راحا

وقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: الجنة والجزاء الجزيل. وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية.

ثم قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾، ثم أخبر تعالى بما فضَّلهم به من الدرجات، في غرف الجِنَان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلَّات، وحلول الرحمة والبركات، إحسانًا منه وتكريمًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

وقد ثبت في الصَّحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**».

وقال الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بلغ بسهم فله أجره درجة**»، فقال رجل: يا رسول الله، وما الدرجة؟ فقال: «**أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مائة عام**».

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥][١].

● **س: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ ساقطةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل: ﴿أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ نزلت

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على صحيح البخاري في كتاب التفسير.

وحدها، أصل الآيةِ مَا فِيهَا: ﴿أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ ثم أنزل اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، مستقلةٌ.

الشارح ماذا قال عليه؟

قال: سقطت من بعض الرواة؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٦٠)]: **(قوله: بابٌ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) الآية:**

كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ، وَلِغَيْرِهِ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ واختلفت القراءة في غير أولي الضّرر فقرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ بالرّفع على البدل من «القاعدون»، وقرأ الأعمش بالجرّ على الصّفة «للمؤمنين» وقرأ الباقون بالنّصب على الاستثناء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا يبيِّن أن بعض النّسخ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، فقط واقتصر، وفي بعضها كملت.

● **س: وإذا ما كمل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تذكر: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النِّسَاء: ٩٥]، إِذَا كمَّل تذكَّر؛ لِأَنَّهَا استقرَّتِ الآيةُ عَلَى هَذَا.

● **س: أراد أن يبين يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا مَا هُوَ مناسبٌ؛ لِأَنَّ الآية استقرَّت، أنزلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ واستقرَّتْ.

*

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قال: حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ

إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهْوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله أكبر، هذه رواية نادرةٌ، رواية صحابيٍّ عن التّابعيّ قليلةٌ؛ لأنّ مروان المشهور فيه أنّه تابعيٌّ وقيل: له رؤيةٌ. لكن المشهور أنّه تابعيٌّ، ولد في آخر حياة النّبيّ ﷺ، هذا سهلٌ رواه عن مروان، عن زيد، هذه من الرّوايات الغريبة؛ صحابيٌّ عن تابعيٍّ، عن صحابيٍّ، سهلٌ رضي الله عنه صحابيٌّ، وزيدٌ رضي الله عنه كذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما تكلّم الشّارح على النكتة هذه؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٢٦٠)]:

«قوله: **(أَنَّهُ رَأَى مَرْوَان بن الحكم)**؛ أي: ابن أبي العاص، أمير المدينة، الّذي صار بعد ذلك خليفةً.

قوله: **(فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَأَخْبَرَنَا)**: قال التّرمذيّ: في هذا الحديث رواية رجلٍ من الصّحابة وهو سهل بن سعدٍ عن رجلٍ من التّابعين وهو مروان بن الحكم، ولم يسمع من رسول الله ﷺ فهو من التّابعين.

قلت: لا يلزم من عدم السّماع عدم الصّحبة، والأولى ما قال فيه البخاريّ: لم ير النّبيّ ﷺ وقد ذكره ابن عبد البرّ في الصّحابة لأنّه ولد

---

(١) متفق عليه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾... إلخ برقم (٤٥٩٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين برقم (١٨٩٨).

في عهد النّبيّ ﷺ قبل عام أحدٍ، وقيل: عام الخندق. وثبت عن مروان أنّه قال لمّا طلب الخلافة فذكروا له ابن عمر فقال: ليس ابن عمر بأفقه منّي، ولكنّه أسنّ منّي وكانت له صحبةٌ.

فهذا اعترافٌ منه بعدم صحبته، وإنّما لم يسمع من النّبيّ ﷺ، وإن كان سماعه منه ممكنًا؛ لأنّ النّبيّ ﷺ نفى أباه إلى الطّائف فلم يردّه إلّا عثمان لمّا استخلف، وقد تقدّمت روايته عن النّبيّ ﷺ في كتاب الشّروط مقرونةً بالمسور بن مخرمة، ونبّهت هناك أيضًا على أنّها مرسلةٌ، والله الموفّق». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا هو المشهور أنّه تابعيٌّ لم ير النّبيّ ﷺ في حياته، كان تابعيًّا وإن ولد في حياته، مثل قيس بن أبي حازمٍ، ومثل الرّبيع بن خثيم، ومثل جماعةٍ آخرين من المخضرمين، ولدوا في حياة النّبيّ ﷺ، وهم تابعون؛ لأنّهم لم يروه ﷺ.

مروان ما طالت خلافته؛ لأنّه حصل قتالٌ بينه وبين الضّحاك بن قيسٍ، فقتل الضّحاك الّذي هو أمير ابن الزّبير، وكان هذا في ذي الحجّة من عام أربعٍ وستّين، وبويع له بالخلافة في الشّام في دمشق، ومكث إلى رمضان من عام خمسٍ وستّين، ثمّ توفّي في رمضان واستخلف ابنه عبد الملك، وقام بالأمر بعد عبد الملك ونشط في ذلك، وأعماله وأخباره معروفةٌ. الله المستعان.

- **س: سنة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تسعة أشهرٍ أو إلّا أيامًا قلائل.

- **س: الحكم..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أبو مروان.

- **س: لماذا.....؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، يراجع في ترجمته، طبيعة الإنسان الاستطلاع، أقول: طبيعة الإنسان حبّ الاستطلاع على أسباب تلك الأشياء، يبيّن في ترجمته.

والمعنى: أن المعذور له حكم المجاهدين، فالكفيف الّذي لولا الضّرر لجاهد، والله يعلم من قلبه محبّة الجهاد له أجر المجاهدين، والمريض الّذي يحبّ الجهاد ولولا المرض لجاهد له أجر المجاهدين، وهكذا المعذورون الله ﷻ يثيبهم ويعطيهم أجر المجاهدين، وهكذا أجر المصلين في الجماعة إذا منعهم من صلاة الجماعة المرض، أو العذر الشّرعيّ.

ولهذا ثبت عنه ﷺ في غزوة تبوك أنّه قال للصّحابة ذات يوم: «**إِنَّ بِالْمَدِيْنَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(١)، في اللفظ الآخر: «**إِلَّا شَارَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا مَرِضَ العَبْد، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيْحًا**». أخرجه البخاري في «الصحيح»(٣).

فإذا مرض وتخلّف عن الجماعة أو الجمعة له أجر ذلك، فإذا علم الله منه أنّه إنّما تخلّف من أجل المرض، وهكذا إذا سافر وكان له عادةٌ يصوم الاثنين والخميس مثلًا، يصوم يومًا ويفطر يومًا فسافر وترك ذلك له أجر ذلك.

• **س: أحسن الله إليك: الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى:** ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]؟

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٦).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٣٦).
(٣) سبق تخريجه في (ص١٣٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ثقالًا: الّذي يستطيع، يكون كبير السّنّ لكن يستطيع؛ يعني: مع الاستطاعة.

* *

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لمّا نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابن أمّ مكتومٍ فشكا ضرارته، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾»[1].

حدّثنا محمّد بن يوسف عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: «لمّا نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النّبيّ ﷺ: «**ادْعُوا فُلَانًا**» فجاءه، ومعه الدّواة، واللّوح، أو الكتف، فقال: «**اكْتُبْ** ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾» وخلف النّبيّ ﷺ ابن أمّ مكتوم فقال: يا رسول الله، أنا ضريرٌ، فنزلت مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**مِنَ الشَّيْخِ**): كَذَا عندك: (خلَّفَ) ولا (**خَلْف**)[3] النَّبِيّ ﷺ؟ مَا ضبط؟ لعلها: خَلْف النَّبِيّ ﷺ؛ يعني: صَارَ ظهره يَعْنِي.

(**من قارئ العمدة**): عندنا: خَلْف النَّبِيّ ﷺ.

---

(١) متفق عليه من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب من المصدر السابق برقم (٤٥٩٣)، ومسلم في كتاب التفسير في المصدر السابق برقم (١٨٩٨).

(٢) متفق عليه من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ﴾ برقم (٤٥٩٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد المعذورين برقم (١٨٩٨).

(٣) قرأ الطالب من نسخته: «خلَّف» بتشديد اللام؛ فصوَّبه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التَّسكينِ كما في المطبوع.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٦١)]: «قوله: (**وخلف النّبيّ ﷺ ابن أمّ مكتوم، كذا في رواية إسرائيل، وفي رواية شعبة الّتي قبلها دعا زيدًا فكتبها؛ فجاء ابن أمّ مكتوم**). فيجمع بأنّ معنى قوله: «جاء» أنّه قام من مقامه خلف النّبيّ ﷺ حتّى جاء مواجهه فخاطبه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من عِظَم الأمرِ؛ لِأَنَّهُ اهتمَّ بالأمرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. اللهُ أَكْبَرُ.

* *

حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشامٌ أنّ ابن جريجٍ أخبرهم (ح) وحدّثني إسحاق، أخبرنا عبد الرّزّاق، أخبرنا ابن جريجٍ، أخبرني عبد الكريم أنّ مقسمًا مولى عبد الله بن الحارث أخبره أنّ ابنَ عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخبره: «﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدرٍ والخارجون إلى بدرٍ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في بدرٍ وغيرها، الحكم عامٌّ في بدرٍ وفي غير بدرٍ.

● **س: أحسن الله إليك: بدر هل كان فيها استنفارٌ للصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **كلّهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج النّبيّ ﷺ، ما ألزم أحدًا، إنّما خرج من أجل المال، من أجل القادمين من الشّام، ما خرج للقتال، ولكن جمع الله بينه وبين عدوّه على غير معادٍ؛ فيسّر الله لهم هذه الغزوة العظيمة، وقال فيها ﷺ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَد غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١)،

---

(١) متفق عليه من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس برقم (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب ابن أبي بلتعة برقم (٢٤٩٤).

فضل الله ﷻ، لهم فضلٌ عظيمٌ، الله أكبر. كونهم سارعوا إلى هذا الخير.

• **س: القاعدة المأثورة: (له أجر المجاهد). من كلّ وجهٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم له أجر المجاهدين؛ إذا كان له نيةٌ صالحةٌ، لولا العذر لجاهد.

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٦١)]: «قوله: (**أخبرني عبد الكريم**) تقدّم في غزوة بدرٍ أنّه الجزريّ». [انتهى كلامه].

• **قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: **راجع في «التّقريب» عبد الكريم الجزريّ أظنّه ابن مالكٍ؟**

«عبد الكريم بن مالكٍ الجزريّ، أبو سعيدٍ، مولى بني أميّة وهو الخضرميّ، بالخاء والضّاد المعجمتين، نسبةٌ إلى قريةٍ من اليمامة؛ ثقةٌ متقنٌ من السّادسة، مات سنة سبعٍ وعشرين».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الخضرميّ[1] بالميم، الخضرمي بزيادة الميم وهو الخضرمي، قرية حول منفوحة، في الرّياض هنا، قريةٌ صغيرةٌ حول منفوحة، معروفةٌ، يعرفونها أهل الرّياض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هذه الطبعة؟ المصرية؟

الطالب: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الهندية حاضرةٌ؟

(من قارئ الطبعة الهندية): الخضرمي بالميم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا المعروف الخضرمي، نسبةٌ

---

(١) قرأها الطالب: «الخضري» بدون ميم.

إلى خضرمة، وهي قريةٌ صغيرةٌ هنا حول منفوحة، في جنوب الرّياض.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠][(١)].

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حَيْوَة وغيره قالا حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعْثٌ، فاكتتبت فيه، فلقيتُ عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم فَيُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ رواه الليث عن أبي الأسود.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمَادِي، حدثنا أبو أحمد ـ يعني: الزبيري ـ حدثنا

محمد بن شَرِيك المكي، حدثنا عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ الأحد الليل ٢٤ ـ ٦ ـ ١٤٠٧هـ، وفجر الأحد ١٤ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ، وفجر الأربعاء ١٧ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض، قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستَغْفَروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية: لا عذر لهم. قال: فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٨].

وقال عكرمة: نزلت هذه الآية في شباب من قريش، كانوا تكلموا بالإسلام بمكة، منهم: علي بن أمية بن خَلَف، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن منبه بن الحجاج، والحارث بن زَمْعة.

وقال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين، تخلفوا عن رسول الله ﷺ بمكة، وخرجوا مع المشركين يوم بدر، فأصيبوا فيمن أصيب فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع، وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ أي: لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر المنافقين هنا، ليس بجيد؛ لأن النفاق إنما كان في المدينة، وأما مكة ففيها إسلام صريح أو كفر صريح أو إخفاء للإسلام وعدم إظهار له، أما النفاق إنما نجم فصار في المدينة، فالآية الكريمة نزلت في أناس أظهروا إسلامهم وأوذوا في الله ﷻ، وفي قوم كتموا إسلامهم،

ثم خرجوا مع المشركين، فعاب الله عليهم بقاءهم في مكة؛ لأنهم يستطيعون الهجرة. فالواجب على من استطاع الهجرة أن يخرج، وأن يهاجر، إذا كان لا يُظهر دينه، ولا يستطيع إظهار دينه، ولا يأمن، وجبت عليه الهجرة إذا استطاع ذلك، فإن جلوسهم وهم يستطيعون، سبب هذه المشكلة، سبب إخراجهم لهم معهم يوم بدر، وإلزامهم بذلك حتى نزل فيهم ما نزل. والمقصود من هذا كله أن الواجب على من استطاع إذا كان بين المشركين، ولا يستطيع إظهار دينه، الواجب عليه أن يهاجر وأن ينتقل، ولا يعرِّض نفسه للفتنة، أما المستضعف من الرجال والنساء فهذا معذور؛ ولهذا قال فيهم: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، يعني بالإقامة وهم قادرون على الهروب.

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك! البعث الذي قطع في الجهاد؟**

○ **الجواب**: هذا الذي في قصة عكرمة هذا محتمل أن عكرمة خاف عليهم يعني أنهم يكون قتالهم فيه شيء مما لا يجوز، وأنها تصدر عليهم أوامر من بعض الأمراء الذين لا يتقيدوا بالشرع، يعني كلام عكرمة فيه نظر، أقول: كلام عكرمة في هذا، لا، فيه نظر، ما هو من جنس ما وقع في مكة.

علاقة كلام عكرمة بالهجرة:

● **س: أحسن الله إليك! ما هي علاقة كلام عكرمة بالهجرة؟**

○ **الجواب**: أقول: هذا ما هو بكلام عكرمة ما هو بواضح في هذا الخطاب، إلا أنه كان خاف عليهم من طاعة الأمراء في بعض المعاصي، أقول: كان خاف عليهم في عهد بني أمية قد يقع بعض النقص من بعض الأمراء، وقد يقع بعض المعاصي، أقول: كان من جهة الورع، هنا المقام غير المقام، مقام الأمراء في بني أمية غير مقام مسألة المهاجرين في مكة، المقيمين في مكة.

مداخلة: كأن يخشى عليهم يجلسون مع الكفار؟

الشيخ: لا، كأنه يخشى عليهم من طاعة الأمراء في المعصية، القطع هذا، البعث هذا للقتال للجهاد لا.. أقول: بعث هذا للجهاد، والجهاد أمر شرعي، فكأن عكرمة خاف على هؤلاء أنهم يتساهلون أو شيء.

● **س: أحسن الله إليك!. كيفية إظهار المقيم في بلاد الكفر دينه؟**

○ **الجواب**: يظهر التوحيد، كونه ينكر الشرك، ويقر بالتوحيد، يتبرأ من الشرك، يصلي بين المسلمين، بين الكفار يظهر دينه ما يختفي بدينه، من جهة الصلاة والبراءة من الشرك وإنكار الشرك والدعوة إلى التوحيد، وإظهار شعائر الإسلام بينهما... هذا إظهار الدين.

● **س: أحسن الله إليك! استدلال بعضهم بهذه الآية بأنهم أصبحوا كفارًا؟**

مداخلة: الذين ظالمي أنفسهم كفار؟

○ **الجواب**: ظالمين أنفسهم بالإقامة بين المشركين، ما يكونوا كفار إلا إذا خرجوا طائعين، إذا قاتلوا طائعين إذا كانوا مكرهين لا، إذا كانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان.

مداخلة: أحسن الله إليك! قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٧]، أليس دليل على..؟

الشيخ: من باب الوعيد؛ لأجل تساهلهم، وقد يكونوا كافرين محتمل، محتمل أن بعضهم تساهل ولم يُكره.

مداخلة: أحسن الله إليك! في الحاشية يقولون: مع ما قطع على أهل المدينة بعث، أي: ألزموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام وكان ذلك في خلافة عبد الله بن الزبير على مكة؟

الشيخ: محتمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن سفيان، حدثني يحيى بن حسان، أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب، حدثني خبيب بن سليمان، عن أبيه سليمان بن سمرة، عن سمرة بن جندب: أما بعد، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا كله فيه الوعيد والتحذير من الإقامة بين أظهر المشركين، وأن الواجب على أهل الإسلام أن يغادروا بلاد الشرك وأن يفارقوهم، وأن ينابذوهم وأن ينضموا إلى المسلمين ويُكثروا سواد المسلمين، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أقام بين أظهر المشركين وهو غير متمكن من إقامة دينه ويستطيع الهجرة فإنه ارتكب محرمًا بإجماع المسلمين، أما إذا كان عاجزًا فقد قال الله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦]، إذا كان عاجزًا فلا بأس كما أقام جماعة من المسلمين في مكة بعد هجرة النبي ﷺ لعجزهم؛ لأنهم ما بين سجين وما بين أسير ليس بقادر، أما أن يقيم بين أظهر المشركين وهو قادر ولا يستطيع إظهار دينه، فإنه قد ارتكب محرمًا بالإجماع، فلا بد من الانتقال والهجرة إلى بلاد الإسلام مع القدرة.

أما حديث سمرة هذا فهو وعيد شديد: (من جامع مشرك وسكن معه فهو مثله) فهو وعيد عظيم، إلا أن السند فيه ضعف، فإن خبيب وجعفر فيهما لين، ولكن لو صح معناه التحذير والوعيد، والمراد: من أقام معهم مناصرًا لهم أو مؤيدًا لدينهم فهو مثلهم، أما من أقام لأمر آخر

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك برقم (٢٧٨٧).

وهو يستطيع الهجرة، لكن قام لحظ من الدنيا قد ارتكب معصية، فإن كان يظهر دينه ويستطيع إقامة دينه من البراءة من الشرك وإظهار ما أوجب الله عليه لم يحرم عليه، وإن كان يدعو إلى الله ويعلم الناس الخير كان هذا من باب الدعوة إلى الله ﷻ، إذا كان على علم وعلى بصيرة، أما من أقام لأجل الدنيا أو لقصد آخر وهو ليس بقادر على إظهار دينه أو جاهل في دينه فهذا على خطر عظيم من الوقوع في الشرك؛ لأن أهل الشرك يلبسون على الناس ويشبِّهون عليهم، وربما دعوهم إلى الباطل، فإذا لم يكن عندهم حصانة من العلم النافع والبصيرة النافذة، فهم على خطر من هؤلاء المشركين أينما كانوا. وفي الحديث الآخر عند النسائي بإسناد جيد يقول ﷺ: «**لا يقبل الله من مشرك عملًا بعدما أسلم أو يفارق المشركين**»، يعني: حتى يفارق المشركين.

في حديث جرير يقول ﷺ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ، قَالَ: «**لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا**». فهذا عند أهل العلم محمول على من لا يستطيع إظهار دينه ولا إقامة دينه فإنه يكون حينئذٍ قد ارتكب محرمًا وعرض نفسه للخطر.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ، بعض بلاد المسلمين الذي أصبح فيها الدين محارب، واستطاع الإنسان الهجرة وهو في وجوده لا يستطيع أن يقيم شيئًا من شعائر دينه..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ما تصير بلاد إسلام، تصير بلاد كفر.

مداخلة: يلزمه..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

ولو تسموا أهلها بالإسلام، إذا كانوا يحاربون الإسلام الصحيح،

ويمنعون من إظهاره ويمنعون من الدعوة إليه صار حكمها حكم بلاد الشرك.

مداخلة: حكم بلاد الكفر الأصلية..

الشيخ: نعم، إلا إذا كان معاصي فقط فالهجرة مستحبة، إذا ظهرت المعاصي استحبت الهجرة إلا لمن قدر على الدعوة إلى الله وإنكار المنكر والتوجيه إلى الخير.

مداخلة: أحسن الله إليكم، ضابط إظهار الدين في بلاد الشرك هل هو مجرد إقامة الصلاة والصوم وإظهار العبادات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إظهار شعائر الدين مع أعظمها التوحيد، إذا أظهر التوحيد والنهي عن الشرك هذا أعظمها.

مداخلة: لكن هل يلزم منه تبيين باطلهم...؟.

الشيخ: نعم تبيين ما هم عليهم من الباطل هذا، وأن النصرانية باطلة وأن المسيح هو عبد الله ورسوله، وأن الواجب إخلاص العبادة لله وحده، وهكذا في اليهود يبين بطلان دينهم، وهكذا في الوثنيين وأشباههم.

مداخلة: أحسن الله إليك.

الشيخ: يبين بطلان ما هم عليه من الباطل، وما هو الحق الذي بعث الله به نبيه ﷺ، نعم، لا مجرد أنك تصلي فقط أو نحوه.

مداخلة: متى يبين عفا الله عنك يبين في المناسبات والا.. التبيين هذا؟

الشيخ: في الوقت المناسب يعني الذي يناسب فيه الدعوة إلى الله سبحانه.

مداخلة: يبين لهم...؟.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: راح يبين لهم... هناك راح يدرس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو... لا يدرس عندهم، أقول: لا يدرس، الله يكفينا شره. الله المستعان.

وهذا وعيد شديد يفيد الحذر من الإقامة بين أظهر المشركين، والحذر من السكنى معهم إلا في حق من أظهر دينه، ودعا إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وأصح منه حديث: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين لا تراءى ناراهما**». جعفر هذا وخبيب فيهما ضعف.

المقصود أن هذا فيه وعيد وتحذير، وله شواهد توجب الحذر من الإقامة بين المشركين؛ لأنها وسيلة إلى الشر، وذريعة إلى البلاء، إلا من أقام لمصلحة شرعية، الدعوة إلى الله، وإظهار الدين، وتوجيه المشركين إلى الله جَلَّ وَعَلَا على بصيرة، وهو لا يخشى على دينه، بل يظهر دينه، هذا له وجه.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم؟

● **س: الحكم إذا أجبر الكفار المسلم أن يقاتل معهم أو يسكن معهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا أجبروه مثل ما تقدم، إذا كان قلبه مطمئن بالإيمان، لا يجوز له أن يطيعهم لكن لا يكفر بذلك، لا يجوز أن يطيعهم، ولو أجبروه، لكن يكون معصية كبيرة. مثل الذي قتل نفسًا بغير حق.

مداخلة: أحسن الله إليك! عمال يجبرون على السكن معه؟

مداخلة: العمال... أهل الكتاب يجبرون مسلمي الكفار، هل يسكنوهم مع الكفار، وهل يجوز هذا الرأي؟

الشيخ: يسكنون؟

مداخلة: سكن يعني مع كفار أنفسهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السكن أسهل من القتال، وأسهل من السفر إلى بلادهم، لكن يطلبوا من الشركة تمييزهم، يكونوا على حدة، هؤلاء على حدة، وهؤلاء على حدة، يكون لهم مساكن على حدة، وهؤلاء على حدة، وهذا متيسر، ممكن، وإذا ساكنوهم وخالفوهم وأظهروا عداوتهم، الحمد لله.

الحكم على حديث: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»:

○ **الجواب**: فيه لين، جعفر وأبوه أقول فيهما لين.

مداخلة: ما حكم من أجبر على السكن مع الكفار ويأكل ويشرب معهم؟

○ **الجواب**: ما يجوز، لا ما يجوز إلا إذا كان يظهر دينه، يدعو إلى الله، ويظهر دينه، ولا يخشى على دينه، لحاجة، مثل: مرض وإلا تجارة وإلا شيء، إذا كان يظهر دينه، ويبين أنه موحد، ويتبرأ من الشرك وأهله، مثل: صلاته وغيرها، ولا يخاف على دينه.

مداخلة: يعني يترك مؤاكلتهم ومشاربتهم أو يأكل معهم؟

الشيخ: لا، يباينهم.

مداخلة: يعني: لا يأكل ولا يشرب معهم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لا يأكل معهم، ولا يشرب معهم، ولا يجلس معهم، ولا يتخذهم أصحاب، إلا للدعوة إلى الله، قال الله، قال رسوله.

حكم الدراسة في بلد الكفار لعلم ليس ضروري؟

○ **الجواب**: ما يجوز السفر إليهم أبدًا إلا للضرورة، أو إظهار الدين والدعوة.

الحكم على حديث: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين لا تراءى نارهما ؟

○ **الجواب**: صحيح لا بأس به.

الحكم على حديث: (...اللهم خلص الوليد بن الوليد وعياش...)

الشيخ: هذا سند فيه حديث علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، والمعنى المشهور عنه أنه ﷺ أنه كان يقنت كثيرًا في الدعاء لهم قبل الفتح عليه الصلاة والسلام بأحاديث صحيحة، مثل: حديث ابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، ولا مانع من الدعاء لهم في أوقات أخرى غير الصلاة، . . الدعاء للفقراء والضعفاء من المسلمين، لكن هذا السند ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السدي: لما أسر العباس وَعقِيل ونَوْفَل، قال رسول الله ﷺ للعباس: «**افد نفسك وابن أخيك**» قال: يا رسول الله، ألم نصل قبلتك، ونشهد شهادتك؟ قال: «**يا عباس، إنكم خاصمتم فخُصمتم**». ثم تلا عليه هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾.

هذا عذر من الله تعالى لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ قال مجاهد وعكرمة، والسدي: يعني طريقًا.

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾؛ أي: يتجاوز عنهم بترك الهجرة، وعسى من الله موجبة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فضل من الله أن المستضعف من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة بالنفقة ولا يهتدون الطريق، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، يعني: حتى يكون لهم فرج، يعفى عنهم حتى يستطيعوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البخاري: حدثنا أبو نُعَيْم، حدثنا شَيْبَان، عن يَحْيَى، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة قال: بينا النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال: «**سمع الله لمن حمده**» ثم قال قبل أن يسجد: «**اللَّهُمَّ نَج عياش بن أبي ربيعة، اللَّهُمَّ نج سلمة بن هشام، اللَّهُمَّ نج الوليد بن الوليد، اللَّهُمَّ نَج المستضعفين من المؤمنين، اللَّهُمَّ اشدد وطأتك على مُضَر، اللَّهُمَّ اجعلها سنين كسِنِيِّ يوسف**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو معمر المقري، حدثنا عبد الوارث، حدثنا علي بن زيد، عن سعيد بن المسَّيب، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ رفع يده بعدما سلم، وهو مستقبل القبلة فقال: «**اللَّهُمَّ خلص الوليد بن الوليد، وعياش بن أبي ربيعة، وسَلَمة بن هشام، وضعفة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا من أيدي الكفار**».

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا حجاج، حدثنا حماد، عن علي بن زيد عن عبد الله أو إبراهيم بن عبد الله القرشي ـ عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ كان يدعو في دُبُرِ صلاة الظهر: «**اللَّهُمَّ خَلِّص الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا**».

ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما تقدم.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان.

وقال البخاري: أنبأنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مُلَيْكَة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ قال: كانت أمي ممن عَذَر الله ﷻ.

وقوله: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ وهذا تحريض على الهجرة، وترغيب في مفارقة المشركين، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه، و«المراغم» مصدر، تقول العرب: راغم فلان قومه مراغمًا ومراغمة، قال نابغة بني جعدة.

كَطَوْدٍ يُلاذُ بِأَرْكَانِهِ   عَزِيزِ المُرَاغَمِ وَالْمَهْرَبِ

مداخلة: إذا كان واحد بارك الله فيك في بلد مثلًا الأشراف كثيرين من مخرِّفين وشياطين وهذا، وهو مستطيع مثلًا أن يظهر العقيدة والتوحيد، لكنه كثر عليه الأذى هل يصبر ويتحمل، أم يخرج من هذه البلد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الصبر أفضل، إذا كان يرى أن صبره أنفع يصبر، وإن كان يرى أن صبره فيه خطر عليه يخرج، يعني: الناس يختلفون، أحد صبره ينفع الناس يهدي الله على يديه، لكنه يتحمل الأذى مثلما صبر النبي ﷺ حتى أمر الله بالهجرة، وواحد من الناس يخشى عنده ضعف أو كثر الشر عليه فيخشى على نفسه أن يميل إليهم أو يداهنهم أو كذا فالأفضل له حينئذٍ الخروج؛ حتى يسلم.

مداخلة: كثير النعمان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن عباس: «المراغَم»: التحول من أرض إلى أرض. وكذا رُوي عن الضحاك والربيع بن أنس، الثوري، وقال مجاهد: ﴿مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا﴾، يعني: متزحزحًا عما يكره. وقال سفيان بن عيينة: ﴿مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا﴾، يعني: بروجًا.

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه التمنّع الذي يُتَحصَّن به، ويراغم به الأعداء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المراد ـ والله أعلم ـ أن من هاجر في سبيل الله وجد سعة ومحلًّا يرغم به أعداء الله ويسلم به من شرهم، فإن الله ﷻ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٣، ٤]، فإذا هاجر وجد سعة ومراغمًا يراغم به أعداء الله، يعني: يضادهم به ويسبب نوع انتقام منهم ونوع تخلص منهم بما يكدرهم، لكونه حصل له المخلص والنجاة من شرهم على وجه يضرهم به ويرغمهم به وهو يسلم من شرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿وَسَعَةٗۚ﴾، يعني: الرزق. قاله غير واحد، منهم: قتادة، حيث قال في قوله: ﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ إي، والله، من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى.

الأسئلة:

● **س: بعض العلماء يشترط في إظهار الدين شرط إظهار العداوة؟**

○ **الجواب**: يعني لا بد من إظهار الدين، لا بد من هذا، إظهار التوحيد والبراءة من الشرك، لا بد من هذا.

مداخلة: يصارحهم بكفرهم؟

الشيخ: لا بد يعني يبين، هذا دين الله يبين التوحيد، ويبين الكفر لا بد مع الصلاة، مع إظهار الصلاة.

مداخلة: ما يكفي أحسن الله عملك! إظهار الصلاة والصيام؟

الشيخ: ما يكفي، لا ما يكفي؛ لأنه قد يصلي وهو وثني، ما يعرف الدين، مثلما عباد القبور، عباد الحسين والبدوي يصلون وهم كفار.

الحكم على حديث (كان يدعو دبر كل صلاة..) للمستضعفين بمكة:

• **س: بارك الله فيك يا شيخ! ذكر المؤلف هنا في حديث: إن النبي ﷺ كان يدعو دبر كل صلاة.**

○ **الجواب**: في هذا ضعيف الحديث.

مداخلة: وله شاهد من الصحيحين.

الشيخ: لا الحديث، الشاهد بعد الركوع، القنوت كان بعد الركوع عليه الصلاة والسلام، لكن لا بأس أن يدعو بعض الأحيان بعد الصلاة، أو في آخر الصلاة قبل أن يسلِّم، أو وهو جالس بين أصحابه، لا بأس، ففي أي وقت يدعو لا بأس، لكن المشهور، القنوت المشهور بعد الركوع في الركعة الأخيرة، تارة في العصر وتارة في الفجر وتارة في العشاء وتارة في المغرب.

• **س: أقول: إظهار التوحيد والبراءة من الشرك كافي عن إظهار العداوة أو لا بد أن تصارحهم بالعداوة؟**

○ **الجواب**: هذا لا بد منه.

مداخلة: إذا أظهر التوحيد، وتبرأ من الشرك ما يكفي؟

الشيخ: لا بد من إظهار العداوة، أنه على غير دينهم، وأنه عدو لهم وهم أعداء له، وإذا أظهر التوحيد وتبرأ من الشرك، أظهر العداوة، هذه العداوة، أنتم على دين وأنا على دين.

● **س: لكن من جهة المعاملة، يعني يعاملهم؟**

○ **الجواب**: لا يتخذهم أصحاب، ولا أولياء، في المعاملة كونه يشتري منه ويبيع منه ما يخالف، الرسول اشترى من اليهود، اشترى من اليهود ما يضر، المعاملة الشراء والبيع، ما هيه بموالاة.

مداخلة: إظهار العداوة ما يلزم إنه مقاطعتهم؟

الشيخ: لا. لا.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: اليهود أعداء والنبي ﷺ شرى منهم وباع عليهم ﷺ اشترى منهم أشياء عليه الصلاة والسلام، البيع شيء والشراء.. والموالاة شيء ثاني.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! إذا كانت البلد فيها شرك، لكن الغالب مسلمين، ألا يسمى، يحكم على أن هذا بلد مسلم؟**

○ **الجواب**: الحكم على ما ظهر فيها، تحكم عليها بما ظهر فيها، وغلب عليها.

● **س: من يقول: أن معاملتهم في هذه الأزمان من الشركات وغيرها فيه تقوية لاقتصادهم، فيترك التعامل معهم؟**

○ **الجواب**: على كل حال محل نظر التعامل معهم فيه تفصيل، إن كان التعامل معهم يضر المسلمين أو يكثرهم بين المسلمين، أو يجعل لهم شوكة؛ تُرك، وإن كانت معاملتهم ما تضر المسلمين، فالنبي عاملهم ﷺ، اللهم صل عليه.

هل الهجرة خاصة من بلاد المشركين والكفار أو تعم بمعنى الظلم . . .؟

○ **الجواب**: لا، المقصود بلاد الشرك، أما المعاصي مستحبة، من بلاد المعاصي مستحبة، إذا تيسر بلاد أحسن منها.

• **س: إذا لم يستطع أن يقيم مثلًا في الصلاة في بلاد المسلمين، في دار الإسلام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما هي ببلد إسلامي هذي، يعني ما هو مستطيع يظهر الصلاة ما هي ببلد إسلامي هذا ما يتصور، ناس يمنعون إظهار الصلاة، هذا ما هو ببلد إسلامي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: ومن يخرج من منزله بنية الهجرة، فمات في أثناء الطريق، فقد حصل له من الله ثواب من هاجر، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن، من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وَقّاص الليثي، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

وهذا عام في الهجرة وفي كل الأعمال. ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نَفْسًا. ثم أكمل بذلك العابد المائة، ثم سأل عالمًا: هل له من توبة؟ فقال: ومن يَحُول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يعبد الله فيه، فلما ارتحل من بلده مهاجرًا إلى البلد الآخر، أدركه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال هؤلاء:

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي برقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات...**» برقم (١٩٠٧).

إنه جاء تائبًا. وقال هؤلاء: إنه لم يَصِلْ بَعْدُ. فأُمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أقرب كان منها، فأمر الله هذه أن يُقرب من هذه، وهذه أن تبعد فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بِشِبْر، فقبضته ملائكة الرحمة(١). وفي رواية: أنه لما جاءه الموت ناء بصدره إلى التي هاجر إليها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم. وهذا من أمثلة نفع التوبة، وإلا فالتوبة تكفي ولو كان في مكانه، من حين صدرت التوبة منه يمحو الله بها ما مضى، كما قال جل وعلا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال النبي ﷺ: «**التوبة تجبُّ ما كان قبلها، والإسلام يهدم ما كان قبله**».

الاسئلة:

● **س: ما سبب ورد في حديث: «إنما الأعمال بالنيات» أن النبي ﷺ قالها بسبب مهاجر أم قيس، هل يصح؟**

○ **الجواب**: لا، مهاجر أم قيس فيه نظر، لكن الحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما كما هو معلوم، أما ذكر مهاجر أم قيس محل نظر.

مداخلة: مهاجر أم قيس.

الشيخ: يروى ولكن العبرة بعموم اللفظ، العبرة بنفس الحديث عليه يعم مهاجر أم قيس وغيرها.

● **س: أمر العالم هذا الرجل أن يذهب إلى البلدة الفلانية.**

○ **الجواب**: نعم، حتى يبتعد عن الشر وأهله، وهذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يبتعد عن الشر وأهله، وإذا كان بين قوم أشرار ينبغي له

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٦).

أن يغادر مكانهم وأن يهاجر عنهم، حتى يسلم منهم، لأنهم قد يزينون له الباطل، قد يدعونه إلى الباطل ويحببون له الباطل، فكونه ينتقل عنهم إلى أرض طيبة هذا من أسباب السلامة، من أسباب النجاة، من أسباب صحة التوبة وسلامتها.

مداخلة: يعني من تمام التوبة يعتبر؟

الشيخ: من تمام العمل الصالح، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠]، الهجرة من العمل الصالح.

مداخلة: لو تاب في مكانه في أرضه.

الشيخ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

مداخلة: لو جلس في أرضه.

الشيخ: هذا على حسب الحال، إذا كان يُظهر دينه فيها لا بأس، وإذا كان لا يُظهر دينه يكون ترك الواجب، يكون معصية، ترك السفر، ترك الهجرة.

مداخلة: بالنسبة للرجل هذا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: بالنسبة للقاتل هذا.

الشيخ: هذا تمت توبته؛ لأنه أقلع عن الأرض، مشى، حتى لو ما بلغ النصف، لو كان في أول الطريق، لكن يري الله عباده العبر، وأن هذا جِده ونشاطه ورغبته في الخير صار من أهل القرية الصالحة. وهذا من باب الحكم بين الملائكة. ولا يلزم إنه لو كان أقرب إلى الشر أنه يكون من أهل الشر، ما يلزم، لكن هذا حكم جرى في هذه المسألة ليعلم أن كلما كان أقرب إلى الخير وكلما كان أدنى إلى أهل الخير صار أقرب إلى الفوز. وهذه قاعدة: المشتبه يُرد إلى المحكم.

مرور كل الناس على النار يوم القيامة:

مداخلة: السؤال: هناك من يقول: إن الأصل أن الذي سيذهب إلى الجنة لكن قد يمر على النار؟

○ **الجواب**: كل الناس يمرون على النار، ما هو لحاله، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، كلهم يمرونها، لكن اختلاف، أحد يمر كالبرق، وأحد يمر كلمح البصر.. إلى آخره. وأحد يسقط. نسأل الله العافية..

قتل المؤمن أو الكافر بغير حق:

● **س: أقول: ما يحتمل أنهم كفار الذي قتل أول؟**

○ **الجواب**: ولو! هم دماؤهم هدر ما صار مجرم، التسعة والتسعين يعني بغير حق، هذا المقصود: قتلهم بغير حق، هذا المقصود.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن محمد بن عبد الله بن عَتِيك، عن أبيه عبد الله بن عَتِيك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خرج من بيته مهاجرًا في سبيل الله** ـ ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث: الوسطى والسبابة والإبهام، فجمعهن وقال: وأين المجاهدون ـ؟ **فخرَّ عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله، أو لدغته دابة فمات، فقد وقع أجره على الله أو مات حَتْف أنفه، فقد وقع أجره على الله** ـ والله! إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ ـ **ومن قتل قَعْصًا فقد استوجب المآب**.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا عبد الرحمٰن بن عبد الملك بن شيبة الحزامي، حدثني عبد الرحمٰن بن المغيرة الحزامي عن المنذر بن عبد الله، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه؛ أن الزبير بن

العوام قال: هاجر خالد بن حِزَام إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات، فنزلت فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ قال الزبير: فكنت أتوقعه وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة، فما أحزنني شيء حزن وفاته حين بلغني؛ لأنه قَلّ أحد ممن هاجر من قريش إلا معه بعض أهله، أو ذوي رحمه، ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزى، ولا أرجو غيره.

وهذا الأثر غريب جدًّا فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدنية، فلعله أراد أنها أنزلت تعم حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك سبب النزول، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا سليمان بن داود مولى عبد الله بن جعفر، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الرحمٰن بن سليمان، عن الأشعث هو ابن سَوَّار ـ عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خرج ضَمْرَةُ بن جُنْدُب إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

وحدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رَجَاء، أنبأنا إسرائيل، عن سالم، عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة بن العيص الزُّرَقِي، الذي كان مصاب البصر، وكان بمكة فلما نزلت: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ فقلت: إني لغني، وإني لذو حيلة، قال فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتَّنْعِيم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والاعتبار بعموم الألفاظ، والأمثلة كثيرة، العبر في النصوص

بعمومها، كعموم من وقع له الفعل وغيره إلى يوم القيامة، كل من خرج في سبيل الله ولم يتم له خروجه فله نيته، وهكذا من خرج للصلاة، من خرج للحج، من خرج للعمرة، من خرج للجهاد له نيته إذا عاقه عائق.

الأسئلة:

- **س: حد القصر هذا ثمانين كيلو؟**

○ **الجواب:** يوم وليلة، ويقدر بثمانين كيلو تقريبًا عند الجمهور، عند الأكثرين.

- **س: أحسن الله عملك يا شيخ. الذي يخرج في طلب العلم يشمله هذا الفضل؟**

○ **الجواب:** يرجى له الخير، أقول: يرجى له الخير إن شاء الله، لأنه جهاد، طلب العلم جهاد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إبراهيم بن زياد سَبَلانُ، حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن إسحاق، عن حميد بن أبي حميد، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج حاجًّا فمات، كُتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات، كُتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا في سبيل الله فمات، كُتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة**». وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس ببعيد من جهة الأصول، لأن القواعد في الشرع المعذور يلحق بمن فعل العمل، وكما أن الغازي كذلك يكون شهيدًا إذا مات في سبيل الله فالحاج والمعتمر يشبهانه، وقد دلت النصوص على أن العذر الشرعي يلحق المعذور بالعاملين، مثل ما قال ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ**

سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»(١).

فهذا خرج قاصدًا هذا العمل فمن رحمة الله أن جعل له ثوابه إذا مات قبل أن يتم، ليس ببعيد.

مداخلة: لكن بهذا السند ضعيف؟

الشيخ: يمكن من جهة القواعد

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧](٢).

هذه الآية الكريمة ذكر العلماء أنها نزلت في أناس تخلفوا في مكة ولم يهاجروا مع النبي ﷺ، فلما كانت غزوة بدر أجبرهم الكفار على الخروج معهم، وحضروا القتال فنزلت الآية الكريمة فيهم لمَّا قُتل من قُتل منهم، وإن قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ معنى ظالمي أنفسهم بالإقامة بين ظهراني المشركين وهم قادرون على الهجرة، ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ يعني: قالت لهم الملائكة: ﴿فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ يعني: في أرض مكة، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾؛ يعني: قالت لهم الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾؟ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الآية [النساء: ٩٨].

فهم متوعَّدون بالنار لأنهم أقاموا في أرض الكفار من دون عذر، وكان الواجب عليهم أن يهاجروا إلى بلاد الإسلام، إلى المدينة

(١) سبق تخريجه (ص١٣٧).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٢١).

المنورة، فلما أجبروا على الخروج يعني أكرهوا صار ذلك ليس عذرًا لهم، وكان عملهم سببًا لهذا الإكراه، وسببًا لهذا الخروج فجاء فيهم هذا الوعيد. لكونهم عصوا الله بإقامتهم مع القدرة على الهجرة، ولم يكفروا لأنهم مكرهون، أخرجوا إلى ساحة القتال ولم يقاتلوا لكن قُتلوا، قُتل من قُتل منهم، أما لو قاتلوا مختارين راضين غير مكرهين لكانوا كفارًا؛ لأن مَن ظاهرَ الكفار وساعدهم يكون كافرًا مثلهم، لكن هؤلاء لم يقاتلوا وإنما أكرهوا على الحضور وتكثير السواد فقط، فقتلوا من غير أن يقاتلوا، وقال آخرون من أهل العلم: إنهم كفروا بذلك؛ لأنهم أقاموا من غير عذر، ثم خرجوا معهم، وفي إمكانهم التملص والخروج من بين الكفرة في الطريق، أو في حين التقاء الصفين، وفي إمكانهم أن يلقوا السلاح ولا يقاتلوا، وبكل حال فهم بين أمرين: من قاتل منهم وهو غير مكره فهو كافر، حكمه حكم الكفرة الذين قُتلوا، وليس له عذر في أصل الإكراه؛ لأنه لما أكره باشر وقاتل وأراد مساعدة الكفار فصار معهم وصار مثلهم ودخل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقد أجمع العلماء ﷺ على أن من ظاهرَ الكفار على المسلمين وساعدهم بالسلاح أو بالمال فإنه يكون كافرًا مرتدًّا مثلهم عن الإسلام، أما من أكره ولم يقاتل ولم يرض بقتال أهل الإسلام ولم يوافق على ذلك ولكن أجبر وأكره بالقوة والرباط والإكراه حتى وصل إلى ساحة القتال ولم يقاتل؛ فهذا يكون عاصيًا بأصل إقامته، ومتوعد على ذلك بالنار لأنه أقام معهم من دون عذر، ولهذا ذكر ابن كثير رحمه الله وجماعة آخرون من أهل العلم أن الإقامة بين أظهر الكفار وهو عاجز عن إظهار دينه محرمة بالإجماع، ليس للمسلم أن يقيم بين الكفار وهو يقدر على الهجرة، وهو لا يستطيع إظهار دينه بل هو مغلوب على أمره؛ بل يجب عليه أن يهاجر بإجماع المسلمين لهذه الآية الكريمة؛ لأن الله وصفهم

بأنهم ظلموا أنفسهم بهذه الإقامة وتوعدهم بالنار؛ فدل ذلك على أنهم قد عصوا الله في هذه الإقامة.

والهجرة لم تنقطع ما دام هناك دينان فالهجرة باقية، وإنما الهجرة الذي انقطع من مكة لما فتحت، قال فيها النبي ﷺ: **«لا هجرة بعد الفتح»** ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا؛ يعني: من مكة؛ لأنها صارت بلد الإسلام بعد ما فتحها الله على يد النبي ﷺ، صارت بلد الإسلام فقال فيها ﷺ: **«لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»**(١)؛ يعني: من مكة بعد الفتح، أما الهجرة في أصلها هي باقية، ولهذا جاء في الحديث الآخر: **«لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**(٢).

فكل بلدٍ ظهر فيها الكفار، ولم يستطع المسلم فيها إظهار دينه، ولا إقامة دينه وهو يستطيع الخروج فإنه يلزمه أن يهاجر فإن أقام كان عاصيًا بالإجماع، أما المستضعف من الرجال والنساء والولدان فقد عذرهم الله. وهم الذين لا يستطيعون حيلة لعدم النفقة أو لأنهم مقيدون، مسجونون، أو لا يهتدون سبيلًا لأنهم جهال بالطريق، لا يعرفون الطريق، لو خرجوا هلكوا، لا يعرفون السبيل فهم معذورون حتى يسهل الله لهم فرجًا ومخرجًا من بين أرض المشركين، والله المستعان.

* *

---

(١) متفق عليه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح برقم (١٣٥٣) ساقه بعد حديث (١٨٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاوية رضي الله عنه، في كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت برقم (٢٤٧٩)، وأحمد (٤/ ٩٩).

❐ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ الآيـــة** [النساء: ٩٧][١].

حدّثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدّثنا حيوة وغيره، قالا: حدّثنا محمّد بن عبد الرّحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعثٌ، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عبّاسٍ، فأخبرته فنهاني عن ذلك أشدّ النّهي، ثمّ قال: أخبرني ابن عبّاسٍ «أنّ ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السّهم، يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيَةَ»، رَوَاهُ اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

- **س: المقرئ نسبةٌ للقراءة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسبةٌ للقراءة نعم، وصفٌ له من الإقراء مثل المعلّم.

- **س: ثقةٌ هو، عبد الله بن يزيد المقرئ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا شكّ.

- **س: التّشبيه عفا الله عنك، النّهي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه ـ والله أعلم ـ كأنّ أفعال البعث فيه شيءٌ؛ يعني: كأنّه ضد

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾... إلخ برقم (٤٥٩٦).

أناسٍ أفضل؛ كأنّه. كأنّ بعثه؛ يعني: على طريقةٍ غير مرضيّة، هذا مقصوده.

● **س: يكون بعثه فيه معارضته دليل يكون هذا فيه تشبيه مثلًا...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محلّ نظرٍ؛ كأنّ البعث لقتال يزيد، موافقًا للطّريقة الشّرعيّة؛ لأنّ الخروج على الإمام القائم، ما يجوز الخروج عليه، ولو كان فاسقًا وإن كان البعث الّذي طلب عليهم ضدّ يزيد هذا خطأٌ.

المقصود: كلام عكرمة ينظر فيه. ماذا قال الشّارح على البعث؟ قول عكرمة تأوّل شيئًا من هذا، وإذا كان بعد موت يزيد فصار الخليفة هو عبد الله بن الزّبير، وليس في هذا البعث شيءٌ هذا نصرٌ للحقّ، ولا فيه شيءٌ، فقول عكرمة ما هو في محلّه، وإن كان هذا قبل موت يزيد فهذا في محلّه.

● **س: نهي عكرمة كانت غزوة فتنة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه تأوّل؛ كأنّه؛ يعني: ما رضي بحربهم في هذا، عرضت له شبهةٌ في الجهاد؛ يعني: الّذي اكتتبوا فيه.

والقاعدة: أنّ الجهاد ماضٍ مع الأئمّة ولو كانوا أئمّة جورٍ، ولو كان فيهم نقصٌ، إذا كان في جهادٍ جاهد معهم لأعداء الله، الجهاد ماضٍ مع كلّ برٍّ وفاجرٍ.

فإذا اكتتب على أي بلدٍ جماعةٌ يشاركون في الجهاد وجب عليهم، حتّى ولو كان السّلطان أو القائد فيه فجورٌ ومعاصٍ؛ لأن بعد دولة معاوية وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قلّ من يسلم من الولاة من النّقص.

فالحاصل: أنّ الجهاد ماضٍ مع الأئمة مطلقًا، سواءٌ كانوا أبرارًا وأتقياء كعمر بن عبد العزيز، أو كان عندهم نقصٌ وغيره ممّن كان بعده إلّا من رحم الله.

• س: الشّارح يقول: (المعنى أنّهم ألزموا بإخراج جيشٍ لقتال أهل الشّام)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ممكن، لعلّ هذا هو.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾ [النساء: ٩٨](١).

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ قَالَ: «كَانَتْ أُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَعْنِي: فِي تأخّرِها من الهِجْرَة إِلَى ابْن عَبَّاسٍ(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

• س: **قَوْل ابْن عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«كانت أمي مِمَّن عذر الله؟»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: فِي مَكَّة مِمَّن عذرَ اللهُ من الهِجْرَة؛ يعني: لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾؛ فأُمُّه وَهُوَ من المسْتَضعَفِين لا يَسْتَطِيْعون الهجرة.

• س: **عَفَا اللهُ عَنْكَ: تكرارُ التَّرجمةِ من البُخَارِيّ (الآية فِي الترجمتين)؟**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾ برقم (٤٥٩٧).

(٣) كذا في الأصل المسموع: إلى ابن عباس، والصواب: إلى العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التَّرْتِيْب واضحٌ، ذَاكَ عَلَى جنسِ الهجرةِ، وَهَذَا عَلَى المستضعفِ.

• **س: كرَّره مرةً أخرى، نفس الباب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْأَمْرُ سهلٌ.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩][(١)].

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النّبيّ ﷺ يصلّي العشاء إذ قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثمّ قال قبل أن يسجد: «**اللَّهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قبل الفتح، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، هذا دعاء النّوازل قنوت النّوازل.

• **س: (من الطّالب): عندنا في النّسخة: عن أبي سلمة وأبي هريرة؟**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ﴾... إلخ برقم (٤٥٩٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة برقم (٦٧٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الّذي عندك يا شيخ عبد العزيز ساقط أبو هريرة؟

القارئ: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ساقط عندك وعندهم مثبت صوابه: «وعن أبي هريرة»؛ لأنّه لما لم يعترض عليه دلّ على أنه جاء على الطريقة القويمة، أقول: لما لم يعترض ولم يذكر نسخًا؛ دلّ على أنّه جاء على الوجه السّليم[١].

- **س: يعني ما فيه عن أبي سلمة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ساقطٌ الصحابيّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كلكم هكذا عن أبي سلمة عن أبي هريرة؟

الطلبة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما عندهم، سقط عندكم الصحابيّ، وعندكم: «الواو» غلطٌ بدلها: «عن» (وأبي هريرة عندكم) بدلها (عن).

- **س: وأبو سلمة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تابعيٌّ، أبو سلمة بن عبد الرّحمن بن عوف[٢].

*

---

(١) يعني: الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) وجاء هذا السؤال في القراءة الثانية: (من الشيخ ابن قاسم حفظه الله): هنا تصحيح من القراءة السابقة: عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. =

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ١٠١][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سافرتم في البلاد، كما قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾الآية [المزمل: ٢٠].

وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: تخففوا فيها، إما من كمِّيتها بأن تجعل الرباعية ثنائية، كما فهمه الجمهور من هذه الآية، واستدلّوا بها على قصر الصلاة في السفر، على اختلافهم في ذلك: فمن قائل لا بد أن يكون سفر طاعة، من جهاد، أو حج، أو عمرة، أو طلب علم، أو زيارة، وغير ذلك، كما هو مروي عن ابن عمر وعطاء، ويحكى عن مالك في رواية عنه نحوه، لظاهر قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ ومن قائل لا يشترط سفر القربة؛ بل لا بد أن يكون مباحًا، لقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] أباح له تناول الميتة مع اضطراره إلا بشرط ألا يكون عاصيًا بسفره. وهذا قول الشافعي وأحمد وغيرهما من الأئمة.

= **قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللهُ: ماذا عندك حدثنا؟

(من القارئ الراجحي حفظه الله): حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: عن أبي سلمة ساقطٌ عن أبي هريرة، صححه.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فجر الأحد ٢١ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ، وفي فجر الأربعاء ٢٤ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وَكِيع، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، إني رجل تاجر، أختلف إلى البحرين «فأمره أن يصلي ركعتين» وهذا مرسل.

ومن قائل: يكفي مطلق السفر، سواء كان مباحًا أو محظورًا، حتى لو خرج لقطع الطريق وإخافة السبيل، تَرَخَّص، لوجود مطلق السفر. وهذا قول أبي حنيفة، رَحِمَهُ اللَّهُ، والثوري وداود، لعموم الآية وخالفهم الجمهور. وأما قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ﴾ فقد يكون هذا خُرِّج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية، فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة؛ بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عام، أو في سرية خاصة، وسائر الأحيان حرب الإسلام وأهله، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له، كقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وكقوله: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾ الآية [النساء: ٢٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، حدثنا ابن جُرَيْج، عن ابن أبي عمار، عن عبد الله بن بابَيْه، عن يعلى بن أمية قال: سألت عمر بن الخطاب قلت: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ﴾ وقد أمَّن الله الناس؟ فقال لي عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «**صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته**».

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن، من حديث ابن جريج، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي عمار، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال علي بن المديني: هذا حديث صحيح من حديث عمر، ولا يحفظ إلا من هذا الوجه، ورجاله معروفون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن الله تصدق على عباده بالقصر مطلقًا، أمنوا أو خافوا، فقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ خرج مخرج الغالب؛ لأنهم كانوا في غالب إقامتهم في المدينة كانوا على خوف إذا خرجوا في الأسفار العامة والغزو العام وفي السرايا أيضًا، فلهذا جاءت الآية هكذا: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ والمنطوق الذي يخرج مخرج الغالب أو على حادثة معينة ليس له مفهوم إذا جاءت السنَّة بما يدل على خلاف ذلك. ومن هذا ما ذكره المؤلف: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]، فإن كثيرًا من الكفار والمنافقين كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء؛ حتى يحصلوا من ورائهن الكسب المادي، كان يأمر الجارية ويكرهها أن تذهب فتزني، فتأتي له بمال في مقابل زناها.

كان هذا معروفًا في الجاهلية، فنسخ الله ذلك في الإسلام ونهى عنه، فهو محرم، وليس له أن يفعل ذلك ولو رضيت، ولو لم ترد التحصن، فهو حرام عليه أن يأمرها بالفاحشة، أو يرضى بالفاحشة، ولكن لما كان الأغلب على السادة إكراه الفتيات جاءت الآية هكذا: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، والبغاء محرم مطلقًا، وليس لهم أن يرضوا بذلك، ولا أن يأمروا به، ولا أن يقروهن عليه. وهكذا قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، فقوله: ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب أن البنت تكون عند زوج أمها وفي حجر زوج أمها، تتبع أمها، فجاءت الآية على الغالب، وإلا فبنت الزوجة محرمة وإن كانت عند أبيها لم تكن مع أمها؛ المراعى هو الدخول، وهو الوطء، ولهذا قال بعده: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل: فإن لم يكن في حجوركم فلا جناح عليكم، بل أعرض عن ذلك. فعلم بذلك أن بنت المرأة تحرم إذا

كان الزوج دخل بأمها وإن كانت عند أبيها لم تكن عند أمها، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ لأم حبيبة: لا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن. فلو تزوج إنسان امرأة ولها بنت ليست معها بل عند أبيها أو عند جدها أو عند غيرهما لم تتبعها فإنها محرمة عليه وإن لم تكن في حِجره إذا كان الأب دخل بأمها، فليس له نكاحها مطلقًا، سواء كانت في حجره أم لم تكن في حجره، هذا الذي عليه أهل العلم. فيه خلاف شاذ، لا يعول عليه، كما ذكره المؤلف في محله إن شاء الله كما يأتي.

فالمقصود: أن قوله ﷻ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ ليس له معنى، فالمسافر الآمن يقصر، ولهذا حج النبي ﷺ حجة الوداع وكان في غاية من الأمن، قد انتهى أمر المشركين، وفتح الله عليه مكة، وأمن الناس، وكان يصلي ركعتين في سفره حتى رجع إلى المدينة عليه الصلاة والسلام، وهم في غاية الأمن. فدل ذلك على أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ ليس له مفهوم، وأن المسافر يقصر مطلقًا خاف أو أمن؛ لأنها صدقة من الله ﷻ، تصدق بها على عباده سبحانه وتعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا معناه: يعني: الترهيب والتحذير، يعني: عليكم أن تقبلوا رخصة الله، وليسوا لكم أن تقفوا في ذلك، وليس لأحد أن يرد سنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم، يعني: قال هذا من باب التحذير، من باب الغضب عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو نعيم، حدثنا مالك بن مِغْول، عن أبي حنظلة الحذَّاء قال: سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال: ركعتان. فقلت: أين قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ونحن آمنون؟ فقال: سُنَّة رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبهذا يعلم أنه وصف أغلبي في أول الإسلام، والغالب أنهم يخافون، ثم يسَّر الله الأمن، ونصر الله المسلمين، فقصر ﷺ في حجة الوداع، والناس في غاية من الأمن، فدل ذلك على أنه ليس بشرط، وإنما هو وصف أغلبي، أو منسوخ على القول بأن السُّنَّة تنسخ القرآن. فالحاصل أنه وصف أغلبي، دلت السُّنَّة على أنه ليس بشرط، مثل ما في قول الله: ﴿ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]؛ ولهذا قصر ﷺ في حجة الوداع، والناس في غاية الأمن، وقصر خلفاؤهم الراشدون كذلك.

● **س: الذي يسافرون للخارج أقول: يجوز لهم قصر؛ يعتبر سفر؟**

○ **الجواب**: هذا على.. إذا كان سفرًا مباح فلا كلام في أن يقصرون، وإذا كان سفر معصية، ففيه الخلاف بين العلماء، والقول بأنهم يقصرون قول قوي؛ لأن الأحاديث مطلقة في السفر، والآية مطلقة في السفر، وكونه يقصر يذكره برحمة الله، ويذكره بفضله، لعله يرجع ويتوب من معصيته.

● **س: شيخ! ترجِّحون يا شيخ! سلَّمك الله، عدم قصر سفر المعصية؟**

○ **الجواب**: القول بجوازه أظهر؛ لعموم الأدلة.

مداخلة: لهم دليل؟.

الشيخ: نعم؟.

مداخلة: من قال: لا يقصرون، ما حجتهم؟.

الشيخ: يقول: إنه رخصة من الله فلا تستباح بالمعصية، من قال: لا يقصر، يقول: إنه رخصة من الله وفضل منه، فلا يستباح بالمعصية.

• **س: حديث أنس بأن الرسول ﷺ أقام في مكة عشرة أيام بأن الرسول ﷺ أقام في مكة عشرة أيام يصلي.**

○ **الجواب:** لأنهم دخلوا مكة رابع ذي الحجة، وسافروا أربعة عشرة، طاف لطواف الوداع لصباح أربعة عشر وسافروا، عشرة أيام إقامته بمكة ومنى وعرفات، كلها عشرة.

مداخلة: ما في دليل على تحديد الأيام القصر؟.

الشيخ: فيها أيام المناسك، فيها.. إقامته بمكة قبل الحج أربعة أيام، ثم ستة أيام في أعمال الحج، من الثامن إلى صباح أربعة عشر. نعم؟

مداخلة: الآن، عفا الله عنك! بمنى..

• **س: أقول: الحجاج الآن مع اتصال البنيان بمنى يقصرون؟**

○ **الجواب:** من السُّنَّة مثل ما فعل النبي ﷺ، يصلوا ثنتين، والرباعية ثنتين، في منى وعرفات ومزدلفة.

مداخلة: ولو كانوا من أهل مكة؟

الشيخ: حُجَّاج؛ لأن الرسول ﷺ ما فرَّق، الرسول ﷺ بهم جميعًا، ولم يفرق عليه الصلاة والسلام.

• **س: متى ما كان الرجل مسافر يقصر وإلا تُحَد بأيام؟**

○ **الجواب:** الجمهور على أنه إذا عزم على إقامة أربعة أيام، أكثر من أربعة أيام أتم في أي مكان يعني، وقال قوم من أهل العلم: ما دام مسافرًا فله القصر وإن طالت المدة ما لم يُجمع إقامة في البلد اللي..، المحل اللي هو فيه، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، ما لم يجمع إقامة. وقال آخرون: إذا عزم على إقامة ثلاثة أيام فقط أتم. والأقرب مثل ما قال الجمهور أكثر من أربعة أيام؛ لأن الرسول ﷺ أقام أربعة أيام في مكة قبل خروجه إلى منى، قبل اشتغاله بالمناسك، وهو

يقصر هو والصحابة. نعم، قبل الرابع، يوم الرابع والخامس والسادس والسابع، ثم خرج اليوم الثامن إلى منى..

مداخلة: أكثر من أربعة أيام يتم؟

● **س: أهل مكة لو كان أحد في بيتٍ جَنب الحرم، يقصر إذا صلَّى وحده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، أهل مكة إذا صلى وحده ولا هو بحاج يصلي أربع، لكن الكلام إذا كان حاج..

مداخلة: هو حاج.

○ **الجواب**: الأكثرون يقولون: يتم؛ لأن ما هو بسفر، وجمع من أهل العلم يقولون: الرسول ﷺ أقرهم وصلوا معه ولا أمرهم بالإتمام، فيكون لهم عذر يصلون، ولعله لأجل النسك؛ للتخفيف والتيسير، مع بقية إخوانهم الحجاج، وهذا مذهب أبي حنيفة وجماعة من أجل النسك. وقال آخرون من أهل العلم ـ وهم الأكثرون ـ: يتمون؛ لأنهم ما عندهم سفر، المسافة قليلة، ولو أنهم حجاج، والنبي ﷺ كونه سكت عنهم؛ لأن الأمر واضح، يعني الأمر ظاهر ما هو بخافي حتى ينبههم. والأقرب والله أعلم أنهم إذا كانوا حجاج إنهم مثل المسلمين يقصرون معهم، ويجمعون معهم؛ لأن الرسول ﷺ سكت ولم يقل: من كان منكم من أهل مكة فليتم، فدل على أن الحجاج جميعًا يقصرون ويجمعون في عرفة وفي مزدلفة يجمعون، وفي منى يقصرون ولا يجمعون.

● **س: الذي من أهل مكة الحاج لو تأخر عن الصلاة لعذر، وصلَّى وحده في بيته؟**

○ **الجواب**: الدرب واحد، ما دام حاج، الدرب واحد.

• **س: أحسن الله إليك! إذا نوى المسافر الإقامة أكثر من أربعة أيام؟**

○ **الجواب**: لا، إذا نوى يتم مطلقًا من حين يصل المحل، من حين يصل المحل.

• **س: ما يقال: إنه يجمع بين هذا وهذا بقول النبي ﷺ في فتح مكة: «أتموا» فيكون أخبرهم يوم فتح مكة فلا يحتاج يعيد.. في المرات الأخرى يعني؟**

○ **الجواب**: لا لا هو، الحديث في فتح مكة فيه ضعف، «**أتموا فإنا قوم سفر**»، فيه ضعف، والذي في مكة مقيم نازل في مكة يصلي بالحرم، يصلي بالمسجد الحرام.

مداخلة: لما كان في غير الحج.. «**أتموا فإنا قوم سفر**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا في عام الفتح.

مداخلة: بعض الناس ليس في الحج؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، في عام الفتح، نعم، وفي سنده ضعف أيضًا، لكن معروف من هذا أنهم أهل مكة يتمون؛ لأنهم غير مسافرين.

• **س: من لم يكن حاجًا، بأن كأن مثلًا مع الحجاج لكنه يعني..؟**

○ **الجواب**: الظاهر أنه يتم؛ لأنه ليس بمسافر، من عمال وبياعة يبيعون ويشترون، هؤلاء يتمون، إذا كانوا من أهل مكة؛ لأنهم ليسوا مسافرين ولا حجاجًا، لا شبهة لهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن مَرْدُويه: حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى، حدثنا علي بن محمد بن سعيد، حدثنا مِنْجَاب، حدثنا شُرَيْك، عن قيس بن

وهب، عن أبي الودَّاك: سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر؟ فقال: هي رخصة، نزلت من السماء، فإن شئتم فردُّوها.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا ابن عَوْن، عن ابن سِيرِين، عن ابن عباس قال: صلينا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، ونحن آمنون، لا نخاف بينهما، ركعتين ركعتين.

وكذا رواه النسائي، عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد الحذَّاء عن عبد الله بن عون، به قال أبو عمر بن عبد البر: وهكذا رواه أيوب، وهشام، ويزيد بن إبراهيم التُّسْتَرِي، عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، مثله.

قلت: وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا، عن قتيبة، عن هُشَيم، عن منصور بن زَاذَان، عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة إلى مكة، لا يخاف إلا ربَّ العالمين، فصلى ركعتين، ثم قال الترمذي: صحيح.

وقال البخاري: حدثنا أبو مَعْمَر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا يحيى بن أبي إسحاق قال: سمعت أنسًا يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين ركعتين، حتى رجعنا إلى المدينة. قلت: أقمتم بمكة شيئًا؟ قال: أقمنا بها عَشْرًا.

وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا سُفْيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن وهب الخُزَاعي قال: صليت مع النبي ﷺ الظهر والعصر بمنى - أكثر ما كان الناس وآمنه - ركعتين.

ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق، عن أبي إسحاق

السَّبِيعي، عنه، به ولفظ البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، أنبأنا أبو إسحاق، سمعت حارثة بن وهب قال: صلى بنا رسول الله ﷺ من ما كان بمنى ركعتين.

وقال البخاري: حدثنا مُسَدَّد، حدثنا يحيى، حدثنا عبيد الله، أخبرنا نافع، عن عبد الله بن عمر قال: صليت مع النبي ﷺ ركعتين، وأبي بكر وعمر، ومع عثمان صدرًا من إمارته، ثم أتمها.

وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان الأنصاري به.

وقال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد الواحد، عن الأعمش، حدثنا إبراهيم، سمعت عبد الرحمٰن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات، فقيل في ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت حظي مع أربع ركعات ركعتان متقبلتان.

ورواه البخاري أيضًا من حديث الثوري، عن الأعمش، به. وأخرجه مسلم من طرق، عنه. منها عن قتيبة كما تقدم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا مما فعل عثمان تأوُّل، وهذا مما أخذ عليه ومن أسباب الفتنة التي وقعت كونه أتم في منى في آخر خلافته رضي الله عنه؛ ولهذا قال ابن مسعود ـ لما بلغه هذا ـ استرجع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: (ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان)، مقصوده إن المشروع أن نصلي ثنتين كما ﷺ في الحج، واختلف الناس في تأويل عثمان، قيل: لأنه خاف أن الأعراب يظنون أن الصلاة ثنتين، خاف من الأعراب لجهلهم، يظنون أن الصلاة ثنتين لما كثر الناس، وكثر الأعراب والجهال، صلى

أربعًا؛ ليعلموا أن الصلاة أربع حتى لا يظنوا أنها ثنتان. وقال بعضهم: أنه تزوج في مكة، وأنه صار يرى نفسه من أهل مكة فأتم. وبكل حال اجتهاده رضي الله عنه، والصواب ما فعله من قبله الرسول ﷺ والصدِّيق وعمر من القصر، هذا هو الصواب، وهذه أشياء فعلها رضي الله عنه، عن اجتهاد خالف فيها السُّنَّة، وليس بمعصوم. ولا يجوز أن يكون ذلك سببًا للخروج عليه؛ بل المناصحة التوجيه..

● س: **شيخ بارك الله فيك! وجدنا ناس وشباب كثيرين من أهل مكة الذي هم عسكر يصلون أربع ركعات في منى، فعندما تكلمنا معهم يتشبثون بفعل عثمان رضي الله عنه، على أنه تزوج، وعلى أنه صار من أهل مكة وهو صلى أربع، فنحن نصلي أربع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

على كل حال، إذا كانوا من أهل مكة هذا ليس صحيح، يصلون أربع لا بأس.

مداخلة: لا، هم حجاج بارك الله فيك!

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إذا كانوا من أهل مكة لا بأس.

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

إذا كانوا من أهل مكة لا بأس، أما إذا كانوا من غير أهل مكة السُّنَّة يصلوا ثنتين، ولا ينبغي لأحد أن يخالف السُّنَّة؛ لأجل قول فلان وفلان، لكن أهل مكة لهم شبهة إذا صلوا ثنتين؛ لقول كثير من أهل العلم؛ لأنهم ليسوا مسافرين.

● س: **أحسن الله إليك! حد السفر ثمانين كيلو؟**

○ **الجواب:** نعم. هذا هكذا عند أكثرهم ثمانين كيلو يعني يوم

وليلة بالمطية، ثمانين كيلو تقريبًا مثل ما بين مكة والطائف، مكة وجدة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهذه الأحاديث دالة صريحًا على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف؛ ولهذا قال من قال من العلماء: إن المراد من القصر هاهنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية. وهو قول مجاهد، والضحاك، والسدي كما سيأتي بيانه، واعتضدوا أيضًا بما رواه الإمام مالك، عن صالح بن كيسان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر، فَأقرَّت صلاة السفر؛ وَزِيد في صلاة الحضر.

وقد روى هذا الحديث البخاري عن عبد الله بن يوسف التنِّيسي، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن القَعْنَبي، والنَّسائي عن قتيبةَ، أربعتهم عن مالك، به.

قالوا: فإذا كان أصل الصلاة في السفر هي الثنتين، فكيف يكون المراد بالقصر هاهنا قصر الكمية؛ لأن ما هو الأصل لا يقال فيه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾.

وأصْرَح من ذلك دلالة على هذا، ما رواه الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان ـ وعبد الرحمٰن حدثنا سفيان ـ عن زُبَيْد اليامي، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ.

وهكذا رواه النسائي وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، من طرق عن زُبَيْد اليامي به.

وهذا إسناد على شرط مسلم. وقد حَكَم مسلم في مقدمة كتابه بسماع ابن أبي ليلى، عن عمر. وقد جاء مصرحًا به في هذا الحديث

وفي غيره، وهو الصواب إن شاء الله. وإن كان يحيى بن مَعين، وأبو حاتم، والنسائي قد قالوا: إنه لم يسمع منه. وعلى هذا أيضًا، فقد وقع في بعض طرق أبي يَعْلى الموصِلي، من طريق الثوري، عن زُبَيد، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن الثقة، عن عمر فذكره، وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد، عن زبيد، عن عبد الرحمٰن، عن كعب بن عُجْرَة، عن عمر، به، فالله أعلم.

وقد روى مسلم في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من حديث أبي عَوَانة الوضاح بن عبد الله اليَشْكُري - زاد مسلم والنسائي: وأيوب بن عائذ - كلاهما عن بُكَير بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعًا، وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة، [هكذا رواه وكيع وروح بن عبادة عن أسامة بن زيد الليثي: حدثني الحسن بن مسلم بن يَسَاف عن طاوس عن ابن عباس قال: فرض الله ورسوله ﷺ الصلاة في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين] فكما يصلّى في الحضر قبلها وبعدها، فكذلك يصلّي في السفر.

ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد، عن طاوس نفسه.

فهذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي ما تقدم عن عائشة لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك صح أن يقال: إن فرض صلاة الحضر أربع، كما قاله ابن عباس، والله أعلم. لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان، وأنها تامة غير مقصورة، كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه، وإذا كان كذلك، فيكون المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قصر الكيفية كما في صلاة الخوف؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن يرد على هذا قوله ﷺ: «**هي صدقة من الله فاقبلوا صدقته**»، يعني: قصروا الرباعية، هذا المراد، كما هو ظاهر الآية؛ ولهذا قال ﷺ: «**هي صدقة من الله فاقبلوا صدقته**». فكونه سامح العباد الركعتين في الرباعية في السفر، صدقة من الله، هو يبين أن المراد به قصر العدد لا قصر الكيفية، أما الكيفية فلها أسباب، مثل: صلاة الخوف كما هو معروف في صلاة الخوف.

والمقصود إن هذا هو الفرض، ولا يمنع أن كونها مقصورة، مثل ما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (فرض الله الصلاة ركعتين فلما هاجر النبي ﷺ زيدت في صلاة الحضر فصارت أربعًا)، فكونها أصلها ركعتان لا ينفي القصر... القصر، فيها أربعًا في الحضر وركعتان في السفر. نعم. وإذا أتمها أربعًا فلا حرج، ولكنها السُّنَّة أن يصلي ركعتين في السفر، ولا منافاة بين كونها أصلها ركعتين، وبكونها تسمى مقصورة؛ تخفيفًا من الله جَلَّ وَعَلَا، وتيسيرًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا صلاة الجمعة ركعتان، صلاة العيد ركعتان.

● **س: أقل صلاة الخوف!**

○ **الجواب**: أقل شيء واحدة، فصلاة الخوف أنواع كما جاء عن النبي ﷺ، لكن أقلها واحدة، نعم. يصلي الإمام ركعتين، ولكل واحد ركعة من الجماعة، أو يصلي ركعة واحدة بالجميع، وغالب فعله ﷺ أنه صلى بركعتين عليه الصلاة والسلام.

● **س: قوله: فرض رسول الله ﷺ الصلاة في السفر ركعتين، ما يقال بالوجوب؟**

○ **الجواب**: أي: لا ينقص من هذا، أما الزيادة فلا بأس، لو أتم مثل ما أتم عثمان وأتمت عائشة.

● **س: قوله: كما يصلي في الحضر قبلها وبعدها، كذلك يصلي في السفر؟**

○ **الجواب**: هذا قول لبعض العلماء، ولكن الصواب من السُّنَّة ترك النافلة، ترك الراتبة للظهر والمغرب والعشاء في السفر، وإن صلى فلا حرج، لكن تركها أفضل، كما تركها النبي ﷺ، إلا سُنَّة الفجر والتهجد بالليل، فهذا يفعل في السفر والحضر، والوتر كذلك. وصلاة الضحى كذلك، في السفر والحضر.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: فترة الظهر إلى قبل الظهر وإلا إلى بعده؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: السنن الرواتب بالنسبة للسفر؟

الشيخ: في السفر تترك، الظهر والمغرب والعشاء.

مداخلة: قبل الظهر وبعد الظهر؟

الشيخ: نعم، كله، لكن يصلي سُنَّة الفجر ويصلي الوتر والتهجد بالليل، وصلاة الضحى لا بأس.

● **س: وإذا صلى بارك الله فيكم! مع المقيمين.**

○ **الجواب**: نعم؟ إذا صلى مع المقيمين يتم، يصلي أربع، إذا صلى المسافر خلف المقيم أتم أربع، وصلى الرواتب..

مداخلة: نعم وفي النوافل بارك الله فيك!

الشيخ: يصليها معه، نعم. إذا أتم صلى الرواتب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال بعدها: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ الآية [النساء: ١٠٢] فبين المقصود من القصر هاهنا وذكر صفته وكيفيته؛ ولهذا لما اعتضد البخاري «كتاب صلاة الخوف»

صدَّره بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

وهكذا قال جُوَيبر، عن الضحاك في قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: ذاك عند القتال، يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه.

وقال أسباط، عن السدي في قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية: إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام، التقصير لا يحل، إلا أن تخاف من الذين كفروا أن يفتنوك عن الصلاة، فالتقصير ركعة.

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ يوم كان النبي ﷺ وأصحابه بعسفان والمشركون بضجْنان، فتوافقوا، فصلّى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات، بركوعهم وسجودهم وقيامهم معًا جميعًا، فَهَمَّ بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم.

روى ذلك ابن أبي حاتم. ورواه ابن جرير، عن مجاهد والسدي، وعن جابر وابن عمر، واختار ذلك أيضًا، فإنه قال بعد ما حكاه من الأقوال في ذلك: وهو الصواب. وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا ابن أبي فُدَيْك، حدثنا ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب، عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد: أنه قال لعبد الله بن عمر: إنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف، ولا نجد قصر صلاة المسافر؟ فقال عبد الله: إنا وجدنا نبينا ﷺ يعمل عملًا عملنا به.

فقد سمى صلاة الخوف مقصورة، وحمل الآية عليها، لا على قصر صلاة المسافر، وأقره ابن عمر على ذلك، واحتج على قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع لا بنص القرآن.

وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضًا: حدثني أحمد بن الوليد

القرشي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سِمَاك الحنفي: سألت ابن عمر عن صلاة السفر، فقال: ركعتان تمام غير قصر، إنما القصر صلاة المخافة. فقلت: وما صلاة المخافة؟ فقال: يصلي الإمام بطائفة ركعة، ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء، ويجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء، فيصلي بهم ركعة، فيكون للإمام ركعتان، ولكل طائفة ركعة ركعة ولقوله تعالى بعدها. ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢][(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللهم صلِّ وسلِّم على رسول الله. هذه إحدى صلوات الخوف، لأن صلاة الخوف جاءت على أنواع، منها: أنه ﷺ صلى بكل طائفة ركعتين، ومنها: أنه صلى بهم جميعًا، وركعوا معه جميعًا، فلما سجد سجد معه الصف الأول وبقي الصف الثاني واقفًا يراقب العدو، فلما قام الصف الأول من السجود سجد الصف الثاني، ثم قام وتقدم الصف الآخر في مكان الصف الأول وتأخر الصف الأول في مكان الصف الآخر، فلما ركع ركع الصف، ركع بهم جميعًا ورفع بهم جميعًا ثم سجد الصف الأول الذي كان مؤخرًا في الأولى، فلما قام من الركعة الأولى سجد الصف الثاني. وجاءت أنواع أخرى في صلاة الخوف، منه: أنه صلى بكل طائفة ركعة، فكان له ركعتان ولكل طائفة ركعة.

مداخلة: قول ابن عباس عفا الله عنك! في صحيح مسلم الخوف ركعة يكون على إحدى الصفات؟

الشيخ: هذا إحدى الأنواع يصلي بكل طائفة ركعة، يكون للإمام ركعتان ولكل طائفة ركعة، أو يصلي بهم جميعًا ركعة واحدة له ولهم جميعًا، هذا نوع من الصلاة، لكن الأكثر والأشهر في الأحاديث الصحيحة الكثيرة أنه صلى بكل طائفة ركعتين، اللهم صلِّ عليه وسلِّم. وفي بعضها: أنه سلَّم بالأولين وصلَّى بالآخرين، وفي بعضها: أنه صلى بطائفة ركعة ثم استمر في الركعة الثانية وأتمت لنفسها، ثم ذهبت تحرس، ثم جاءت الطائفة الثانية فصلَّت معه الركعة التي بقيت ثم جلست للتشهد وقامت وأتت بالركعة الثانية ثم جلست معه ثم سلَّم بهم.

الأسئلة:

● **س: صلاة المغرب كيف تكون في صلاة الخوف؟**

○ **الجواب**: الظاهر أنه على حالها، ما أعلم فيها شيء، يصلي بهم الركعتين الأولى وتتم لنفسها وتحرس، ثم تأتي الآخرة ويصلي بهم ركعة ويكملوا لأنفسهم، أو يصلي بهم جميعًا على حسب حال شدة الخوف، ينظر ما هو الأصلح، فإن أمكن صلى بهم جميعًا مثلما فعلوا، إذا كان العدو في جهة القبلة صلى بهم جميعًا، وإن كان العدو في جهة أخرى صلى بطائفة بعض الصلاة ثم تتم لنفسها، ثم تأتي الأخرى وتصلي بهم الباقي وتتم لنفسها؛ لأنه ما جاء فيها فرق ما تقصر المغرب، لا، . . . . .

● **س: هناك خوف لكن ليس في الجهاد، فهل يصلَّى صلاة الخوف؟**

○ **الجواب**: لا لا، عند القتال فقط، عند القتال.

مداخلة: أحسن الله إليك! الصفة التي يصلي فيها الصف الأول دون الثاني يسجد فيها الصف الأول.

الشيخ: إذا كان العدو في جهة القبلة.

● **س: كم ركعة؟**

○ **الجواب**: على حسب، الظهر والعصر والعشاء ركعتين، والفجر ركعتين، والمغرب ثلاث، المغرب ما تقصر.

مداخلة: يكملوا الثالثة لأنفسهم؟

الشيخ: نعم؟

• س: يتموا الركعة الثالثة لأنفسهم في المغرب؟

○ **الجواب**: هذا هو الأقرب والأظهر، جلس في الثنتين وقاموا وأتموا لأنفسهم وجاءت الطائفة الأخرى، نعم. إذا كان العدو في غير جهة القبلة.

وقت صلاة الخوف:

• س: بارك الله فيك يا شيخ! صلاة الخوف مقيدة بالقتال؟

○ **الجواب**: نعم، هذا الظاهر. عند مصافة العدو، ذكر كيفية الصلاة عند دخول العدو إلى البلد.

• س: لو كان مثلًا عدو دخل على المسلمين في ديارهم هل يقصرون يا شيخ؟! أو لا ما فيه قصر؟

○ **الجواب**: القصر في السفر مع العدو، هذا أسباب صلاة الخوف في العدو، في الأحزاب ما غير شيء عليه الصلاة والسلام، لما كان العدو في المدينة حاصرهم صلى الصلوات على حالها، ما ذكر أنه قصر عليه الصلاة والسلام، نعم. يصليها على حالها على حسب الحال التي عليها العدو، ولهذا لما لم يتيسر الصلاة في بعض الأحيان أخرها حتى صلى الظهر والعصر بعد الغروب ثم صلى المغرب والعشاء، لما اشتد القتال أجلها عليه السلام، أخرها وصلاها بعدما غابت الشمس وقال: (ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)، إذا اشتد الخوف مثلما قال الله ﷻ، إذا اشتد الخوف: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانًاۖ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، كل يصلي لنفسه، الراجل والراكب عند شدة الخوف وعند المقاتلة إذا تمكنوا، وإلا تؤجل، ولهذا صلاها الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم في تُسْتَر صلوا الفجر بعد الشمس،

لما اشتد القتال عند الفجر أجلوا الفجر وكملوا القتال وفتحوا البلد ثم صلوها ضحىً، قال أنس: ما أحب أن لي بها كذا وكذا لأنه في سبيل الله، نسأل الله السلامة.

● **س: يا شيخ بارك الله فيك! في غزوة الأحزاب، الرسول عليه الصلاة والسلام ما صلى الصلاة يعني قصرًا العصر عندما قال: (شغلونا عن الصلاة الوسطى).**

○ **الجواب**: أَخَّرَها بس، أخَّرها حتى غابت الشمس.

مداخلة: صلى ركعتين وإلا أربعًا؟

الشيخ: أربعًا.

القول بنسخ تأخيره عليه الصلاة والسلام لصلاة العصر في الأحزاب بصلاة الخوف:

مداخلة: منسوخة الصلاة ـ عفا الله عنك ـ في الخندق.

الشيخ: نعم؟ السؤال: منسوخة تأخير الصلوات في غزوة الأحزاب منسوخ؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: تأخير الصلوات في غزوة الأحزاب منسوخ بالصلاة..؟

○ **الجواب**: الصواب عدم النسخ، الصواب أنه غير منسوخ.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة. الله المستعان. والأصح في هذا والأصوب هو القول الأول: أنه لا مفهوم له، وأن المراد القصر المعروف، قصر الصلاة من أربع إلى ثنتين؛ لأنها لما استقرت الصلاة أربعًا صارت صلاة السفر مقصورة بالنظر إلى صلاة التمام، صلاة الحاضرين المقيمين، ولهذا قال

النبي ﷺ: «**إنها رخصة من الله فاقبلوا من الله رخصته**»، ولم يقل لهم: إن المراد قصر الخوف الذي هو قصر الكيفية أو قصر الأركان، بل قال: «**إنها صدقة من الله**»، فدل ذلك على أن أمره على ظاهره، وأنها قصرت، يعني: العدد، فجعلت الأربع ثنتين، فضلًا من الله ﷻ.

● **س: أحسن الله إليك! إنسان عليه دين، وله عنده سداد سنة أو سنتين، لكن ما فيش أصلًا حد... من الزكاة يسدد أم يصبر؟ يتعفف يا شيخ؟!**

○ **الجواب:** إذا أخذ فهو رخصة، الغارم يأخذ من الزكاة ويسدد الدين..

مداخلة: لكن الأفضل؟!

الشيخ: الظاهر أنها رخصة، ليس الأفضل، قد يموت بدينه، ومن يساعده في قضاء الدين، الحمد لله.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: ١٠٢][(١)].

صلاة الخوف أنواع كثيرة، فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في فجر الأربعاء ٢١ ـ ٥ ـ ١٤١٦هـ.

يكون في غير صَوْبها، والصلاة تارة تكون رباعية، وتارة ثلاثية كالمغرب، وتارة ثنائية، كالصبح وصلاة السفر، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرون على الجماعة؛ بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، ورجالًا وركبانًا، ولهم أن يمشوا والحالة هذه ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة.

ومن العلماء من قال: يصلون والحالة هذه ركعة واحدة؛ لحديث ابن عباس المتقدم، وبه قال أحمد بن حنبل. قال المنذري في الحواشي: وبه قال عطاء، وجابر، والحسن، ومجاهد، والحكم، وقتادة، وحماد. وإليه ذهب طاوس والضحاك.

وقد حكى أبو عاصم العَبَّادي عن محمد بن نصر المروزي؛ أنه يرى رَدَّ الصبح إلى ركعة في الخوف وإليه ذهب ابن حزم أيضًا.

وقال إسحاق بن راهويه: أما عند المسايفة فيجزيك ركعة واحدة، تومئ بها إيماء، فإن لم تقدر فسجدة واحدة؛ لأنها ذكر الله.

وقال آخرون: تكفي تكبيرة واحدة. فلعله أراد ركعة واحدة، كما قاله أحمد بن حنبل وأصحابه، ولكن الذين حكوه إنما حكوه على ظاهره في الاجتزاء بتكبيرة واحدة، كما هو مذهب إسحاق بن راهويه، وإليه ذهب الأمير عبد الوهاب بن بُخْت المكي، حتى قال: فإن لم يقدر على التكبيرة فلا يتركها في نفسه، يعني بالنية، رواه سعيد بن منصور في سننه عن إسماعيل بن عَيَّاش، عن شعيب بن دينار، عنه، فالله أعلم.

ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمناجزة، كما أخَّر النبي ﷺ يوم الأحزاب صلاة العصر، قيل: والظهر، فصلاهما بعد الغروب، ثم صلى بعدهما المغرب ثم العشاء. وكما قال بعدها ـ يوم بني قريظة، حين جهز إليهم الجيش ـ: «**لا يصلينّ أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة**»، فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق، فقال منهم قائلون:

لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيلَ المسير، ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق. وأخَّر آخرون منهم العصر، فصلوها في بني قريظة بعد الغروب، ولم يُعَنِّف رسول الله ﷺ أحدًا من الفريقين وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة، وبَيَّنا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب إلى إصابة الحق في نفس الأمر، وإن كان الآخرون معذورين أيضًا، والحجة هاهنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلى حصار الناكثين للعهد من الطائفة الملعونة اليهود. وأما الجمهور فقالوا: هذا كله منسوخ بصلاة الخوف، فإنها لم تكن نزلت بعد، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك، وهذا بيِّن في حديث أبي سعيد الخدري، الذي رواه الشافعي وأهل السنن، ولكن يشكل على هذا ما حكاه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في صحيحه، حيث قال: «باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو»: قال الأوزاعي: إن كان تَهَيَّأ الفتحُ ولم يقدروا على الصلاة، صَلُّوا إيماء، كل امرئ لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أَخَّروا الصلاة حتى ينكشف القتال، أو يأمنوا فيصلوا ركعتين. فإن لم يقدروا صَلُّوا ركعة وسجدتين، فإن لم يقدروا لا يجزئهم التكبير، ويؤخِّرونها حتى يأمنوا. وبه قال مكحول، وقال أنس بن مالك: حضرت مناهضة حصن تُسْتر عند إضاءة الفجر، واشتد اشتعال القتال، فلم يقدروا على الصلاة، فلم نُصَلِّ إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبي موسى، فَفُتح لنا، قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها.

انتهى ما ذكره، ثم أتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الأحزاب، ثم بحديث أمره إياهم ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، وكأنه كالمختار لذلك، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الصواب أنه لا بأس بالتأخير لشدة القتال مثلما أَخَّرها

النبي ﷺ يوم الأحزاب، وهكذا أخَّر إحدى الطائفتين لما بعثوا إلى بني قريظة، منهم من صلى العصر في وقتها، ومنهم من أخرها حتى صلاها في بني قريظة بعد المغرب، وهكذا الصحابة في تستر، لما اشتد القتال الفجر أخَّروها وصلَّوها ضحًى، لأن أداءها بطمأنينة وكمال خير من أدائها على غير ذلك عند شدة القتال واشتغال القلوب، فلا بأس بالتأخير، والقول بالنسخ لا وجه له، القاعدة المعروفة: أنه كلما أمكن الجمع فهو أولى من النسخ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولمن جنح إلى ذلك له أن يحتج بصنيع أبي موسى وأصحابه يوم فتح تستر فإنه يشتهر غالبًا، ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب، ولم ينقل أنه أنكر عليهم، ولا أحد من الصحابة، والله أعلم.

وقال هؤلاء: وقد كانت صلاة الخوف مشروعة في الخندق؛ لأن ذات الرِّقَاع كانت قبل الخندق في قول جمهور علماء السير والمغازي. وممن نص على ذلك محمد بن إسحاق، وموسى بن عقبة، والواقدي، ومحمد بن سعد كاتبه، وخليفة بن خَيَّاط وغيرهم وقال البخاري وغيره: كانت ذات الرقاع بعد الخندق، لحديث أبي موسى وما قَدم إلا في خيبر، والله أعلم. والعجب - كل العجب - أن المُزْني، وأبا يوسف القاضي، وإبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّة ذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيره عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصلاة يوم الخندق. وهذا غريب جدًّا، وقد ثبتت الأحاديث بعد الخندق بصلاة الخوف، وحمل تأخير الصلاة يومئذ على ما قاله مكحول والأوزاعي أقوى وأقرب، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صفة الصلاة عند المسايفة:

- **س: أحسن الله إليك! أما عند المسايفة؟**

○ **الجواب**: ما يمكن، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] كما قال الله ﷻ، كلٌّ يصلي على حسب حاله، ركعة أو أكثر، نعم، ولو بالإيماء، نعم، لكن إذا أخروا أطمن للقلوب وأكمل للصلاة، أكمل للصلاة إذا أخَّروها فهو أفضل لفعل النبي ﷺ وفعل الصحابة بعد ذلك .اللَّهم صلِّ عليه.

مداخلة: المسايفة اشتداد القتال يعني؟

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: إذا صلَّيت بهم إمامًا في صلاة الخوف، وهذه حالة غير الأولى، فإن تلك قصرها إلى ركعة، كما دل عليه الحديث، فرادى ورجالًا وركبانًا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، ثم ذكر حال الاجتماع والائتمام بإمام واحد. وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود أن صلاة الخوف كون الله ﷻ قال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ من أوضح الأدلة على وجوب صلاة الجماعة، وأن الواجب على المسلمين أن يصلوها جماعة في بيوت الله ﷻ، مع شدة الخوف أمرهم أن يصلوا جماعة، صلى بهم جماعة، وعند الحاجة قسمهم قسمين، فلم يسقط الجماعة إلا عند العجز، فدل ذلك على أنه يجب على المسلمين أن يصلوا جماعة في الصلوات الخمس في بيوت الله، وأنه لا يجوز لهم أن يصلوها في منازلهم؛ ولهذا قال ﷺ: (من سمع النداء فلم يأت فلا

صلاة له إلا من عذر. قيل لابن عباس: ما هو العذر؟ قال: خوف أو مطر). وقال عليه الصلاة والسلام للأعمى لما سأله قال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: **«هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ»**. فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ **«فَأَجِبْ»**[1]، هذا هذا أعمى ليس له قائد ومع هذا يقال له: أجب، يعني: أجب النداء، صل مع الجماعة، فكيف بالبصير القادر؟ من باب أولى، وإذا كانت تجب في صلاة الخوف إذا تيسر ذلك فمن باب أولى في صلاة الأمن.

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! بعض رجال الحسبة يذكرون بالصلاة، حتى إذا انتهت الصلاة وصلوا الناس صلوا في مقرهم.**

○ **الجواب**: إذا دعت الضرورة إلى هذا، الهيئة لها شأن، رجال الهيئة لهم شأن، يراقبون الناس ويأمرونهم بالصلاة، يلاحظونهم، النبي ﷺ قال: **«لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثم أنطلق إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم»**، هذا التخلف لأجل مصلحة المسلمين وإقامة أمر الله، والمنع من التخلف عن الجماعة.

حكم آكل الثوم والبصل عند حضور صلاة الجماعة:

● **س: إذا أكل الإنسان ثومًا أو بصل؟**

○ **الجواب**: لا يصلي مع الجماعة، إذا أكل ثوم أو بصل يصلي في بيته، الرسول ﷺ نهاه أن يصلي مع الجماعة، لا يؤذيهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب يجب إتيان المسجد على سمع النداء برقم (٦٥٣).

مداخلة: إذا كررها عدة مرات يعني.

الشيخ: إذا كان قصد بذلك التخلف هذا يكون عاصي، أما إذا دعت الحاجة إلى أكل الثوم والبصل لحاجة أو لعلة فلا بأس.

حكم المسافرين عند سماع الأذان:

• **س: إذا كان الجماعة في سفر ويسمعون الأذان هل يجب عليهم؟**

الشيخ: أذان ماذا؟ أي أذان؟

مداخلة: أذان الصلاة.

الشيخ: أذان في البلد وإلا؟

مداخلة: هم في البلد لكنهم مسافرين.

○ **الجواب**: لا لا، ما يلزمهم لأنهم لهم عذر، يصلون قصرًا، إلا إذا كان واحد يلزمه أن يصلي مع الجماعة ولا يصلي قصر، يلزمه أن يصلي مع الجماعة، لأن الجماعة واجبة، أما إذا كانوا جماعة اثنين فأكثر: إن صلوا مع الجماعة فلا بأس، وإن صلوا قصرًا لأنفسهم فلا بأس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما من استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي ﷺ لقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ فبعده تفوت هذه الصفة، فإنه استدلال ضعيف، ويُرَدُّ عليه مثل قول مانعي الزكاة، الذين احتجوا بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] قالوا: فنحن لا ندفع زكاتنا بعده ﷺ إلى أحد؛ بل نخرجها نحن بأيدينا على من نراه، ولا ندفعها إلى من صلاته؛ أي: دعاؤه، سكن لنا، ومع هذا ردَّ عليهم الصحابة وأبَوْا عليهم هذا الاستدلال، وأجبروهم على أداء الزكاة، وقاتلوا من منعها منهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، من قال أنها منسوخة بقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ استدلال بعيد، فقد فعلها الصحابة بعدهم والرسول ﷺ مشرِّع يعلم الناس، فعلى الأمة أن تسلك الشريعة التي جاء بها وأن تستقيم عليها، فلا يجوز أن يقال: إن هذا خاص في حياته ﷺ، فهو المشرِّع والمعلم، فجميع الشرائع كلها بعده، إلا ما خصه الله به في حياته فقط، وأما إن بقي شيء الشرع كله للناس يعلمهم ويرشدهم، أما ما خصَّه الله به فقط فهذا انتهى بموته، مثل كونه تزوج تسعًا، كونه له أن يقبل واهبة، الشيء اللي خصَّه به هذا يختص به عليه الصلاة والسلام، فالمقصود أن صلاة الخوف له وللأمة جميعًا.

الأسئلة:

- **س: إذا فاتت الجماعة الأولى، ما هو دليل الذين منعوا الجماعة الثانية من الإقامة؟**

○ **الجواب**: لا دليل لهم، إذا فاتت الجماعة الأولى ووجدت جماعة صل معهم، (النبي ﷺ لما دخل رجل وقد صلوا الناس قال ﷺ: «**من يتصدق على هذا فيصلي معه**») فهذه جماعة جديدة، فإذا فاتت الجماعة وتيسرت جماعة أخرى صلِّ معهم والحمد لله، وعليك أن تجتهد في المستقبل حتى لا تفوت الجماعة، حتى تصلي مع الناس مع الإمام الراتب، لكن لو حصل التأخر لبعض الأسباب ثم وجد جماعة أخرى صلَّى معهم.

مداخلة: عفا الله عنك! ربما يزيد التساهل عفا الله عنك! في الجماعة إذا عرف أن هناك جماعة ثانية ستقام في نفس المسجد.

الشيخ: ما عنده جماعة، هذه جماعة عارضة ما هي بجماعة مرتبة هذه جماعة عارضة، جاء جماعة وقد صلى الناس صلوا جماعة، ما

يصلوا فرادى، الذي قال بهذا القول يصلوا فرادى قول ساقط لا وجه له.

● **س: هل يوجد أفضلية بين الجماعتين؟**

○ **الجواب**: الجماعة الراتبة التي يصلي بهم الإمام الراتب هذه الواجب السعي إليها والصلاة معهم، ومن تخلف فقد أثم، إلا لعذر شرعي، لكن لو تخلف لعذر شرعي أو لغير عذر ثم وجد جماعة أخرى لزمه أن يصلي معهم ولا يصلي وحده.

● **س: زكاة الأنعام السائمة بمؤخر العام الذي يشتري علف هل يجب عليه؟ يشتري علف.**

○ **الجواب**: إذا كانت سائمة عليه الزكاة، أما إذا كانت ليست سائمة ما عليه زكاة، إذا كانت للقنية، أما إذا كان للتجارة زكاها زكاة التجارة، زكاة العروض، زكاة الذهب والفضة، أما إذا كانت سائمة أغلب الحول أو كل الحول وجبت فيها زكاة السائمة، إذا بلغت النصاب.

● **س: الحكم على حديث: «مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّي مَعَهُ»(١)؟**

○ **الجواب**: صحيح.

● **س: حكم صلاة الفريضة مع شخص آخر نافلة؟**

○ **الجواب**: نعم، مثل ما كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ الفريضة ثم يذهب يصلي بجماعته، هي له نفل ولهم فرض، ومثل ما صلى النبي ﷺ في صلاة الخوف، صلى بجماعة ركعتين هذا فرضهم وفرضه، ثم صلى بآخرين جماعة ركعتين فرض لهم ونفل له عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه الامام أحمد (٣/ ٤٥)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤/ ٢٩٢) برقم (١٥٠٩).

● س: حكم تأخير الجماعة لصلاة الفريضة إلى آخر وقتها؟

○ **الجواب**: السنة عدم التأخير، السنة المبادرة، إلا العشاء إذا تأخَّروا أخَّر، هذا الأفضل، وإلا بقية الصلوات السنة فيها التقديم في أول الوقت، ما عدا العشاء، كان النبي ﷺ إذا رآهم عجلوا عجَّل، وإذا رآهم أخَّروا أخَّر، عليه الصلاة والسلام، وهكذا الظهر في شدة الحر الأفضل تأخيرها في شدة الحر.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! يتصدق عليه ولو كانت صلاة مغرب؟

الشيخ: ولو المغرب، الحديث عام. ومن هذا قصة أبي ذر لما ذكر النبي ﷺ أنه يأتي على الناس زمان يؤخر فيها الأمراء الصلاة عن وقتها، قال أبو ذر: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة، ولا تقل: صليت فلا أصلي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولنذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولًا قبل ذكر صفتها:

قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الله بن هاشم، أنبأنا سيف عن أبي رَوْق، عن أبي أيوب، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١] ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحَولٍ غزا النبي ﷺ فصلى الظّهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلَّا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في إثرها. قال: فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ بين الصلاتين: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾﴾ فنزلت صلاة الخوف.

وهذا سياق غريب جدًّا ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزُّرَقي، واسمه زيد بن الصامت رضي الله عنه، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي عياش قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان، فاستقبلنا المشركون، عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: لقد كانوا على حال لو أصبنا غُرَّتَهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم النبي ﷺ فأخذوا السلاح، قال فصفَّنا خلفه صفَّين، قال: ثم ركع فركعنا جميعًا، ثم رفع فرفعنا جميعًا، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، ثم ركع فركعوا جميعًا، ثم رفع فرفعوا جميعًا، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا، ثم سلم عليهم، ثم انصرف. قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين: مرة بعسفان، ومرة بأرض بني سليم.

ثم رواه أحمد، عن غُنْدَر، عن شعبة، عن منصور، به نحوه.

وهكذا رواه أبو داود، عن سعيد بن منصور، عن جرير بن عبد الحميد، والنسائي من حديث شعبة وعبد العزيز بن عبد الصمد، كلهم عن منصور، به.

وهذا إسناد صحيح، وله شواهد كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري حيث قال: حدثنا حَيْوَة بن شُرَيح، حدثنا محمد بن حرب، عن الزُّبيدي، عن الزُّهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناس منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام الثانية فقام الذين سجدوا، وحرسوا إخوانهم، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في الصلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضًا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن سليمان اليَشْكُري: أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة: أي يوم أنزل؟ أو: أي يوم هو؟ فقال جابر: انطلقنا نتلقى عِيرَ قريش آتية من الشام، حتى إذا كنا بنخل، جاء رجل من القوم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد. قال: «**نعم**»، قال: هل تخافني؟ قال: «**لا**». قال: فما يمنعك مني؟ قال: «**الله يمنعني منك**». قال: فَسلَّ السيف ثم تهدده وأوعده، ثم نادى بالترحل وأخذ السلاح، ثم نودي بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بطائفة من القوم وطائفة أخرى تحرسهم. فصلى بالذين يلونه ركعتين، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا في مصاف أصحابهم، ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم، ثم سلم. فكانت للنبي ﷺ أربع ركعات، والقوم ركعتين ركعتين، فيومئذ أنزل الله في إقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُرَيج، حدثنا أبو عَوَانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس اليَشْكُري، عن جابر بن عبد الله قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب خَصَفَة فجاء رجل منهم يقال له: «غورث بن

الحارث» حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله**»، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**ومن يمنعك مني**»؟ قال: كن خير آخذ. قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» قال: لا ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله، فأتى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس. فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، فكان الناس طائفتين: طائفة بإزاء العدو، وطائفة صلوا مع رسول الله ﷺ. فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين، وانصرفوا، فكانوا بمكان أولئك الذين بإزاء عدوهم. وانصرف الذين بإزاء عدوهم فصلوا مع رسول الله ﷺ ركعتين، فكان لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتين ركعتين. تفرد به من هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنَان، حدثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم، حدثنا المسعودي، عن يزيد الفقير قال: سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر: أقصرهما؟ قال: الركعتان في السفر تمام، إنما القصر واحدة عند القتال، بينما نحن مع رسول الله ﷺ في قتال إذْ أقيمت الصلاة، فقام رسول الله صلى فصفَّ طائفة، وطائفة وجهها قِبَل العدو، فصلَّى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين، ثم الذين خُلِّفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله ﷺ فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين، ثم إن رسول الله ﷺ جلس وسلم، وسلَّم الذين خلفه، وسلَّم أولئك، فكانت لرسول الله ﷺ ركعتين، وللقوم ركعة ركعة، ثم قرأ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ صلَّى

بهم صلاة الخوف، فقام صفٌّ بين يديه، وصفٌّ خلفه، فصلى بالذي خلفه ركعة وسجدتين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم، وجاء أولئك حتى قاموا مقام هؤلاء، فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعة وسجدتين، ثم سلم. فكانت للنبي ﷺ ركعتين ولهم ركعة.

ورواه النسائي من حديث شعبة، ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نُعَيْم بن حمَّاد، حدثنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا مَعْمَر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: هي صلاة الخوف، صلَّى رسول الله ﷺ بإحدى الطائفتين ركعة، والطائفة الأخرى مقبلة على العدو، وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعة أخرى، ثم سلم بهم، ثم قامت كل طائفة منهم فصلَّت ركعة ركعة. وقد روى هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طريق معمر، به ولهذا الحديث طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة، وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في سرد طُرُقه وألفاظه، وكذا ابن جرير، ولنحرره في كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله، وبه الثقة.

وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف، فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية، وهو أحد قولي الشافعية، ويدل عليه قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾؛ أي: بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢][1].

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ، أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قال: أَخْبَرَنِي يَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ قال: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ جَرِيحًا»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

(مِنَ القَارِئِ): قال: **(عبد الرَّحْمَن بن عوف وَكَانَ جريحًا)**؛ يعني: على التقدير: هو عبد الرّحمن، الآية نزلت في عبد الرّحمن بن عوف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: قال عبد الرحمٰن ماذا؟

(من القارئ): قال: **(عبد الرَّحْمَن بن عوف وَكَانَ جريحًا)** فقط.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا عندكم؟

(القارئ): كان جريحًا، بِدونِ الواو.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال الشّارِح؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٢٦٤)]: «قوله: (﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ **قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ جَرِيحًا**). في روايةٍ: «كان» بغير واوٍ، كذا وقع عنده مختصرًا، ومقول ابن عبّاسٍ ما ذكر عن عبد الرّحمن.

وقوله: **(كَانَ جَرِيحًا)**؛ أي: فنزلت الآية فيه. وقال الكرمانيّ: يحتمل هذا، ويحتمل أنّ التّقدير قال: ابن عبّاسٍ وعبد الرّحمن بن عوفٍ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ﴾...إلخ برقم (٤٥٩٩).

يقول: من كان جريحًا فحكمه كذلك؛ فكان عطف الجريح على المريض إلحاقًا به على سبيل القياس، أو لأنّ الجرح نوعٌ من المرض؛ فيكون كلّه مقول عبد الرّحمن، وهو مرويٌّ عن ابن عبّاسٍ.

قلت: وسياق ما أورده غير البخاريّ يدفع هذا الاحتمال؛ فقد وقع عند أبي نعيمٍ في «المستخرج» من طريق إبراهيم بن سعيدٍ الجوهريّ، عن حجّاج بن محمّد قال: كان عبد الرّحمن بن عوفٍ جريحًا. وهو ظاهرٌ في أن فاعل قال هو ابن عبّاسٍ، وأنّه لا رواية لابن عبّاسٍ في هذا عن عبد الرّحمن». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود الآية واضحةٌ، معنى الآية واضحٌ، أمرهم الله جَلَّ وَعَلَا أمرهم كما في صلاة الخوف أن يحملوا السّلاح، ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾، لكن من كان معذورًا فقد نص الله على عذره: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ﴾؛ فإذا كان المجاهد جريحًا أو مريضًا يشقُّ عليه حمل السلاح صلى وترك حمل السلاح.

● **س: أحسن الله إليك، كأنّ ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **مراده أنّ الآية نزلت في عبد الرّحمن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

زيادة أبي نعيم في «المستخرج» توضّح أن المراد بيان الحكم الشّرعيّ، وليس مراده أن عبد الرّحمن جريحٌ، بيان الحكم الشّرعيّ، وأن الجريح كالمريض، إذا شق عليه لا بأس أن يضع السّلاح في صلاة الخوف.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٣، ١٠٤](١).

يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف، وإن كان مشروعًا مرغبًا فيه أيضًا بعد غيرها، ولكن هاهنا آكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك، مما ليس يوجد في غيرها، كما قال تعالى في الأشهر الحرم: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، وإن كان هذا منهيًّا عنه في غيرها، ولكن فيها آكد لشدة حرمتها وعِظَمِها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾؛ أي في سائر أحوالكم.

ثم قال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾؛ أي: فإذا أمنتم وذهب الخوف، وحصلت الطمأنينة ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾؛ أي: فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وسجودها وركوعها، وجميع شئونها.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ قال ابن عباس: أي مفروضًا. وكذا روي عن مجاهد، وسالم بن عبد الله، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، والحسن، ومقاتل، والسدي، وعطية العوفي.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتًا كوقت الحج.

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وقال زيد بن أسلم: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ قال: منجمًا، كلما مضى نجم، جاءتهم يعني: كلما مضى وقت جاء وقت.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾؛ أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم؛ بل جُدوا فيهم وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾؛ أي: كما يصيبكم الجراح والقتل، كذلك يحصل لهم، كما قال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ثم قال: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾؛ أي: أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، وهم لا يرجون شيئًا من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشد رغبة في إقامة كلمة الله وإعلائها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾؛ أي: هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه، وينفذه ويمضيه، من أحكامه الكونية والشرعية، وهو المحمود على كل حال.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٩][(١)].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول تعالى مخاطبًا لرسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: هو حق من الله، وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه.

وقوله: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان عليه السلام، له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في الصحيحين من رواية هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة؛ أن رسول الله ﷺ سمع حَلَبَةَ خصم بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بسم الله، اللَّهُمَّ صل على محمد، والمعنى في هذا أن الله جل وعلا يريه الحق ويبصره به على القواعد التي شرعها لعباده؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. وهو وحي الذي أراه الله، هو وحي، لا ينافي قوله جل وعلا: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤]. فالذي أراه الله هو الوحي الذي أراه الله له، أراه الله أن يحكم بالشاهدين وبيمين المدَّعى عليه إن ادعى بدون البينة، والشاهد واليمين، كل هذا من الوحي لا منافاة بين الآيتين، بما أراك الله. وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، والله أوحى إليه أن يحكم بين الخصوم بهذا، كما في الحديث الآخر: «**شاهداك أو يمينه**»، «**البيِّنة على المدَّعي، واليمين على من أنكر**»، كله وحي من الله، كله

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب من أقام البيِّنة بعد اليمين برقم (٢٦٨٠)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة برقم (١٧١٣).

حُكم من الله، أراه الله نبيه، أما الرأي المجرد الذي لا أصل له لا، إنما يحكم بشيء أراه الله إياه، ولهذا قال: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾، والذي أراك الله هو الوحي، والوحي أوحاه إليه بأن يحكم بين الخصوم بكذا وكذا، وهنا لا يعلم الغيب، إنما يحكم بما أراه الله من إنشاء الشهود، والأيمان، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا أسامة بن زيد، عن عبد الله بن رافع، عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد دَرَسَتْ، ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ، يأتي بها إسطامًا في عنقه يوم القيامة**». فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لأخي فقال رسول الله ﷺ: «**أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما، ثم توخيا الحق، ثم استهما، ثم ليُحْللْ كل واحد منكما صاحبه**».

وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد، به. وزاد: «**إني إنما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا لا يمنع فيما تقدم إنه إذا حضر الخصمان وليس عندهما بينة، فليس له هناك إلا اليمين، والشخص الذي يحلف قد يكون كاذبًا، والنبي ﷺ ما يعلم الغيب، أوحى الله إليه أن يأخذ اليمين، أوحى الله إلى نبيه ﷺ أن يأخذ البينة عند عدم البينة، وصاحب اليمين قد يكذب، وصاحب البيِّنة قد يكذب، البينة قد تكذب، وليس للحاكم إلا الحكم بالظاهر من العدالة، كله حكم بالشرع، حكم بما أراه الله، وهكذا

القضاة إذا حكموا بهذا، فهذا حكم الشرع، وليس لهم إلا الظاهر، فإذا كان الشاهدان كاذبين، أو المدَّعي كاذب، أو المدَّعى عليه كاذب حين حلف، هذا هو الله الذي يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: أحسن الله إليك الإسناد صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

صحيح، الحديث مخرَّج في الصَّحيحين.

مداخلة: قوله: (برأيي)؟

الشيخ: رأيي الذي أراه الله يعني لو صحت هذه الرواية، نص الرواية، أو نص الآية: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾.

مداخلة: أسامة بن زيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسامة بن زيد بن شريك..

مداخلة: مو ضعيف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، أسامة بن زيد بن شريك ما هو بأسامة بن زيد بن أسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، أسامة بن زيد من رجال مسلم هو ابن شريك الليثي..

مداخلة: كلاهما ضعيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا لا، الليثي لا بأس به، أسامة بن زيد بن أسلم ضعيف، أما الليثي لا بأس به. لكن أصل الحديث في الصحيحين حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى ابن مَرْدُويه، من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: إن نفرًا من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجل من الأنصار، فأتى صاحب الدرع

رسول الله ﷺ فقال: إن طُعْمَةَ بن أُبَيْرق سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء، وقال لنفر من عشيرته: إني غَيَّبْتُ الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده. فانطلقوا إلى نبيِّ الله ﷺ ليلًا فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء. وإن صاحب الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علمًا، فاعذُرْ صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه. فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [يقول: احكم بما أنزل الله إليك في الكتاب] ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾، ثم قال للذين أتوا رسول الله ﷺ مُسْتخْفين بالكذب: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾، يعني: الذين أتوا رسول الله ﷺ مستخفين يجادلون عن الخائنين ثم قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، يعني: الذين أتوا رسول الله ﷺ مستخفين بالكذب، ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]، يعني: السارق والذين جادلوا عن السارق. وهذا سياق غريب وكذا ذكر مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها أنزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقاتهم، وهي متقاربة.

وقد روى هذه القصة محمد بن إسحاق مطولة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما صرح بالسماع فيه عنعنته والمقصود الأحكام

التي بيَّنها الله ﷻ، سواءً قد ثبتت القصة أو ما ثبتت، المهم الحكم بين الناس بالحق، وعدم مساعدة المجرمين، وأن يكون الحاكم بعيدًا عن كل ما يوجب التهمة، أن يكون مع الحق مع البينة الشرعية مع من كانت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعه، وابن جرير في تفسيره: حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحرَّاني، حدثنا محمد بن سلمة الحرَّاني، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عُمَر بن قتادة، عن أبيه، عن جده قَتَادة بن النعمان رضي الله عنه، قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أُبَيْرق: بِشْر وبُشير ومُبَشّر، وكان بُشَير رجلًا منافقًا، يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ، ثم ينحله بعض العرب، ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، وقال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث؟ ـ أو كما قال الرجل ـ وقالوا ابن الأبيرق قالها. قالوا: وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدَّرْمَك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير، فقدمت ضَافطة من الشام، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرمك فحطه في مَشْربة له، وفي المشربة سلاح: درع وسيف، فَعُدى عليه من تحت البيت، فَنُقّبت المشربة وأُخذ الطعام والسلاح. فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، إنه قد عُدْ علينا في ليلتنا هذه. فنُقبت مشربتنا وذُهِب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتجسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أُبَيْرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم.

قال: وكان بنو أبيرق قالوا ـ ونحن نسأل في الدار ـ: والله ما نرى صاحبكم إلا لَبِيد بن سهل رجلًا منا له صلاح وإسلام. فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبيِّنن هذه السرقة. قالوا: إليك عنا أيها الرجل، فما أنت بصاحبها. فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها.

فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيتَ رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد، فنَقَبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه. فَلْيردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال النبي ﷺ: «**سآمُرُ في ذلك**».

فلما سمع بنو أُبَيْرق أتوا رجلًا منهم يقال له: أُسَير بن عمْرو فكلَّموه في ذلك، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت النبيَّ ﷺ فكلمته، فقال: «**عمدتَ إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير ثَبَت ولا بينة**»؟ قال: فرجعت ولَوَدِدت أني خرجت من بعض مالي، ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان. فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ بني أبيرق ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ مما قلت لقتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ إلى قوله: ﴿رَّحِيمٗا ١١٠﴾؛ أي: لو استغفروا الله لغفر لهم ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾

قولهم للبيد: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردَّه إلى رفاعة.

فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخًا، قد عشا أو عسا ـ الشك من أبي عيسى ـ في الجاهلية وكنت أرى إسلامه مدخولًا فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله. فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا، فلما نزل القرآن لحق بُشَيرٌ بالمشركين، فنزل على سُلافةَ بنت سعد بن سُمَية، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٥، ١١٦] فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذت رَحْلَهُ فوضعته على رأسها، ثم خرجت به فَرَمَتْ به في الأبطح، ثم قالت: أهديتَ لي شِعْر حسان؟ ما كنتَ تأتيني بخير.

لفظ الترمذي، ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني: وروى يونس بن بُكَير وغير واحد، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عُمَر بن قتادة مرسلًا لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده.

ورواه ابن حاتم عن هاشم بن القاسم الحراني، عن محمد بن سلمة، به ببعضه.

ورواه ابن المنذر في تفسيره: حدثنا محمد بن إسماعيل ـ يعني الصائغ، حدثنا الحسن بن أحمد ابن أبي شعيب الحراني، حدثنا محمد بن سلمة فذكره بطوله.

ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في تفسيره عن محمد بن العباس بن

أيوب والحسن بن يعقوب، كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، عن محمد بن سلمة، به. ثم قال في آخره: قال محمد بن سلمة: سمع مني هذا الحديث يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إسرائيل.

وقد روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري هذا الحديث في كتابه «المستدرك» عن أبي العباس الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي، عن يونس بن بُكَير، عن محمد بن إسحاق ـ بمعناه أتم منه، وفيه الشعر، ثم قال: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه

وقوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ الآية، هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها لأنه مطّلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ تهديد لهم ووعيد.

ثم قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية! نسأل الله العافية! المقصود فيه التحذير من الخيانة، والظلم، وتعاطي التدليس، فإن الله جَلَّ لا تخفى عليه خافية، فهب أن الظالم أو مدلس نجح في الدنيا، لكن من يجيره من عذاب الله يوم القيامة، فكم من خائن وكم من مدلس نجح بشهود الزور، وبالبينات الكاذبة، والمحرَّفة، ولكنه سوف يبوء بذلك، وعقوبة ذلك يوم القيامة. نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولهذا قال ﷺ: «**إنما أقطع**

له قطعة من النار، فليحملها أو ليذرها»، نسال الله العافية! نسأل العافية! لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: هَبْ أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه أو أبدى لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر ـ وهم مُتَعَبَّدون بذلك ـ فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، الذي يعلم السر وأخفى؟ ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ في ترويج دعواهم؟ أي: لا أحد يكون يومئذ لهم وكيلًا ولهذا قال: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥][1].

الله جَلَّ وَعَلَا أمر رسوله ﷺ بأن يحكم بين الناس بما أنزل الله عليه، قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، فكان يحكم بما أنزل الله.

فإذا لم يكن هناك نصٌّ عنده، اجتهد عليه الصلاة والسلام وحكم بما عنده من الأدلة الشرعية، كما قال في الحديث الصحيح: **«إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»**. متفق على صحته[2] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومعنى هذا: أنه قد يجتهد في الحكم حسب القواعد الشرعية؛

---

(١) من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) سبق تخريجه في (ص٢١٤).

لأنه لم ينزل عليه فيه شيء، فمن عرف أن الحكم ليس بمطابق وأن الشهود زور، فقد أخذ قطعة من النار.

فليحذر ذلك وليتق الله في نفسه، ولو كان الرسول هو الحاكم عليه؛ لأن الحاكم ليس له إلا الظاهر من ثقة الشهود وعدالتهم، أو يمين المدعى عليه، فإذا كان المدعي أحضر شهودًا يعلم أنهم قد غلطوا ـ ولو كانوا تقاة ـ وأن الحق ليس له، أو يعلم أنهم شهود زور، ولكن القاضي اعتبرهم عدولًا؛ لأنهم عُدِّلوا عنده، وزُكُّوا لديه، فإن هذا المال الذي يحكم به له أو القصاص كله باطل بالنسبة إليه؛ لعلمه ببطلانه، وهو قد تعدى حدود الله وظلم ـ وإن حكم له القاضي ـ؛ لأن القاضي ليس له إلا الظاهر؛ ولهذا قال ﷺ: «**فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**».

والنبيُّ ﷺ يحكم بما أنزل الله فيما أوصاه الله إليه، وما لم يكن فيه نص اجتهد فيه عليه الصلاة والسلام حتى تتأسى به الأمة، وهو في ذلك كله يعتبر حاكمًا بما أنزل الله؛ لكونه حكم بالقواعد الشرعية التي أمر الله أن يحكم بها، ولهذا قال للزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ لما ادعى على شخص في أرض: «**شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ**»، فقال الزبير: إذًا يحلف يا رسول الله ولا يبالي، فقال له النبي ﷺ: «**لَيْسَ لَكَ إِلَّا ذَلِكَ**» متفق عليه(١).

ولما بعث معاذًا وفدًا إلى اليمن قال له: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟**». قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي**

---

(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب اليمين على المُدَّعَى عليه في الأموال والحدود برقم (٢٦٧٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار برقم (١٣٨).

كِتَابِ اللهِ؟». قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ؟**». قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ**». رواه الإمام أحمد وجماعة بإسناد حسن(١).

❊

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨](٢).

هذه الآية فيما يتعلق بذم النقل إلى ولاة الأمور من الأمراء والملوك ما يخشى منه الشر والفتنة، أما ما تدعو إليه الحاجة لحفظ الأمن وسلامة المسلمين فلا بأس، وهكذا ذم صاحب الوجهين الذي يأتي الناس بوجه ويأتي الآخرين بوجه لينال حظه العاجل من الدنيا، وتقدم أحاديث النميمة، والواجب على المؤمن أن يحذرها، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»(٣).

وحديثُ أصحاب القبرين «أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء برقم (٣٥٩٢)، والترمذي في كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي يصيب ويخطئ برقم (١٣٢٦)، وأحمد في مسند الأنصار رضي الله عنهم (٥/ ٢٤٢).

(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة برقم (١٠٥) (١٦٨).

وكان يعذب في قبره. فالنمام هو الذي ينقل الكلام السيئ الذي ينقله للأمير أو للجيران أو لغيرهم حتى تفسد الحال بين المنقول عنه والمنقول إليه، وهذه هي النميمة قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**». فالنميمة نقل الحديث الذي يسبب الشحناء والعداوة، قال فيك كذا، سمعت يقول فيك كذا، يذمك في كذا إلى غير ذلك مما يسبب الشحناء، هذا لا يجوز، إلا إذا كان لمصلحة مثل ما قال المؤلف لحاجة شيء يضر المسلمين، ناس يبيتون مضرة على المسلمين أو مضرة على بعض المسلمين ينقل عنهم حتى يدفع شرهم، أما الشيء العادي الذي يسبب الشحناء ومرض القلوب من دون فائدة فالله ﷻ يحذر منه، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»؛ فالواجب الحذر إلا ما تدعو له الحاجة، الشيء الذي يضر المسلمين ينقل إلى أمير البلد إلى السلطان، إلى الهيئة، الشيء الذي يخشى منه الضرر ينقل، أما الشيء الذي وإنما لا يخشى منه الضرر يسبب الشحناء والعداوة فهذا من النميمة فلا يجوز.

وهكذا ذو الوجهين يجب أن يحذر وهو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه يأتي هذا يمدحه ثم يذهب إلى الآخر ويذمه عنده وهكذا، له وجوه كل ناس يأتيهم بوجه حتى يعيش حتى يجد مطلوبه فيأتي زيدًا ويذم عنده عمرًا، ويأتي عمرًا ويذم عنده زيدًا حتى يظن كل واحد أنه صديقه وأنه صاحبه، وهذا يسبب الشحناء والعداوة والبغضاء بين الناس، وهذه هي النميمة، قد تكون كذبًا قد يكذب فيكون مع النميمة كذب نسأل الله العافية، الكذاب النمام نسأل الله العافية، فالواجب الحذر.

ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ**

لِيَصْمُتْ»(١)، ويقول ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(٢). الإنسان ينتقي لا يتكلم إلا بالشيء الطيب فإذا سمع أنواعًا من الكلام انتقى، أخذ الطيب ونقل الذي ينفع الناس والذي يضر الناس يتركه، وهكذا يقول ﷺ: «**تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»(٣). سمَّاه شر الناس والناس معادن، مثل ما قال ﷺ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا**»(٤)، فهذا يجود بالكرم والصدق والعفاف ومحبة العون للمسلم، فهم معادن فإذا أسلموا خيرهم في الجاهلية خيرهم في الإسلام إذا أسلموا وصاروا على طريقتهم السليمة الطيبة من الجود والكرم والإحسان والعون في الخير والكف عن الشر، وتجنب شر ذو الوجهين فيأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه «**وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً**»؛ يعني: من منصب الإمارة من كان يكرهه ثم بُلي به هو خير الناس قيامًا بخلاف من يطلبه ويحرص عليه فقد يخذل ولا يوفق؛ لكن من ألزم به وجاء وهو له كاره صار أقرب إلى أن

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره برقم (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك الإيمان برقم (٤٧).

(٢) سبق تخريجه في (ص٦٣).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين برقم (٦٠٥٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس برقم (٢٥٢٦).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴾ برقم (٣٤٩٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس برقم (٢٥٢٦).

ينجح فيه ويتقي الله فيه ويعتني به ويحذر أن يحيد عنه أو يظلم أحدًا.

كذلك حديث عبد الله بن عمر الذي يأتي السلاطين والأمراء بوجه ويأتي الآخرين بوجه، يمدحهم في وجوههم فإذا خرج منهم صار يذمهم، قال ابن عمر: كنا نعدُّ هذا نفاقًا. نسأل الله العافية، الواجب على المؤمن أن يحفظ لسانه سواء عند الملوك أو غير الملوك فلا يقول إلا الشيء الطيب الذي يعتقد أنه يسعه وأنه جائز له؛ وليحذر الأشياء التي يريد بها حظ نفسه العاجل فيكذب ويظهر محبة وتصديقًا، هو كذاب ليحصل من ورائهم شيء من طمع الدنيا، الواجب أن يكون صادقًا نصوحًا، هكذا المؤمن أينما كان لا تجده إلا ناصحًا لله ولعباد الله؛ ليس همه الدنيا وحرصه على تحصيلها بكل وسيلة؛ بل همه على ما فيه سعادته ونجاته وصلاح أمر دينه.

* * *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٠ ـ ١١٣](١).

يخبر، تعالى، عن كرمه وجوده: أن كل من تاب إليه تاب عليه من أيّ ذنب كان.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فجر الأحد ٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية: أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وَسَعة رحمته، ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، ولو كانت ذنوبه أعظم من السمٰوات والأرض والجبال. رواه ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضل الله جل وعلا ورحمته، أنه سبحانه لطيف بعباده، جواد كريم، فمن تاب إليه وأناب تاب الله عليه، ولو عظمت الذنوب، وأعظمها الشرك بالله، فمن أسلم لله، وترك الشرك، وتاب إلى الله توبة صادقة قبل الله منه، قد أسلم الجم الغفير في عهده ﷺ عام الفتح بعد الأعمال السيئة؛ بعد المحاربة للنبي ﷺ والصحابة، بعد القتال، ثم تاب عليهم جل وعلا، وقبلت توبتهم، وعفا عنهم رضي الله عنهم، كل هذا من فضله جل وعلا؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾. والسوء يشمل الشرك وغيره، وظلم النفس كذلك، يشمل ظلمها بالشرك، وبغيره من المعاصي.

وفي هذا المعنى يقول جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، أجمع العلماء أن هذه الآية في التائبين، فإذا تابوا، وأنابوا إلى الله واتقوا تاب الله عليهم من الشرك وما دونه، فلا يجوز القنوط ولا اليأس من رحمة الله؛ بل يجب حسن الظن بالله، والبدار والتوبة من الشرك وما دونه، صدقًا بالندم على الماضي من السيئات، والإقلاع من الذنوب، والعزم أن لا يعود فيها. هكذا التوبة، وبردِّ المظالم إلى أهلها، إذا كان عنده مظالم للناس، وجب ردها إليهم، أو استحلاله منها، وإذا كان صادقًا تاب الله عليه، وعفا عنه فضلًا منه وإحسانًا جل وعلا. فالواجب

حسن الظن به سبحانه، والصدق معه في المعاملة، والعبد له البشرى، والعاقبة الحميدة، إذا صدق في عمله، وأخلص لله، وتابع الحق يريد وجه الله والدار والآخرة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

الأسئلة:

● **س: ومن مات على الشرك؟**

○ **الجواب**: من مات على الشرك لا يغفر له نسأل الله العافية، الجنة.. الجنة عليه حرام.

● **س: والنفاق؟**

○ **الجواب**: والنفاق الأكبر كذلك، النفاق الأكبر ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]. والنفاق الأكبر هو: الذي يضمر الشرك والكفر بالله، ويتظاهر بالإسلام، وهو مع المشركين في الباطل، هذا الظلم الأكبر هذا النفاق الأكبر. أما النفاق الأصغر مثل: الكذب والفجور والخصومات وإخلاف الوعد والكذب في الحديث، هذا يقال له: النفاق الأصغر، وصاحبه من جملة أهل المعاصي، نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك! رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؟**

○ **الجواب**: يروي عنه كثيرًا، لكنه لم يسمع منه.. المعروف عنه أنه منقطع، لكنه يروي عنه كثيرًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا محمد بن مُثَنَّى، حدثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل قال: قال عبد الله: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدُهم ذنبًا أصبح قد كُتب كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول شيئًا منه قرضه بالمقراض، فقال رجل: لقد

آتى الله بني إسرائيل خيرًا - فقال عبد الله: ما آتاكم الله خيرًا مما آتاهم، جعل الماء لكم طهورًا، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، وقال أيضًا: حدثني يعقوب، حدثنا هُشَيْم، حدثنا ابن عَوْن، عن حبيب بن أبي ثابت قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن مُغَفَّل فسألته عن امرأة فَجَرت فحبلت، فلما ولدت قتلت ولدها؟ قال عبد الله بن مغفل: ما لها؟ لها النار! فانصرفت وهي تبكي، فدعاها ثم قال: ما أرى أمرك إلا أحد أمرين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ قال: فمسحت عينها، ثم مضت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم. وهذا عام في الشرك والزنا، والقتل، وغير ذلك، كله من تاب توبة صادقة تاب الله عليه؛ قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، يعني ما لم يؤمن، ما لم يتب، أو يقم عليه حد القصاص، فإن تاب تاب الله عليه، وإن أقيم عليه حد القصاص، فالقصاص والحدود كفارة. الله المستعان.

مداخلة: القاتل هل لا بد يا شيخ! من إقامة الحد عليه أو يكفي التوبة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القاتل إذا أمكن إقامة القصاص حق، يقام عليه القصاص إذا طلب أهل الحق، ولم يعف وجب أن يقام عليه القصاص، إذا قتل ظالمًا يقام عليه حد القصاص إذا طلب أهل الحق، وإذا عفوا فلا بأس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا شعبة، عن عثمان بن المغيرة قال: سمعت علي بن ربيعة من بني أسد، يحدث عن أسماء ـ أو ابن أسماء من بني فزارة ـ قال: قال لي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كنت إذا سمعت من رسول الله شيئًا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه. وحدثني أبو بكر ـ وصدق أبو بكر ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له**». وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥].

وقد تكلَّمنا على هذا الحديث، وعزيناه إلى من رواه من أصحاب السنن، وذكرنا ما في سنده من مقال في مسند أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضًا.

وقد رواه ابن مَرْدُويه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا داود بن مِهْران الدباغ، حدثنا عمر بن يزيد، عن أبي إسحاق، عن عبد خير، عن علي قال: سمعت أبا بكر ـ هو الصديق يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد أذنب فقام فتوضأ فأحسن وضوءه، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه، إلا كان حقًّا على الله أن يغفر له؛ لأنه يقول:** ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾».

ثم رواه من طريق أبان بن أبي عياش، عن أبي إسحاق السَّبِيعي، عن الحارث، عن علي، عن الصدِّيق ـ بنحوه. وهذا إسناد لا يصح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الإسناد الأخير، لأن أبان بن أبي عياش ضعيف، وهكذا الحارث الأعور، ولكن الحديث له طرق لا بأس بها جيد، يدل على أن الوضوء أمام التوبة من أسباب التوبة، أو من أسباب قَبولها، والعبد إذا تاب توبة صادقة، سواء كان على وضوء أو على غير وضوء، قبلها الله فيه جَلَّ وَعَلَا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. ومن تاب إليه توبة صادقة، سواء كان على وضوء أو على غير وضوء، قبل منه جَلَّ وَعَلَا، لكن إذا كان عن وضوء وطهارة، وضراعة كثيرة، وبكاء من خشية الله كان أكمل.

مداخلة: لكن هل في بعض الطرق: (هل عبدي خير)؟.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: عبدي خير؟

الشيخ: عبدي خير. نعم.

مداخلة: أقول: هل الحديث بمجموع طرقه يا شيخ! يرتقي إلى الحسن.

الشيخ: لا بأس له طرق جيدة، نعم، في المسند.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن علي بن دُحَيم، حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا موسى بن مروان الرَّقِّي، حدثنا مُبَشِّر بن إسماعيل الحلبي، عن تمام بن نَجِيح، حدثني كعب بن ذُهْل الأزدي قال: سمعت أبا الدرداء يحدث قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلسنا حوله، وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع، ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه، وإنه قام فترك نعليه. قال أبو الدرداء: فأخذ رَكْوَة من ماء فاتبعته، فمضى

ساعة، ثم رجع ولم يقض حاجته، فقال: «**إنه أتاني آت من ربي فقال: إنـــــه**: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ **فأردت أن أبشر أصحابي**». قال أبو الدرداء: وكانت قد شقَّت على الناس الآية التي قبلها: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣] فقلت: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق، ثم استغفر ربه، غفر له؟ قال: «**نعم**»، قلت الثانية، قال: «**نعم**»، ثم قلت الثالثة، قال: «**نعم، وإن زنى وإن سرق، ثم استغفر الله غفر له على رغم أنف عويمر**». قال: فرأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه.

هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه بهذا السياق، وفي إسناده ضعف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو مشهور هذا المعنى من حديث أبي ذر (وإن رغم أنف أبي ذر) في الصحيح، وأن الله ﷻ تفضَّل على عباده أن من تاب إليه.. من أخلص لله.. من دخل في الإسلام غفر الله له، وإن زنى وإن سرق، وإن زنى وإن سرق؛ لأن الأساس التوحيد، فإذا تاب إلى الله وأسلم، فهو على خير، وعلى رجاء، وهو تحت مشيئة الله، إذا مات على الزنا ولم يتب، فإن تاب تاب الله عليه.

مداخلة: أحسن الله إليكم! قول المؤلف: (وفي إسناده ضعف)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحتاج تأمل السند. نعم تعيد السند. لكنه ثابت من حديث أبي ذر في الصحيح. ابن مردويه الغالب على رواياته يكثر فيها الضعيف.

الشيخ: الظاهر هو الشيء هذا، ليس بشيء الظاهر، تمام بن نجيح، والذي قبله، من الذي قبله بعد؟

مداخلة: أحسن الله إليكم!

الشيخ: والذي قبله؟

مداخلة: مبشر بن إسماعيل الحلبي.

الشيخ: نعم، ماذا بعده؟ عن تمام بن نجيح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ الآية [فاطر: ١٨]، يعني أنه لا يجني أحد على أحد، وإنما على كل نفس ما عملت، لا يحمل عنها غيرها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾؛ أي: من علمه وحكمته، وعدله ورحمته كان ذلك.

ثم قال: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾، يعني: كما اتهم بنو أُبَيْرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل الصالح، وهو لَبيد بن سهل، كما تقدم في الحديث، أو زيد بن السمين اليهودي على ما قاله الآخرون، وقد كان بريئًا وهم الظلمة الخونة، كما أطلعَ الله على ذلك رسولَه ﷺ. ثم هذا التقريع وهذا التوبيخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف مثل صفتهم وارتكب مثل خطيئتهم، فعليه مثل عقوبتهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآية.. والآية عامة كل من كسب إثمًا ثم رمى به غيره فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا؛ لأنه ظلم غيره، والظلم عاقبته وخيمة، اتقوا.. يقول رسول ﷺ: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»، ويقول جَلَّ وَعَلَا في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]. فالواجب على المكلف أن يتقي الله، وأن لا يظلم الناس، وإذا ظلم نفسه فليبادر بالتوبة، فليبادر بالتوبة والرجوع

إلى الله والإنابة إليه، فإن مات على الذنوب، وهو موحد ومسلم، سواء كان الذنب زنا، أو سرقة، أو غير ذلك، فهو تحت مشيئة الله، وهو موعود بالجنة، والنجاة من النار، وإن دخل النار، وإن عذب، فمنتهاه الجنة؛ لأنه مات على التوحيد، وإنما تكون النار أبد الآباد لمن أشرك بالله تعالى الشرك، وأما من مات على التوحيد والإيمان، فإنه تحت مشيئة الله إذا كان له ذنوب ولم يتب منها، كما قال ﷻ في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على ذلك، وأن من مات على شيء من المعاصي فهو تحت مشيئة الله، فإن تاب تاب الله عليه، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، هذه الآية في التائبين. وأما آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، هذه في غير التائبين. الله المستعان.

الأسئلة:

مداخلة: إذا كان المظلوم كافر. ، فهل يأخذ من سيئاته؟

○ **الجواب:** ولو، ولو كافر.

مداخلة: يؤخذ من سيئاته وتحط على المؤمن.

الشيخ: ولو كافر، لا بد من رد الحق، لا بد من رفع الظلم، لا مع المسلم ولا مع الكافر، يجب العدل، الحذر من الظلم مطلقًا. إن الله لعدل. . .

مداخلة: هل يؤخذ من سيئات الكافر وتحط على المؤمن؟

الشيخ: ظاهر النصوص يقتضي ذلك.

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

● **س:** **يقول ربُّ العالمين:** ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

○ **الجواب:** يعني: لا تميلوا إليهم وتكونوا أصحابًا لهم وشركاء لهم، ومعاونين لهم، احذروهم. الله المستعان.

● **س:** **أحسن الله إليك! الذهبي وثق مبشر الحلبي.**

○ **الجواب:** يمكن، لكن المقصود: سند ضعيف، لو ما فيه إلا تمَّام يكفي.

مداخلة: كعب بن ذهل الذي يروي عن أبي الدرداء يقول: فيه لين.

الشيخ: سهل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾. قال الإمام ابن أبي حاتم: أنبأنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إليَّ، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان ـ وذكر قصة بني أبيرق، فأنزل الله: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾، يعني: أُسَيْر بن عروة وأصحابه.

يعني بذلك لما أثنوا على بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم، وهم صلحاء برآء، ولم يكن الأمر كما أنهوه إلى رسول الله ﷺ؛ ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسوله ﷺ ثم امتنَّ عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له، وما أنزل عليه من الكتاب، وهو القرآن، والحكمة، وهي السُّنَّة: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ﴾؛ أي: من قبل نزول ذلك عليك، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا

مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا شك أن الله ﷻ تفضل على أنبيائه بفضل عظيم، وهم خيرة الناس وأفضلهم، وهم الدعاة إلى الله، وهم الواسطة في إبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، والتوجيه إلى الخير، وأفضلهم خاتمهم وإمامهم محمد عليه الصلاة والسلام جعله الله إمامًا، وهاديًا ومبشرًا ومنذرًا، رحم الله به الأمة، وجلا به الغمة، وأرشد به إلى طريق الصواب، ومن فضل الله ورحمته أن حفظه وصانه، وكفاه شر الأعداء.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ **[النساء: ١١٤، ١١٥]**(١).

يقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ يعني: كلام الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ أي:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر يوم ١٢ ـ ٦ ـ ١٤١٦.

إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مَرْدُويه:

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس قال: دخلنا على سفيان الثوري نعوده ـ وأومأ إلى دار العطارين ـ فدخل عليه سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفيان الثوري: الحديث الذي كنت حدثتني به عن أم صالح اردُدْه علي. فقال: حدثتني أم صالح، عن صَفية بنت شَيْبة، عن أم حَبيبَة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**كلام ابن آدم كله عليه لا له ما خلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله** ﷻ»، قال سفيان: فناشدته فقال محمد بن يزيد: ما أشد هذا الحديث؟ فقال سفيان: وما شدة هذا الحديث؟ إنما جاءت به امرأة عن امرأة، هذا في كتاب الله الذي أرسل به نبيكم ﷺ أو ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [سورة العصر]، فهو هذا بعينه.

وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خُنَيس عن سعيد بن حسان، به. ولم يذكرا أقوال الثوري إلى آخرها، ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن خُنَيس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

حسن من جهة المعنى، وأدلة القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. والحديث كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذكر الله أو أمرًا بمعروف، أو نهي منكر. فالإنسان كلامه عليه خطر، كلامه عليه لا له،

إلا إذا كان في هذه الأمور، كذكر الله، وكل شيء معروف، أو في إصلاح بين الناس. فالمؤمن ينبغي له أن يتحفظ ويحذر، ويصون هذا اللسان، إلا في ما ذكر الله ﷻ، في صدقة يأمر بها.. في معروف يرسل إليه، من ذكر الله وتحميده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، وفي إصلاح بين الناس، حتى لا يقع في خطر هذا اللسان: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]. وفي حديث معاذ قلت: (يا رسول الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، قال ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم** أو قال: **على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[1]. فالواجب على المؤمن أن يتحفظ وأن يحذر شرَّ لسانه وجوارحه، وأن يعوِّد نفسه الخير، إذا تكلم تكلم في خير، في ذكر الله في دعوى إلى الله، في أمر بالمعروف في نهي عن المنكر، في صدقة. ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

المعروف يشمل كل ما فيه خير، من ذكر الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوجيه إلى الخير، كلَّ ما ينفع الناس فهو من معنى معروف، والصدقة معروف، والإصلاح بين الناس معروف، كل هذا خير، كل هذا خير، لكن المصيبة إذا كانت الكلمات تضره، في غيبة أو نميمة، أو كذب، أو تشجيع على باطل، هذا هو الخطر، فالمؤمن يسكت ويحفظ لسانه، وإذا أراد أن يتكلم ينظر ماذا يقول، فإن كان كلامه ينفع الناس، في أمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نصيحة، توجيه إلى خير، إرشاد الآخرين، إصلاح بين الناس، شيء ينفع فليتكلم،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٢٩٧٣)، والإمام أحمد (٥/ ٢٣١ و٢٣٦ و٢٣٧).

وإلا فليمسك. ومن المعروف تعليم الناس الخير، وإرشادهم إلى الخير، وتعليمهم ما أوجب الله عليهم، وما حرم الله عليهم، تشجيعهم على خير المندوبات والمستحبات، كل هذا داخل في المعروف، ومن الإصلاح بين الناس حل مشاكلهم، والنصح لهم، حتى يعود المحبة، وتعود الوئام، حتى يحذروا التقاطع والشحناء.

الأسئلة:

الحكم على حديث: (كلنا على ثغر..)

• س: أحسن الله إليك! الحديث كلنا على ثغر من ثغور الإسلام، الله الله أن يؤتى الإسلام من ثغرته.

○ **الجواب:** هذا خبر مرسل، مرسل عن النبي ﷺ، خبر مرسل معناه صحيح، كل والواحد ما يسوي على قدر علمه، على قدر علمه وقدر قدرته، مع أهله ومع جيرانه ومع جلسائه ومع غيرهم، أن يتقي الله، أن يكون شرًّا على المسلمين، أو يدعو إلى شر، فيحذر.

الحكم على حديث: «كلكم راع».

• س: والحديث الثاني: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

○ **الجواب:** هذا الحديث صحيح، كل إنسان عليه مسئولية، الرجل في أهل بيته، والرجل والأمين على الناس، والمرأة في بيت زوجها والخادم، كل مسئول على قدر علمه وقدر قدرته، فليس له يتكلم إلا بعلم، ولا يلزمه إلا ما يطيق: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

المدح بالحق من غير إسراف.

• س: أحسن الله إليك: الذي يمزح بكلام فاحش هل يكون في خطر.؟

○ **الجواب:** نعم، يُنصح لا يتكلم بالباطل، لا يمزح بالباطل،

يمزح بالحق، بالاقتصاد من غير إسراف من غير تكلف؛ لأن المدح قد يضر أيضًا، لكن إذا كان قليل في محله لا بأس.

الحكم على الأثر (الساكت عن الحق)

● **س: الحديث الذي يقول: الساكت من الحق شيطان ناطق والساكت عن الحق شيطان أخرس.**

○ **الجواب:** هذا ليس بحديث هذا من كلام بعض السلف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، حدثنا صالح بن كَيْسان، حدثنا محمد بن مسلم بن عُبَيد الله بن شهاب: أن حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف أخبره، أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فَيَنْمِي خيرًا ـ أو يقول خيرًا ـ**» وقالت: لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها. قال: وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا حديث عظيم: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**» فيقول خيرًا، أو ينوي خيرًا، إنما الكذاب الذي يفسد بين الناس ما يضرهم، ويفتري عليهم الكذب، هذا هو الكذاب. أما من يصلح بين الناس، فيقول خيرًا، وينوي خيرًا، لإزالة الشحناء، فهذا مثلما قال الله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

كان يمشي إذا أراد غزوة مرَّ بغيرها، إذا أراد الشمال مرَّ بالجنوب، أراد الشرق مرَّ بالغرب، حتى يهجم على العدو على غرَّة إذا كان العدو

قد بلغته الدعوة وأصر، مثلما فعل النبي ﷺ في يوم الفتح، فإنه هجم على المشركين على غرة، لأنهم قد دُعوا، وأنذروا، وأبوا، ونقضوا العهد. فلا بأس أن يغار عليهم، في حديث صعب بن جثامة الذي في الصحيحين أن النبي ﷺ: أغار على قومه وهم غافلون، فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم؛ لأنهم قد أنذروا فأبوا، فلهذا أغار عليهم النبي عليه الصلاة والسلام، هذا من الخدعة، الحرب قال: خدعة وخدعة، من ذلك لو كان العدو متحصنًا بحصون يصعب على المسلمين الهجوم عليها، فأظهروا القفول والهزيمة والرجوع عنهم، حتى يخرجوا من هذه الحصون، فقال الولي يعني لهم: إنا قافلون لعلهم يخرجون إذا رآوهم قافلين، فهذا من باب الحرب خدعة. فإذا تعدوا المحل ثم رآهم خرجوا كروا عليهم.

والإصلاح بين الناس مثل قبيلتين أو أهل قريتين، أو جماعتين يصلح بينهم يأتي هؤلاء ويقول: إن الجماعة يدعون لكم ويحبون الصلح معكم، ويثنون عليكم، وهكذا، يأتي بكلمات طيبة، ثم يأتي الآخرين كذلك، إن إخوانكم يحبون الصلح معكم ويثنون عليكم ويدعون لكم ويرغبون وهم ما أوصوه بهذا، لكن يريد إصلاح بينهم، فيصلح بينهم بهذا الطريق فلا بأس مأجور. أما حديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، فهذا كل يحتاجه، كل رجل يحتاجه مع زوجته، قد تشتد عليه فيقول: نعم أنا سوف أشتري لك كذا، وسوف أفعل لك كذا، سوف أفعل كذا، واشتري لش، واصبري بس، ولو قصده كاذب ولو ما نوى به وهي كذلك تبشر بالخير أنا إن شاء الله سوف أفعل وسوف أفعل مما يُسرُّه ويرضيه، ولا يتعلق بأحد، لا يؤذي أحدًا، فيما بينهما فقط، لا يضروا أحدًا من الناس، فما بينهما لا حرج فيه، لإصلاح الشأن ولمِّ الصدع بين الزوجين، وهذه أم كلثوم أبوها قتل يوم بدر، صبرًا، عُقبة بن أبي معيط قُتل صبرًا يوم بدر كان من المؤذين للنبي ﷺ، وكانت امرأة صالحة مهاجرة.

الأسئلة:

• **س: إذا طلب عفا الله عنك! من المصلح بين الناس أن يحلف على أن؟**

○ **الجواب**: ولو حلف ما يكذب، يجوز له الحلف.

• **س: هل من الإصلاح أن الإنسان يغتاب إنسان، ثم قيل له: إن هذا الشخص يمدحك ويذكرك بخير هل هذا هو الإصلاح؟ يعني: يثني عليك، هذا من الإصلاح؟**

○ **الجواب**: ما هو ببعيد فقط يُحذره من الغيبة أول، يُنكر عليه الغيبة، يُعلِّمه أنها منكر.

• **س: إذا حلف للإصلاح عليه كفارة؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: عليه كفارة.

الشيخ: نعم.

مداخلة: إذا حلف في الإصلاح بين الناس عليه كفارة؟

○ **الجواب**: لا بأس إذا حلف لا بأس، إذا حلف في الإصلاح بين الناس، ما عليه شيء.

• **س: والحديث: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ».**

○ **الجواب**: هذا حق حديث صحيح، لا تطيع أبوك ولا أمك ولا أميرك في الزنا أو الخمر، لا تطيعهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد رواه الجماعة، سوى ابن ماجه، من طرق، عن الزهري، به نحوه.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرة عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال

رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام والصدقة؟»** قالوا: بلى. قال: **«إصلاح ذات البين»** قال: **«وفساد ذات البين هي الحالقة»**.

ورواه أبو داود والترمذي، من حديث أبي معاوية، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سُرَيج بن يونس، حدثنا عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عمر، حدثنا أبي، عن حميد، عن أنس؛ أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: **«ألا أدلك على تجارة؟»** قال: بلى: قال: **«تسعى في صلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتُقَارب بينهم إذا تباعدوا»**، ثم قال البزار: وعبد الرحمٰن بن عبد الله العُمَري لَيِّن، وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها.

ولهذا قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مخلصًا في ذلك محتسبًا ثواب ذلك عند الله ﷻ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾؛ أي: ثوابًا كثيرًا واسعًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا يغني عن الحديث الضعيف، الحديث الصحيح مع الآية الكريمة كافية: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. فالإصلاح بين الناس مما يرغب فيه المصلحون والأخيار، ومما تحل به المشاكل، وتجتمع به القلوب وتزول به الشحناء والعداوة، فالإصلاح بين الناس مطلوب كما في هذه الآية الكريمة، وكما في قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، أمر: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١]، والإصلاح مطلوب قال ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. فالمسلمون مطلوب بينهم الصلح بين العامة والخاصة، وبين الجيران إذا حصل بينهم اختلاف، وبين الأقارب، وبين الأصحاب والزملاء، وبين المدِّرسين، وبين المدِّرسين ومرجعهم، وبين الرعية والراعي، وبين الطائفتين إن بغت إحداهما على الأخرى فالأصلاح مطلوب، وفي الحديث: «**الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرَّم حلالًا أو أحل حرامًا**». فلا ينبغي للمؤمن أن يحتقر نفسه؛ بل إذا تيسر له الصلح فليفعل ولو بالاستعانة بآخر وثالث يجتمعون؛ حتى يقوموا بالإصلاح؛ لأن الواحد قد لا يقبل منه لكن إذا كانوا اثنين أو كانوا ثلاثة أو أكثر، وزاروا المتنازعين، وتحدثوا معهم بالحديث الطيب قد يجعل الله في ذلك الخير والبركة.

مداخلة: أحسن الله إليكم! من هجر شخصًا لمعصية هل يشرع أن يصلح بينهما؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: شخص هجر شخصًا لأجل معصية هل يشرع أن يصلح بينهما؟

الشيخ: يصلح بينهما بالمشورة على صاحب المعصية أن يتوب، فإذا تاب زال الإشكال، ما لها صلح إلا بهذا بالتوبة.

الملقي: أحسن الله إليك! ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مخلصًا في ذلك محتسبًا ثواب ذلك عند الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾؛ أي: ثوابًا جزيلًا كثيرًا واسعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾؛ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عَمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم ﷺ. وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا في كتاب «أحاديث الأصول»، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها، والذي عوَّل عليه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تَحْرُم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل. وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآية واضحة في أن سبيل المؤمنين حجة، إذا ثبت أنه سبيل المؤمنين فهو حجة من اتبع غير سبيلهم هلك، وأساس المؤمنين أصحاب النبي ﷺ هم الأساس، فإذا اتفق أصحاب النبي ﷺ على شيء وجب اتباعهم فيه، ومن أدلة ذلك هذه الآية الكريمة، وقوله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ومن الأدلة في وجوب اتباع الجماعة بالإجماع قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**» لا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله.

فالحاصل: أن الطائفة المنصورة والقائمة بأمر الله إذا اجتمع المسلمون فهي فيهم، والله ﷻ قد ضمن الحق لهذه الأمة وأنه لا تزال

فيها طائفة فإذا اجتمعت فالطائفة فيها التي هي موافقة للحق والتي أخبر النبي عنها ﷺ، فهذه الأمة لا تجتمع على ضلالة فإذا علم اجتماع السلف الصالح من الصحابة على شيء فهو الحق لا يجوز خلافه، وإن جاءت النصوص صارت مؤيدة لذلك وموضحة لمعناه.

فالأصل في هذا كله النصوص؛ لأنها دالة على أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فالأخذ بالاجتماع والسير عليه أخذًا بالأدلة الشرعية، بالكتاب والسُّنَّة، لكن بعد العناية والتأكد من الإجماع عند خفاء الدليل، أما إذا ظهر الدليل فالحمد لله أجمعوا أو لم يجمعوا، الواجب الأخذ بالدليل كما قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]، فإذا وجد النزاع والاختلاف وجب الرد إلى الكتاب العظيم والسُّنَّة المطهرة؛ لأنهما معصومان فالحق فيهما بلا شك، فتعرض أقوال الناس، وتعرض أفعالهم وآراءهم على الكتاب والسُّنَّة فما وافقهما قُبِل وما خالفهما رُدّ على قائله، وقائله إذا كان مجتهدًا ومن أهل الاجتهاد له أجر الاجتهاد، وإن كان ليس من أهل الاجتهاد ليس له شيء إلا الإثم، لكن إذا كان من أهل الاجتهاد له أجر وإن أصاب فله أجران.

● **س: قول الجمهور هل هو حجة على الإطلاق؟**

○ **الجواب**: ما هو بحجة لا؛ الحجة بالدليل إنما الحجة في الإجماع.

● **س: أحسن الله إليك! قول شيخ الإسلام: إنه ليس هناك إجماع قطعي إلا وله دليل من الكتاب والسُّنَّة، إلا أنه قد يخفى على بعض الناس؟**

○ **الجواب**: صدق، لا شك.

مداخلة: تعويل الشافعي .. قوله على هذه الآية وبعض الناس استشكلها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلام، كلام طيب لكن الأحاديث صريحة في هذا، أقول: الأحاديث صريحة والآية توافق الأحاديث.

مداخلة: الإجماعات الظنية هل هي حجة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

لا، الحجة في الإجماع القطعي، فإذا ما وجد الإجماع لا بد يلتبس بالدليل، الدليل هو المعول عليه.

مداخلة: أحسن الله إليك! عمر بن عبد العزيز ما سبق الشافعي في استدلاله الآية؟

الشيخ: ما أتذكر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا توعَّد تعالى على ذلك بقوله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾؛ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له ـ استدراجًا له ـ كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وجعل النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]. وقال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١١٦ ـ ١٢٢][(١)].

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ الآية [النساء: ٤٨]، وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة.

وقد روى الترمذي حديث ثُوَيْر بن أبي فَاخِتَة سعيد بن عَلاقَةَ، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن آية أحب إليَّ من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ الآية، ثم قال: حسن غريب[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

حديث ثوير هذا، لا يحتج به، ليس بشيء، ثوير بن أبي فاختة ضعيف عندهم، والآية الكريمة فيها الرجاء فيها الخير العظيم؛ لأن الله جل وعلا علق ما دون الشرك تحت مشيئته فدل على الفضل العظيم وأن

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر يوم الأربعاء ١٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء برقم (٣٠٣٧).

أصحاب الذنوب على رجاء؛ ولكنها حاسمة لأهل الشرك لا رجاء لهم فمن مات على الشرك فهو مأيوس من المغفرة له، وهي محكمة ومن مات على ما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، وهي في من لم يتب، فمن مات على الشرك والمعاصي ولم يتب فإنه مأيوس من هذا المشرك، وصاحب المعصية تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه على قدر المعاصي التي مات عليها ثم يخرج من النار. بخلاف آية الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، هذه في التائبين، نزلت في التائبين من تاب تاب الله عليه من جميع الذنوب الشرك وما دونه، فآية الزمر ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ...﴾ هذه في التائبين، وآيتا النساء هذه الآية والتي قبلها في أول السورة هاتان الآيتان في غير التائبين، فيمن مات على الشرك أو على ما دونه من المعاصي.

مداخلة: فيه تعليق يا شيخ على ثوير.

مداخلة: الحديث ضعيف جدًّا، فيه ثوير بن أبي فاختة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾؛ أي: فقد سلك غير الطريق الحق، وضل عن الهدى وبعُد عن الصواب، وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة، وفاتته سعادة الدنيا والآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذه الآية أيضًا يجب التنبه لها فيها الرد على الخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج قالوا: من مات على المعاصي مخلد في النار وكافر، والمعتزلة قالوا: في المنزلة بين منزلتين ولكنه مخلد في النار. فالآيتان نصٌّ في الرد على الطائفتين، هذه الآية والتي قبلها في أول السورة رد على الطائفتين، وأن ما دون الشرك تحت المشيئة ليس صاحبه مخلد في

النار وليس كافرًا، لا كافرًا ولا مخلدًا في النار بل تحت مشيئة الله. والطائفتان الخوارج والمعتزلة من أضل الطوائف وأخبث الطوائف. نسأل الله العافية.

الشيخ: وعلى رأي الطائفتين الإباضية موجودين في عُمَان وفي ليبيا وبعضهم في الجزائر، هم من بعضهم على طريقة الخوارج وبعضهم على طريقة المعتزلة كلهم على تخليد العصاة في النار، فهم من بقايا المعتزلة والخوارج نسأل الله العافية.

مداخلة: حكم تكفير الإباضية.

● **س: والصواب تكفيرهم يا شيخ؟**

الشيخ: من هم؟

مداخلة: الإباضية؟

○ **الجواب**: الخوارج الصواب فيهم التكفير؛ لأن الخوارج يكفروا المسلمين ويكفروا العصاة، قال فيهم النبي ﷺ: «**يمرقون من الإسلام**».

ذكر شيخ الإسلام اتفاق الصحابة على عدم كفر الخوارج.

● **س: أحسن الله إليكم! شيخ الإسلام ذكر في بعض كتبه قال: اتفق الصحابة على عدم كفر الخوارج؟**

○ **الجواب**: ما هو بظاهر، أقول ما هو بظاهر، إنما قال علي: (من الكفر فروا) كلام علي رضي الله عنه، توقَّ في كفرهم قال: (من الكفر فروا).

حكم إنكار رؤية الله:

● **س: أحسن الله إليك! إنكارهم رؤية الله؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: إنكارهم رؤية الله ألا يجب تكفيرهم؟

○ **الجواب**: نعم. من أنكرها كفر، نسأل الله العافية، إنكار الرؤية، تكفير العصاة، كلها ردة، وتخليدهم في النار كلها ردة كلها كفر، نعم. لكن بعض العامة ما يفهم لا بد من إقامة الحجة؛ لأن عامتهم ما يفهمون، لكن مجتهدوهم وقادتهم لا شك، نعم. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمود بن غَيْلان، أنبأنا الفضل بن موسى، أخبرنا الحسن بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ قال: مع كل صنم جنيَّة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأنها تلبس عليه وتكلمه فيظن أن الصنم كلمه، أن الصنم الجماد كلَّمه، العُزَّى ومناة واللات وغيرهم من الأصنام تظلهم الشياطين وتلبس عليهم فيظنون لجهلهم أن هذه الأصنام الجامدة كلمتهم، وإنما هي الشياطين المظلة لهم المغرية لهم، نسأل الله العافية. ولهذا لما قطع خالد العزى رأى امرأة تحثو التراب على وجهها كما ذكروا في السير فعمَّها بالسيف فقتلها، يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**تِلْكَ الْعُزَّى**»[(١)].

مداخلة: الربيع يا شيخ.

الشيخ: نعم

مداخلة: ما هو الصواب في الآية؟

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأقرب والله أعلم: على ظاهرها أنه شبه لهم.. لهؤلاء يمثلون الملائكة بأنهم بنات الله على زعمهم، أو أنهم تلبس عليهم الجن وتكلمهم إناث الجن والشياطين، وهم في الحقيقة مرجعهم إلى الإناث إما إناث الجن والشياطين وإما ما يعتقدون أنهم الملائكة وأنهم بنات الله وأنهم عبدوهم وهؤلاء تماثيل وصور لهم تمثيلًا لهم. والحقيقة: إنما عبدوا الشيطان؛ لأن الشيطان هو الذي زين لهم هذه الأشياء ولبَّس عليهم. نسأل الله العافية.

مداخلة: شيخ! ماذا يعني بقوله: فحكموا وقلدوا؟

الشيخ: حكموا على أنهم أناث، وقلدوا هؤلاء من تابعهم على الباطل، وقلدوا من قال ذلك.

مداخلة: الله يبارك فيك.

الشيخ: نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن سلمة الباهلي، عن عبد العزيز بن محمد، عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قالت: أوثانًا.

وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، وعروة بن الزبير، ومجاهد، وأبي مالك، والسدي، ومقاتل بن حيان نحو ذلك.

وقال جُوَيْبر عن الضحاك في قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قال المشركون: إن الملائكة بنات الله، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، قال: اتخذوها أربابًا وصوروهن صور الجواري، فحكموا وقلدوا، وقالوا: هؤلاء يُشْبهن بنات الله الذي نعبده، يعنون الملائكة.

وهذا التفسير شبيه بقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣]، ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩].

وقال علي بن أبي طلحة والضحاك، عن ابن عباس: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قال: يعني موتى.

وقال مبارك - يعني ابن فَضَالة - عن الحسن: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قال الحسن: الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح، إما خشبة يابسة وإما حجر يابس. ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وهو غريب.

وقوله: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾؛ أي: هو الذي أمرهم بذلك وحسنه لهم وزيَّنه، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، وقال تعالى إخبارًا عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والملائكة تقول: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: طرده وأبعده من رحمته، وأخرجه من جواره.

وقال: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾؛ أي: مُعَيَّنًا مقدَّرًا معلومًا. قال مقاتل بن حيان: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾؛ أي: عن الحق ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾؛ أي: أزين لهم ترك التوبة، وأعدهم الأماني، وآمرهم بالتسويف والتأخير، وأغرهم من أنفسهم.

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ قال قتادة والسدي وغيرهما: يعني تشقيقها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك خصاء الدواب. وكذا روي عن ابن عمر، وأنس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وأبي عياض، وأبي صالح، وقتادة، والثوري. وقد وَرَدَ في حديث النهي عن ذلك.

وقال الحسن ابن أبي الحسن البصري: يعني بذلك الوَشْم. وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه وفي لفظٍ: «**لعن الله من فعل ذلك**»[(١)].

وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشِمات، والنامصات والمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجات للحُسْن المغيِّرات خَلْقَ الله ﷻ**»، ثم قال: ألا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ﷻ[(٢)]، يعني قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة برقم (٥٥١٥)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة برقم (١٩٥٨).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] برقم (٤٨٨٦)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة... برقم (٢١٢٥).

وقال ابن عباس في رواية عنه، ومجاهد، وعكرمة أيضًا وإبراهيم النخعي، والحسن، وقتادة، والحكم، والسدّي، والضحاك، وعطاء الخُراساني في قوله: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، يعني: دين الله ﷻ. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] على قول من جعل ذلك أمرًا؛ أي: لا تبدلوا فطرة الله، ودعوا الناس على فطرتهم، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»**(١).

وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حِمَار قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله ﷻ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ»**(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾؛ أي: فقد خسر الدنيا والآخرة، وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآية عامة، تعم خلق الله من جهة الخلقة، وخلق الله من جهة الدين ولا يجوز لأحد أن يغير خلق الله، بالدعوة إلى الشرك والمعاصي، ولا يجوز أيضًا تغيير خلق الله بالتجديع، تجديع الأذان، أو النمص، أو

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز. باب ما قيل في أولاد المشركين برقم (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة برقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٨٦٥).

التغيير للحسن، أو الوشم؛ لأن هذا من تغيير خلق الله، والعبث بالبهائم وظلمها، وقد نصَّ النبي ﷺ على هذا لعن الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والنمص أخذ الحواجب، حواجب العيون. والوشم غرز الجسد بالإبر ونحوها، حتى يخرج الدم، ثم يمضى عليه شيء من الأصباغ. . . وغيره، هذا يسمونه الوشم، والمتفلجات في الحسن التي تحكك الأسنان بالتفليج، للحسن لا للمرض، أما إذا كان لمرض في الأسنان وعلة في الأسنان أو غير الحسن فلا بأس، كطولها أو غير ذلك مما يضر المرأة أو يضر الرجل والتجفيف التقطيع، فالحاصل أن الآية عامة سواءً هذا وهذا، تعم هذا وهذا، تعم تغيير الدين، فلا يجوز تغيير الدين بالدعوة إلى المعاصي والبدع والشرك، ولا تغيير خلق الله، بتقطيع الأذان ولا الوشم، أو التفليج للحسن، أما الخصاء هي لمصلحة محل نظر، لم يزل العرب يخصون البهائم لمصلحة؛ لأن خصيها، يكون أجمل لها، وأنفع لها وأوفر للحمها، وتكون للضراب شيئًا ويحصل شيئًا، وقد ضحى النبي ﷺ بالغنم المخصية الموجوءة لأنها محل نظر؛ لأنه لمصلحة شيء يعود على المال بالكثرة.

الأسئلة

خصي البهائم:

• **س: يعني ما تخصى إلا لحاجة يا شيخ؟!**

○ **الجواب:** إذا رأوا المصلحة شيء لينموا ويسمن، يحصل لحمه.

مداخلة: أما لغيره هذا فلا يجوز يا شيخ!

الشيخ: نعم؛ لأنه عبث.

حكم الوسم:

• **س: والوسم؟**

○ **الجواب:** الوسم لا بأس، لكن ليس في الوجه الوسم في الأذن أو في الفخذ أو في العضد، الرسول نهى الوسم في الوجه، الوسم في الوجه، أو الضرب في الوجه، لا تضرب البهيمة في وجهها، ولا المرأة في وجهها، ولا في الخدود في الوجه، ضرب الوجه لا يجوز لا في الخدود ولا في غيره، وهكذا الوسم في الوجه لا يجوز، والأذن من الرأس ما هي من الوجه، الوسم فيها من الوسم في الرأس، وهكذا العضد، وهكذا الفخذ، لا بأس.

حكم عمليات التجميل

● **س: عملية التجميل من تغيير خلق الله؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: عملية التجميل من تغيير خلق الله؟

○ **الجواب:** يختلف التجميل، لكن الوسم مثال إذا كان بقعة سوداء زادت، إن أصابت... أما فعل غير ذلك، أو أصبع زائدة لا بأس.

أخذ المرأة من حواجبها إذا كانت عريضة

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.

● **س: إذا كانت الحواجب حواجب المرأة مقبولة وهي عريضة جدًّا.**

○ **الجواب:** ظاهر النص لا يتعرض لها، النمص هو تحسين الحواجب نتف شيئًا منها بمنقاش أو غيره.

مداخلة: قصه يا شيخ!

الشيخ: نعم.

قص المرأة لحواجبها:

● **س: قص الحواجب؟**

○ **الجواب**: أقبح إذا حرم النتف اليسير فالقص أقبح.

ما صح في الوصل

● **س: هل صح حديث النهي عن الوصل؟**

○ **الجواب**: إذا ثبت وجب الأخذ به، الشك في ثبوته نعم.

الملقي: ثم [قال تعالى].

الشيخ: أحدكم يجمع طرقه يعرفه إن شاء الله الاثنين الآتي أو الأحد هذه هي الخصال الثلاثة كلام أهل العلم فيها.

مداخلة: طال الله عمرك يا شيخ!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الخصي في الغالب يصير أكثر شحمًا ولحمًا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: نقول الخصي في الغالب يصير أكثر شحمًا ولحمًا ...؟

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ وهذا إخبار عن الواقع؛ لأن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى في ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثلما فعل مع قريش، ومع غيرهم، ومع الشيوعيين، ومع غيرهم يعدهم ويمنيهم، يعدهم الباطل ويمنيهم الباطل والمحال، والعقول الفاسدة، الخالية من العلم يصدقه بالأماني والأوعاد الكاذبة، ويسرها الوعد الكاذب، الذي يغريها بالباطل، وأكثر الخلق هكذا، أكثر الخلق ليس عندهم حصانة من العلم، ليس عندهم بصيرة، فلهذا يتقبلون من

الشياطين الوعد والأماني، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]. وقال تعالى عن إبليس: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. قالها عن ظن، صدق عليهم ظنه، فاتبعوه بجهلهم وضلالهم، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]. كما جرى لهم يوم بدر، وكما جرى لهم يوم الأحزاب، ولكن الله خيب ظنهم، وخيب أعمالهم، وأبطل كيده ﷻ ونصر المؤمنين وابتلاهم يوم أحد؛ ليعلموا أن النصر بيد الله، وليخضعوا لله، وليعظموه، ولينيبوا إليه، وليقفوا عند حدوده، يعلمون أنه الناصر بيده النصر، بيده الضر والنفع، بيده العطاء والمنع، فالمؤمن يتقيه ويخافه، ويقف عند حدوده، والكافر يعبد الله بلا هداية انتبه، ورجع إلى الصواب وتاب مما هو فيه الباطل؛ لكن أكثر الخلق يتابعوا ظنه الفاسد وهواه، وما يزينه دعاة الباطل، ويضيعوا عقله، ولا يلتفتوا إليه، هكذا، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. هكذا مشى معهم يوم بدر قال: ﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]. نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك!

الشيخ: يعدهم ويمنيهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ كما قال تعالى

مخبرًا عن إبليس يوم المعاد: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله: أي: المستحسنون له فيما وعدهم ومناهم ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: مصيرهم ومآلهم يوم حسابهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾؛ أي: ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف، ولا خلاص ولا مناص.

ثم ذكر حال السعداء الأتقياء وما لهم في مآلهم من الكرامة التامة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: صَدّقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾؛ أي: بلا زوال ولا انتقال ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾؛ أي: هذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقة أنه واقع لا محالة، ولهذا أكده بالمصدر الدال على تحقيق الخبر، وهو قوله: ﴿حَقًّا ۚ﴾ ثُمَّ قَال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾؛ أي: لا أحد أصدق منه قولًا وخبرًا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه التحريض على المؤمنين على الاستقامة والعمل الصالح، وأن مأواهم الجنة والكرامة والسعادة وعد من الله وهو سبحانه وتعالى ما أصدق منه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ فهذا واجب على أهل الإيمان أن يتحققوا ذلك، وأن يحققوه بالقول والعمل، وعد صادق من ملك عظيم قادر، لا أحد أصدق منه،

فمتى حققوا ما طلب منهم حقق لهم ما يريدوه الجزاء من جنس العمل: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ [الإسراء: ٧]. فالواجب على المكلف أن يصدق الله في عمله وأن يتقي الله في عمله، إيمانًا وعملًا، إيمانًا بقلوب، وإيمانًا بألسن وإيمانًا بالعمل، ويؤدي حق الله، ويبتعد عن محارم الله، ويقف عند حدود الله، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله، سواء في إخلاصه، قد جاهد نفسه في إخلاص العمل لله، وحارب الوساوس، ومخططات الشيطان، في جميع أعماله، من صلاة وصوم وزكاة وصدقات، وجهاد، ودعوة إلى الله وأمر بمعروف ونهي عن المنكر مجاهد. حتى تكون أعمالهم لله خالصة صادقة في ذلك. ثم عمل كذلك، يجاهد نفسه في أداء العمل الواجب، ولا يتساهل، تجده مع المسابقين إلى الصلاة، يحافظ عليها في أوقاتها، في الجماعة، في جميع الأوقات، يسابق إليها، لأن هذه علامة صدق الإيمان، فالعمل يصدق ما في القلوب، فهو مع المسارعين ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١]. ويقول سبحانه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]. ويقول: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]. ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

هكذا المؤمن يحقق ما في قلبه بالعمل الظاهر، يعني: يسبق الناس، ويراه الناس، ويقتدى به فيه، هو مع المسارعين إلى فعل الخيرات، ومع الحذرين من السيئات، فتجده مسارعًا للصلاة، محافظ عليها، خاشعًا فيها، يؤديها كما أمر الله، ويصلي كما صلى رسول الله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**». يُتفقه في ذلك، كما قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**». فيصليها كما أمر الله، خشوع في الإقبال عليها، والطمأنينة فيها، وأدائها كما شرعها الله في

قراءته، في ركوعه، في سجوده، واعتداله بعد الركوع، وجلوسه بين السجدتين، والطمأنينة والإخلاص، وهكذا في تحري الأعمال، رفع يديه، عند الإحرام عند الركوع، عند الرفع منه، عند القيام من التشهد الأول، وضع اليدين على صدره، خاشعًا لله، وضع اليدين في الأرض عند سجوده، حذاء منكبيه أو حيال أذنيه ووضعهما على فخذيه إذا جلس، وهكذا الإشارة إلى السبابة، وعقد الأصابع إذا جلس للتشهد الأول والأخير، فهو يلاحظ جميع هيئات الصلاة. وهكذا في زكاته إذا أخرجها بدقة ويعتني؛ حتى يبرأ ذمته، وهكذا في صومه يصونه عن محارم الله، إذا صام صامت جوارحه عن محارم الله. هكذا في حجه يصوم عن الرفث والفسوق، وهكذا في جهاده، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، والدعوة إلى الله، يصونها عن الرياء والسمعة، يكون بالإخلاص، يرجو وجه الله والدار الآخرة، وهكذا في بره بوالديه، والعناية بوالديه، وصلة رحمه، وإكرام جاره، وإكرام جليسه، والعناية بالدعوة والتعليم أينما كان، عن إخلاص وصدق، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، الصالحات تشمل جميع الأعمال الأقوال، ولهذا في سورة العصر قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] نبه على التواصي؛ لأنه داخل في الإيمان داخلٌ في العمل لكن نبه عليه لعظم شأنه، وهكذا الصبر؛ لأن الصبر لا بد منه، كيف تؤدى الأمانة؟ إلا بالله ثم بالصبر، والتواصي وسيلة لذلك، التواصي بين الإخوان، بين الجيران، بين الأقارب، تواصيهم بالصلاة، بالزكاة، بإكرام الجار، ببر الوالدين، بصلة الرحم، بالدعوة إلى الله، بالمسابقة إلى الصلاة، بالمسارعة إلى الخيرات، تواصي وتناصح، ويقول ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. هذا

شأن المؤمنين أينما كانوا، في مجالسهم، وفي أسفارهم، وفي مراكبهم، من طائرة أو سيارة أو باخرة أو غير ذلك في أسفارهم، وفي إقامتهم، وفي اجتماعهم لأي مناسبة، كلهم يتفقدوا أحوال إخوانه فيحرص أن يبني المعروف، وينهى عن كلما يخالف أمر الله، يريد وجه الله لا رياءً ولا سمعة، يريد وجه الله والدار الآخرة، يعلم الله من قلبه إنه مخلص لله، ليس قصده مدح الناس، ولا رياء الناس، ولا طمعًا فيما عند الناس، وإنما يعمل ليريد وجه الله والدار الآخرة، يريد أن ينفع إخوانه ويبرء ذمته أينما كانوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «**إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهَدْي هَدْي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحْدَثاتها، وكل مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا رواه مسلم في الصحيح عن جابر قال: كان يقول في خطبته «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ**» وفي رواية: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» أخرجه مسلم في الصحيح في خطبه عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذا يثبت ذلك في القلوب، وفي مجامع الناس، زاد النسائي «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**». بإسناد حسن، الزيادة هذه للنسائي رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي حديث العرباض: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وفي حديث عائشة: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، والمقصود اتباع الشريعة وتعظيمها، والاستقامة عليها، وتحذر مما يخالفها، من أقوال وأعمال.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٧).

الأسئلة

تكرير: إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ في كل خطبة.

• **س: يكررها عليه الصلاة والسلام في كل خطبة؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يكررها في كل خطبة؟

○ **الجواب**: هكذا قاله جابر، كان يقول في خطبته أما بعد: وإن خير الحديث.

مداخلة: أحسن الله إليك! يقول هذا في الخطبة الثانية؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يقول هذا في الخطبة الثانية؟ أو..

الشيخ: ما فصل في خطبه عليه الصلاة والسلام، ما فصل جابر هذه والا هذه اللهم صل عليه. إضافة قول: إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ في خطبة الحاجة إضافة قول: إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ في خطبة الحاجة.

• **س: هل يضاف إلى خطبة الحاجة عفا الله عنك؟!**

الشيخ: نعم.

مداخلة: يضاف إلى خطبة الحاجة في الصلاة؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يضاف إلى خطبة الحاجة في خطب الجمعة.

الجواب: خطب الحاجة كذلك طيب نعم، حديث ابن مسعود تقصير المرأة أسنانها إذا كانت طويلة.

• **س: أحسن الله إليك! إذا كان أسنان المرأة كبيرة أو طويلة فأرادت أن تقصرها تجملًا للزوج؟**

○ **الجواب**: هذا لا يسمى تفليج، إذا كانت فيها طول زائد أو سواد أو شيء، هذا من باب العلاج، التفليج تحكيكها للحسن يجعلها حادة.

عملية شد الجلد المتجعد:

مداخلة: بعضهم يشد الجلد المتجعد، ويريد أن يحصل على جمال وما أشبه ذلك؟

الجواب: الظاهر أنه جائز هذا جائز، لكن إذا صار شيء يخالف العادة من العلاج «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»، سواءً لإنعام تجعُّده أو دمث الخلقة قشور فيه وشم فيه، يزيله إذا تيسر له ذلك ما في شيء.

قص المرأة شعرها وإصلاحه:

• س: الشيخ أثابك الله! مثل المرأة التي تقص رأسها وتصلح رأسها هل هو من تغيير خلق الله؟

○ **الجواب**: هذا فيه التفصيل، إذا كان فيه طول تأخذ منه لا بأس، التخفيف منه لا بأس، أما إن كانت بقعة لا ما يصلح، يسمى قزع ما يصلح، أما إذا كان من طوله ما يشق عليها لا بأس، ثبت أن أزواج النبي ﷺ أخذن من طول شعورهن بعد وفاته تخفيفًا له.

عملية التطويل لمن كان قصيرًا:

• س: أحسن الله إليك! التطويل؟ عملية تطويل إذا كان الإنسان قصيرًا؟

○ **الجواب**: هذه ما يصلح، يعني: بلغنا أمس يكسرون ساقه كسر... هذا منكر قبيح، نسأل الله العافية.

مداخلة: من أسباب تصاف الشعر أحسن الله إليك! يكون لها دوريف؟

الشيخ: نعم.

السنة في ابتداء خطبة الجمعة:

• س: أحسن الله إليك! هل من السنة ابتداء خطبة الجمعة..؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل من السنة ابتداء خطبة الجمعة بخطبة الحاجة؟

○ **الجواب**: بسم الله، وبالحمد لله، مطلق، يحمد ربه ويثني عليه، بأي نوع من الحمد كان الرسول ﷺ يبدأ الخطبة بحمد الله والثناء عليه، يتنوع.

اتخاذ العدسات للعينين:

مداخلة: أحسن الله إليك!

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ!

الشيخ: نعم.

● **س: العدسات التي تغير، بعض العدسات تغير؟**

○ **الجواب**: إذا كانت تقوي البصر مثل ذلك، أما للجمال تركها أحوط.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١١٩][(١)].

هذه الآيات الكريمات تتعلق بالتحذير من تغيير خلق الله وطاعة الشيطان في ذلك، فإن الله جلَّ وعلا أخبر أنه سيأمرهم بأن يغيروا خلق الله وأن يقطعوا آذان الأنعام؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر طاعة الشيطان، وأن يستجيب لدعوة الرحمٰن، والوصل كونها تزيد

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٣٩٤).

المرأة في الشعر، شعر بنتها أو أختها، والوشم ما يقع من بعض الناس يغرز خده أو يده بإبرة ونحوها ثم يحشو بشيء من الألوان التي يريد أصفر، أو أحمر، أو أخضر، أو أسود، يقال لها: الوشم، وأما الوشر معناه: تفليج الأسنان للحسن كون يفلجها ويحسنها وَشْرُها تزيينها وتجميلها وتفليجها، والنمص: أخذ شعر الحاجبين، الرسول ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**»(١)، كل هذا يدل على أنه من الكبائر، لعن الرسول لهم يدل على أن العمل من الكبائر؛ فالواجب الحذر من ذلك وأن لا يطيع الشيطان في هذه الأمور التي يزينها الشيطان لبعض الناس.

والوشم مثلما تقدم غرز الوجه أو غيره بإبرة أو مخيط أو غيره حتى يخرج الدم ثم يجعل فيه شيء من الألوان التي يريد.

والوصل: وصل الشعر بغيره. قد يكون كبة وهي التي يسمونها الباروكة فيها الشعر كله كما قال معاوية رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ**»؛ يعني: كبة من الشعر، يجعل كبة من الشعر فيها ضفائر تلبسها المرأة عند عدم رأسها، وهذا لا يجوز لا باروكة، ولا النمص، ولا الوصل كله لا يجوز.

والواجب على المؤمن أن يحذر ما حرم الله عليه، وأن يقف عند حدود الله.

*

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ برقم (٤٨٨٦)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة... إلخ برقم (٢١٢٥).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء: ١٢٣ ـ ١٢٦][(١)].

قال قتادة: ذُكرَ لنا أنّ المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ الآية. فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان.

وكذا روي عن السّدي، ومسروق، والضحاك وأبي صالح، وغيرهم. وكذا رَوَى العَوْفيّ عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: تخاصَمَ أهل الأديان فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء. وقال أهل الإنجيل مثل ذلك. وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام. وكتابنا نَسَخَ كلّ كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأُمِرْتُم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا. فقضى الله بينهم فقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وخيَّر بين الأديان فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر يوم الأحد ٢٦ ـ ٦ ـ ١٤١٦.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أوضح الله سبحانه أن الإسلام والدين والنجاة ليست بأماني الناس وأهوائهم ورغباتهم، ولكن ذلك بما وافق الحق هو المعتبر عند الله، ما وافق الحق فهو المعتبر عند الله. والإسلام هو: دين الله للأولين والآخرين، هو دين آدم ودين نوح ودين جميع الأنبياء، فالإسلام هو دين الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فالإسلام هو دين الله للأولين والآخرين هو توحيد الله وطاعته، واتباع شريعته التي جاء بها أنبياؤه، فالإسلام في عهد آدم هو ما جاء به آدم، وما بعث الله به آدم، وما كان عليه آدم من التقوى والدين، هذا الإسلام، وفي عهد نوح هو ما جاء به نوح، وما شرعه الله لعباده على يد نوح من الشرائع مع توحيد الله، وهكذا ما جاء به هود وصالح وموسى وعيسى والأنبياء، هو الإسلام هو دين الله. سمي إسلام؛ لأنه خضوع لله، سمي الإسلام؛ لأنه خضوع لله وانقياد لأوامر الله وترك لمحارم الله ووقوف عند حدود الله، فما شرعه الله لأنبيائه هو الإسلام، وأصله كله هو توحيد الله والإخلاص له والتصديق بالرسول الذي جاء به هذا هو الإسلام. فما جاء به آدم ونوح وهود وصالح ومن بعدهم هو الإسلام، هو توحيد الله وطاعته، وهكذا ما جاءت به التوراة والإنجيل هو الإسلام وما جاء به القرآن هو الإسلام، هو توحيد الله وطاعة أوامره وترك نواهيه في كل زمان من الأزمان ومع كل رسول.

لكن أفضلهم وخاتمهم هو نبينا محمد ﷺ، هو أفضلهم وخاتمهم كما قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»(١)، وأخبر عن كتابه العظيم أنه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة بني إسرائيل برقم (٣١٤٨)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠٨)، والإمام أحمد (٣/٢).

مهيمن على ما قبله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. فهو أفضل الكتب وأصدقها والمهيمن على ما مضى، فما أحله الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فهو الحلال، وما حرمه الله في كتابه العظيم وعلى يد رسوله الكريم فهو المحرم، وما شرعه الله لعباده في هذا الكتاب العظيم وعلى لسان رسوله محمد ﷺ هو المشروع؛ لأنه خاتم الأنبياء خاتم الرسل وكتابه خاتم الكتب. ولهذا قال ﷻ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣]، أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، يعني: من الجميع من هؤلاء ومن هؤلاء. ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، سوءًا كان في عهد آدم أو في عهد نوح أو عهد هود أو عهد صالح أو ما بعدهم، كل من اتقى الله وآمن واستقام على الهدى فله الجنة والكرامة.

والخاتم الآخر هو محمد عليه الصلاة والسلام، هو خاتم الأنبياء وآخرهم، ودينه الذي شرعه الله له هو أصل الشرائع وأكملها، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، كما رضيه للأنبياء قبله رضيه له، وأكمل له الشريعة، وجعل شريعته أحسن الشرائع وأكملها وأسمحها، ووضع عن أمته الآصار والأغلال، رحمة من الله لعباده وإحسانًا منه إليهم. ثم قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٥]، في جميع الأحوال، ما هناك أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله من الأولين والآخرين، من أخلص لله الدين واستقام على الشريعة، وتابع الحق، وابتعد عن الباطل، ووقف عند الحدود فلا أحد أحسن دينًا منه؛ لاتباعه الشرع واستقامته عليه، ومن قصر فتقصيره على نفسه، ودين الله بريء منه، تقصيره على نفسه. والمعنى في هذا: أن الواجب على كل مكلف أن يعظم دين الله، وأن يستقيم عليه، وأن يخلص لله، وأن يستقيم على الشرع، هذا هو الصلاح والإصلاح، أما

الأماني فلا تجدي شيئًا، الأماني رؤوس أموال المفاليس لا تنفع، فلو تمنى أن يكون أفضل الناس وأكمل الناس ولم يفعل ما نفعه ذلك؛ إنما الاعتبار بالعمل وما في القلوب من الإيمان والهدى، وما يثمره ذلك من الموافقة للشرع، والاستقامة على الشرع، والحذر مما نهى الله عنه، هذا هو الذي به الاعتبار، أما الأماني فلا تنفع أهلها شيئًا، بل تضرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مجاهد: قالت العرب: لن نبْعث ولن نُعذَّب. وقالت اليهود والنصارى: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] وقالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

والمعنى في هذه الآية: أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كُلّ من ادعى شيئًا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: «إنه هو المُحق» سُمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني؛ بل العبرة بطاعة الله، واتباع ما شرعه على ألسنة رسله الكرام؛ ولهذا قال بعده: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ كقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نُمَيْر، حدثنا إسماعيل، عن أبي بكر بن أبي زهير قال: أُخْبِرْتُ أن أبا بكر قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فكُل سوء عملناه جُزينا به؟ فقال النبي ﷺ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْتَ تَمْرَضُ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ، أَلَسْتَ تَحْزَنُ، أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ**». قَالَ: بَلَى. قَالَ: «**فَهُوَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ**»[(١)]. ورواه سعيد بن

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١١)

منصور، عن خلف بن خليفة، عن إسماعيل بن أبي خالد، به. ورواه ابن حبان في صحيحه، عن أبي يَعلى، عن أبي خَيْثَمة، عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، به. ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري، عن إسماعيل به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن زياد الجصاص، عن علي بن زيد، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: سمعت أبا بكر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا**»[١].

وقال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا أحمد بن هُشَيْم بن جُهَيْمَة، حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا زياد الجصاص، عن علي بن زيد، عن مجاهد قال: قال عبد الله بن عمر: انظروا المكان الذي به عبد الله بن الزبير مصلوبًا ولا تمرُّنَّ عليه. قال: فسها الغلام، فإذا ابن عمر ينظر إلى ابن الزبير فقال: يغفر الله لك ثلاثًا، أما والله ما علمتك إلا صوّامًا قوّامًا وصّالًا للرحم، أما والله إني لأرجو مع مساوي ما أصبتَ ألا يعذبك الله بعدها. قال: ثم التفت إلي فقال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا**».

ورواه أبو بكر البزار في مسنده، عن الفضل بن سهل، عن عبد الوهاب بن عطاء، به مختصرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا لحظ ابن الزبير، حظ الحجاج لابن الزبير في زمن عبد الملك بأنه حاصره في مكة مدة أشهر، ثم تم قتله وصلبه

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

الحجاج، وهذا من مساوئ الحجاج ومن أعماله القبيحة، وابن الزبير كان من خيرة الناس صيامًا وقيامًا وعبادة وهو من صغار الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وتولى الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية بايعه الناس،ثم جرى ما جرى من الحروب بينه وبين عبد الملك وقتل سنة ثلاثة وسبعين رضي الله عنه.

والآية الكريمة عامة ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ تعم جزاء الدنيا وجزاء الآخرة، وهذه الآثار التي ذكرها المؤلف فيها ضعف كلها ما بين منقطع وبين ضعيف مثل رواية علي بن زيد وغيره، والآية عامة قد يجزى به في الدنيا وقد يجزى به في الآخرة، وقد يتوب ويعفو الله عنه ما أصابه، (من يعمل سوءًا يجز به) يعني: إن لم يتب فإن تاب عفا الله عنه ومحا عنه ما أصابه، والناس كلهم خطاءون، «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[١].

فمن عمل سوءًا جزي به إما في الدنيا بما يصيبه من النصب والتعب والأمراض وغير ذلك، وإما في الآخرة مما يصبه في القبر أو في النار، إلا أن يتوب إلى الله جل وعلا، أو يعفو الله عنه بأعمال صالحة وحسنات قدَّمها كما قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن دون الشرك تحت مشيئة الله قد يعاقب به في الدنيا، وقد يعاقب به في الآخرة، وقد يعفو الله عنه، هذه أمور قد أحكمها الله سبحانه وتعالى.

الأسئلة:

● **س: توجيه الخطاب للميت بصيغة المخاطب الحي؟**

○ **الجواب**: من باب الاستحضار لا يضر، من باب الاستحضار

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

مثلما قال: (ما علمتك إلا كذا وكذا) مثلما تخاطب الميت وتسلم عليه تقول: (ما علمتك إلا كذا وكذا). من باب الاستحضار.

● **س: أحسن الله إليك! قوله عن ابن الزبير مع مساوئ ما أصبت؟**

○ **الجواب**: كلٌّ له سيئات.

● **س: أحسن الله إليك! اليهود الموجودين يقولون: عزير ابن الله، والنصارى تقول: المسيح ابن الله، هل هذا شرك ؟**

○ **الجواب**: كفر أكبر، هذا الشرك الأكبر، نعم كفر أكبر؛ لكن من تاب تاب الله عليه، من أسلم منهم وتاب تاب الله عليه، مثلما كانت اليهود كفار قريش تقول: الملائكة بنات الله، وإذا أسلموا تاب الله عليهم، من أسلم تاب الله عليه، قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال في مسند ابن الزبير: حدثنا إبراهيم بن المستمر العُروقي حدثنا عبد الرحمٰن بن سليم بن حَيّان، حدثني أبي، عن جدي حيان بن بسطام، قال: كنت مع ابن عمر، فمر بعبد الله بن الزبير وهو مصلوب، فقال: رحمك الله أبا خُبيب، سمعت أباك ـ يعني الزبير ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا والأخرى**» ثم قال: لا نعلمه يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني مولى بن سِبَاع قال: سمعت ابن عمر يحدث، عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر،**

هل أقرئك آية نزلت علي؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصامًا في ظهري حتى تمطأت، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَأَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا وَإِنَّا لَمَجْزِيُّونَ بِمَا عَمِلْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَلَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ، وَأَمَّا الآخَرُونَ فَيُجْمَعُ ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وهكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى، وعبد بن حميد، عن روح بن عبادة، به. ثم قال: وموسى بن عبيدة يضعف، ومولى بن سباع مجهول[(١)].

الحكم على حديث: (... وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه...):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا السند ضعيف، لأن موسى بن عبيدة ليس بشيء، وابن سباع مجهول، لكن المعنى: أن من عمل السوء يجزى به ما لم يتب إلى الله ﷻ، الآية مطلقة، الآيات يفسر بعضها بعضًا، القرآن يفسر بعضه بعضًا، والسنة يفسر بعضها بعضًا، قال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وقال سبحانه في كتابه العظيم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]، يبدل الله السيئات حسنات عن التوبة والعمل الصالح، نفس السيئات تمحى ويكون محلها حسنات فضلًا من الله ﷻ. ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء برقم (٣٠٣٩).

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، يعني: للتائبين، أجمع العلماء أن هذه الآية في التائبين، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، هذه مطلقة، قيدتها النصوص الأخرى والآيات الأخرى، الله أكبر.

الأسئلة:

● **س: هل من شرطه أن يحتسب الإنسان في مصائبه وفي همه وحزنه أم ليس بشرط؟**

○ **الجواب:** إذا احتسبها كان أفضل، كان أكثر، أقول: ليس من الشرط، المصائب يكفر بها السيئات لكن إذا احتسبها كان الأجر أكثر، نعم. في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١)، فما كان مع الصبر ومع الشكر يكون أكمل ولو أصابته نكبات ولم يكن على باله احتسابها كفر الله به الخطايا لعموم الآية، الله أكبر.

مداخلة: إذا تسخَّط وجزع ما يعارض هذا؟

الشيخ: قد يعارض... على كل حال الشكر أفضل، إذا تيسر الشكر الشاكر أفضل من الفقير الصابر.

● **س: إذا تسخط وجزع؟**

○ **الجواب:** يأثم على التسخط، أما إذا لا سخط ولا رضا، مرت عليه هكذا فلعموم الآيات يخفف بها من سيئاته، نعم. لكن إذا صبر صار له أجر مع التكفير، أجر عن الصبر والاحتساب وتكفير من السيئات بالمصائب.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير برقم (٢٩٩٩).

مداخلة: . . . في صحيح مسلم من حديث عائشة: (ما من مسلم تصيبه) ثم ذكر الهم وذكر فيه درجات ويكفَّر عنه؟

الشيخ: الحديث الصحيح: «**ما أصاب المسلم من هَمٍّ ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»، حتى الشوكة.

مداخلة: أحسن الله إليكم يا شيخ! التصفيق في غير الصلاة للنساء هل هو يجوز كفي الأعراس وغيرها هل هذا جائز؟

الشيخ: الأصل المنع؛ لأنه مو في الصلاة؛ لأنه من أعمال الكفرة، التصفيق من أعمال الكفرة، ولكن يجوز للنساء في الصلاة مثلما في الحديث الصحيح: «**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء ـ وقال في رواية: في الصلاة ـ**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا الغلام، حدثنا الحسين، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج، أخبرني عطاء بن أبي رباح قال: لمَّا نزلت قال أبو بكر: يا رسول الله، جاءت قاصمة الظهر، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هي المصائب في الدنيا**».

طريق أخرى عن الصديق: قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري، حدثنا محمد بن عامر السعدي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا فضيل بن عياض، عن سليمان بن مهران، عن مسلم بن صُبَيح، عن مسروق قال: قال أبو بكر الصديق يا رسول الله، ما أشد هذه الآية: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء**».

طريق أخرى: قال ابن جرير: حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالا: حدثنا زيد بن الحُبَاب، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي، حدثنا محمد بن زيد بن قُنْفُذ عن عائشة، عن أبي بكر

قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، كل ما نعمل نؤاخذ به؟ فقال: «**يا أبا بكر، أليس يصيبك كذا وكذا؟ فهو كفارة**».

حديث آخر: قال سعيد بن منصور: أنبأنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكر بن سوادة حدثه، أن يزيد بن أبي يزيد حدثه، عن عبيد بن عمير، عن عائشة: أن رجلًا تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ فقال: إنا لَنُجْزَى بكل عَمَل؟ هلكنا إذًا. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**نعم، يجزى به المؤمن في الدنيا، في نفسه، في جسده، فيما يؤذيه**».

طريق أخرى: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن بشير، حدثنا هُشَيْم، عن أبي عامر، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إني لأعلم أشد آية في القرآن. فقال: «**ما هي يا عائشة؟**» قلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ فقال: «**هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النَّكْبَة يَنْكُبها**».

رواه ابن جرير من حديث هشيم، به. ورواه أبو داود، من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخزاز به.

طريق أخرى: قال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أمية أنها سألت عائشة عن هذه الآية: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ فقالت: ما سألني عن هذه الآية أحد منذ سألت عنها رسول الله ﷺ، سألت رسول الله ﷺ فقال: «**يا عائشة، هذه مبايعة الله للعبد، مما يصيبه من الحمى والنَّكْبَة والشوكة، حتى البضاعة فيضعها في كُمِّه فيفزع لها، فيجدها في جيبه، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التِّبْرُ الأحمر من الكِير**».

طريق أخرى: قال ابن مَرْدُويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم،

حدثنا أبو القاسم، حدثنا سُرَيج بن يونس، حدثنا أبو معاوية، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن زيد بن المهاجر، عن عائشة قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال: «**إن المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في الفَيْظ عند الموت**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، عن زائدة، عن ليث، عن مجاهد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفرها، ابتلاه الله بالحَزَن ليُكَفِّرها عنه**[1]».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كل ما يصيب المؤمن من الأذى يكفِّر الله به، «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**». مثل ما قال ﷺ لأبي بكر: «**فذلك ما تجزون به**»، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

حديث آخر: قال سعيد بن منصور، عن سفيان بن عيينة، عن عمر بن عبد الرحمٰن بن مُحَيْصِن، سمع محمد بن قيس بن مَخْرَمَة، يخبر أن أبا هريرة، رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ شَقّ ذلك على المسلمين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**سَدِّدوا وقاربوا، فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يُشَاكها، والنَّكْبَة يَنْكُبُهَا**».

وهكذا رواه أحمد، عن سفيان بن عيينة، ومسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به ورواه ابن مَردُويه من حديث روح ومعتمر كلاهما، عن إبراهيم بن يزيد عن عبد الله بن إبراهيم، سمعت أبا هريرة يقول: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٥٧).

﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ بكينا وحزنا وقلنا: يا رسول الله، ما أبقت هذه الآية من شيء. قال: «**أما والذي نفسي بيده إنّها لكما نزلت، ولكن أبشروا وقاربوا وسَدِّدوا؛ فإنه لا يصيب أحدًا منكم في الدنيا إلا كفَّر الله بها خطيئته، حتى الشوكة يُشَاكها أحدكم في قدمه**»

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من رحمة الله، ومن فضله وإحسانه، كلما يسوء العبد أو يؤذيه (المؤمن) كفر الله به من خطاياه، وكم ما يصيب العبد، ولكن المؤمن طريقته الجد، والنشاط في طلب الخير، وعمل الخير، والأخذ بالأسباب، وما وقع مما يكره، كفر الله به من خطاياه، هكذا المؤمن، يعمر وقته بطاعة الله، والمسارعة إلى مراضيه، والحذر مما يغضبه، وإذا وقع شيء مما يسوؤه كفر الله به من مرض، أو هم، أو حزن، أو شوكة، أو غير ذلك، الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك! أن يكون صابرًا محتسب؟.

الشيخ: نعم، مع الصبر يزداد الأجر.

مداخلة: أحسن الله إليك! الجزع يثابه الله.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: لو جزع يثاب؟

الشيخ: ما يصيبه كفر من خطاياه، وإذا صبر أجر مع ذلك، مع التكفير أجر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وأبي هريرة: إنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ما يصيب المؤمن من نَصب ولا وَصَب ولا سَقَم ولا حَزَن، حتى الهم يُهَمّه، إلا كُفِّر به من سيئاته**» أخرجاه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن سعد بن إسحاق، حدثتني زينب بنت كعب بنُ عُجْرَة، عن أبي سعيد الخدري

قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا؟ ما لنا بها؟ قال: «**كفارات**». قال أبي: وإن قَلَّتْ؟ قال: «**وإن شوكة فما فوقها**» قال: فدعا أبي على نفسه أنه لا يفارقه الْوَعْك حتى يموت، في ألا يشغله عن حج ولا عمرة، ولا جهاد في سبيل الله، ولا صلاة مكتوبة في جماعة، فما مسه إنسان إلا وجد حره، حتى مات، رضي الله عنه. تفرد به أحمد.

الاسئلة

● **س: مشروعية هذا الدعاء؟**

○ **الجواب**: ما هو بالظاهر، الظاهر أنه اجتهاد من كعب رضي الله عنه، والأقرب أنه لا يطلب، الرسول ﷺ قال: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»[(١)]، لا يدعو الإنسان على نفسه بغير خير، قد لا يتحمل، قد يصيبه ولا يتحمل، يسأل ربه العافية، مثلما قال ﷺ: «**مَا أُوتيَ أَحَدٌ خَيرٌ وأَفْضَلَ مِنَ العَافيَةِ**»[(٢)]، ما الكل يتحمل، نعم العافية خير وأوسع، الله أكبر.

تسمية ما أراده عبد الله بن عمرو من صيام الدهر

● **س: يقاس عليه نذر عبد الله بن عمرو بن العاص في الصيام عندما نذر على نفسه أن يصوم الدهر؟**

○ **الجواب**: ما نذر، استفتى النبي ﷺ.

مداخلة: عدد آيات الصبر في القرآن. كم؟

○ **الجواب**: الله أعلم نعم، قال بعضهم فوق التسعين والله أعلم.

مداخلة: منها ثلاثة وتسعين.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر برقم (٩٢٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣ و٨ و١١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ

الله أعلم يحتاج إلى تأمل، يحتاج إلى تأملها نعم. عليك بالصبر ولو ما عرفت العدد، عليك بالصبر على طاعة الله ورسوله ﷺ، وترك معصية الله، وإن لم يتعين العدد، يكفي ولو آية واحدة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، الله المستعان.

الملقي: حديث آخر، روى ابن مردويه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديث آخر: روى ابن مردويه من طريق حسين بن واقد، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؟ قال: «**نعم، ومن يعمل حسنة يُجزَ بها عشرًا. فهلك من غلب واحدته عشرًا**».

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال: الكافر، ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

وهكذا رُوي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير: أنهما فسَّرا السوء هاهنا بالشرك أيضًا.

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: إلا أن يتوب فيتوب الله عليه. رواه ابن أبي حاتم.

والصَّحيح أن ذلك عامٌّ في جميع الأعمال، لما تقدم من الأحاديث، وهذا اختيار ابن جرير، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ لمَّا ذكر الجزاء على السيئات، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا ـ وهو

الأجود له ـ وإما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة، والصفح والعفو والمسامحة ـ شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قَبول الأعمال الصالحة من عباده ذُكْرَانهم وإناثهم، بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير، وهو: النقرة التي في ظهر نواة التمرة، وقد تقدم الكلام على الفتيل، وهو الخيط الذي في شق النواة، وهذا النقير وهما في نواة التمرة، وكذا القطمير وهو اللفافة التي على نواة التمرة، الثلاثة في القرآن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من فضله جَلَّ وَعَلَا، ومن عدله أيضًا، الله هو سبحانه وعد من أساء الجزاء ووعد من أحسن بالجزاء، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وهو سبحانه العفو والجواد الكريم مع وعده من أساء بالجزاء، وهو سبحانه الغفور الرحيم من تاب إليه ولمن أحسن في العمل ولمن جاهد نفسه في الله، فقال سبحانه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾، إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإما فيهما جميعًا، قد يجزى بالسيئات في الدنيا والآخرة بكفره وضلاله وأعماله القبيحة، وقد يعجل له الجزاء في الدنيا وهو المؤمن إذا أساء، يجازى في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة قد طهر من سيئاته فيكون إلى الجنة. أما من عمل الصالحات عن إيمان وصدق، فالله يدخله الجنة وينجيه من النار، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾، النقير: لا يساوي شيئًا، مقدار النقرة التي في النواة، فهي ولا شيئًا يسيرًا. وفي الآية الأخرى يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، وفي الآية الثالثة يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ويقول في الآية الأخرى الرابعة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فهذا يوجب للمؤمن الحذر، وأن لا يحتقر السيئة، وأن لا يزهد في الحسنة، يحذر السيئة وإن دقت، وإن قلَّت، ويجتهد في الحسنة وإن صغرت؛ ولهذا يقول ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(١).

فأنت يا عبد الله! عليك أن تحذر السيئات دقيقها، وجليلها، وعليك أن تحفظ الحسنات، صغيرها، وكبيرها قليلها وكثيرها، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وفي هذه الآية يقول ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾، لكن بشرط الإيمان، أن تكون الأعمال الصالحة صادرة عن إيمان، عن إيمانًا بالله وتوحيد له وإخلاص له، أما مع الشرك فلا عمل، العمل حابط، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]؛ لكن مع الإيمان بالله ورسوله، مع التوحيد والإخلاص، مع متابعة الرسول ﷺ تنفع الأعمال، ينفع قليلها وكثيرها. كما أن السيئات يجب الحذر منها من دقيقها وجليلها، وأن لا تحتقر بل يجب الحذر منها كلها، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (٧٥١٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة برقم (١٠١٦).

الملقي: أحسن الله إليك! [وقد تقدم الكلام على الفتيل، وهو: الخيط الذي في شق النواة، وهذا النقير وهما في نواة التمر، والقطمير وهو: اللفافة التي على نواة التمر، والثلاثة في القرآن..

الشيخ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أخلص العمل لربه، عَزَّ وَجَلَّ، فعمل إيمانًا واحتسابًا ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما؛ أي: يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متبعًا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمن فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد. فمن فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالًّا جاهلًا. ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، و﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]. والحنيف: هو المائل عن الشرك قصدًا، أي تاركًا له عن بصيرة، ومقبل على الحق بكليته، لا يصدُّه عنه صاد، ولا يرده عنه راد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهـذا مـعـنـى قـولـه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، يعني: أخلص لله وأحسن في العمل بمتابعة الشريعة، وهكذا قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]، يعني: أسلم وجهه لله أخلص لله في العمل وهو محسن بموافقة الشريعة، فلا بد من هذا وهذا. فشرط العمل أن يكون خالصًا لله موافقًا للشريعة فإن كان لله ولم يوافق الشريعة صار بدعة، وإن كان وافق الشريعة في الظاهر ولكن في الباطن ليس مخلصًا بطل أيضًا كأعمال المنافقين، الذين يتظاهرون بالإسلام وهم يعملون لغير الله. فلا بد من اجتماع الشرطين: الإخلاص لله والإيمان به. وموافقة الشريعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخُلَّة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه، كما وصفه به في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧]، قال كثيرون من السلف: أي قام بجميع ما أمر به ووفَّى كل مقام من مقامات العبادة، فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير، ولا كبير عن صغير. وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الآية [البقرة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٢].

وقال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عمرو بن ميمون قال: إن

معاذًا لما قدم اليمن صلىَّ الصبح بهم: فقرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ فقال رجل من القوم: لقد قَرّت عينُ أم إبراهيم.

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره، عن بعضهم أنه إنما سمَّاه الله خليلًا من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جَدْب، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل - وقال بعضهم: من أهل مصر - ليمتار طعامًا لأهله من قِبَله، فلم يصب عنده حاجته. فلما قَرُب من أهله مَرَّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غَرَائري من هذا الرمل، لئلا أغُمّ أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة، وليظنوا أني أتيتهم بما يحبون. ففعل ذلك، فتحول ما في غرائره من الرمل دقيقًا، فلما صار إلى منزله نام وقام أهله ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقًا فعجنوا وخبزوا منه فاستيقظ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك فقال: نعم، هو من خليلي الله. فسماه الله بذلك خليلًا.

مداخلة: الغرائر والغرائز.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأمتعة الذي فيها الطعام المزاود.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبرًا إسرائيليًّا لا يُصدَّق ولا يُكذَّب، وإنما سُمّي خليل الله لشدة محبة ربه ﷻ له، لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: خليل الله لكمال محبته وكمال صدقه وكمال إخلاصه، ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]؛ لقيامه بحق ربه، واجتهاده في طاعته، وحرصه على كل ما

يرضيه ﷺ، سمَّاه الله خليلًا. وهكذا محمد ﷺ سمَّاه الله خليلًا، فهما الخليلان، إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام. الله المستعان! «**إن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»، عليهما الصلاة والسلام.

الملقي: وإنما سمي خليل الله لشدة محبته لربه ﷻ، ولما قام له به من الطاعة التي يحبها ويرضاها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا ثبت في الصحيحين، من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال: «**أما بعد، أيها الناس، فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله**».

وجاء من طريق جُنْدُب بن عبد الله البَجَلي، وعبد الله بن عَمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**».

وقال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أُسَيْد، حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجَوْزجاني بمكة، حدثنا عُبَيد الله الحَنَفي، حدثنا زَمْعة بن صالح، عن سلمة بن وَهْرَام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، وإذا بعضهم يقول: عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلًا فإبراهيم خليله! وقال آخر: ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليمًا! وقال آخر: فعيسى روح الله وكلمته! وقال آخر: آدم اصطفاه الله! فخرج عليهم فسلم وقال: «**قد سمعت كلامكم وتعجبكم أن إبراهيم خليل الله، وهو كذلك، وموسى كليمه، وعيسى روحه وكلمته، وآدم اصطفاه الله، وهو**

كذلك ألا وإني حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشَفَّع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حِلَق الجنة، فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شواهد في الصحاح، وغيرها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو ضعيف بهذا السند، ضعيف؛ لأن زمعة بن صالح لا يحتج به، وقوله: (حبيب الله) الخلة فوق المحبة، في الأحاديث الصحيحة دلت على أنه خليل الله، والخلة فوق، أخص من المحبة، فالمؤمنون كلهم أحباء الله، المؤمنون والرسل جميعًا كلهم أحباء الله؛ لكن الخلة أخص من ذلك وهي أعلى المحبة وكمالها، وهي للخليلين إبراهيم ومحمد فقط. ثم هو أيضًا كليم الله كما كلم موسى، فإن الله كلمه حين عرج به إلى السماء كلمه سبحانه، وفرض عليه الصلوات الخمس، وهو كليم الله وهو خليله عليه الصلاة والسلام، وهو أول شافع وأول مشفع عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا تنتهي الخلائق إليه يوم القيامة، يعتذر آدم، في الشفاعة يعتذر آدم، ويعتذر نوح، ويعتذر إبراهيم ويعتذر موسى، وهكذا عيسى يعتذر ويقول: (اذهبوا إلى محمد عليه الصلاة والسلام، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون إليه، فيقول: أنا لها، عليه الصلاة والسلام، ثم يتقدم إلى ربه، فيسجد بين يديه ويحمده بالمحامد العظيمة، يفتحها الله عليه، ثم يقال له: ارفع رأسك، ويسمع، وقال: اشفع تشفع) فهو أفضلهم عليه الصلاة والسلام، وخاتمهم، يسجد بين يدي ربه تحت العرش، يوم القيامة حتى يقال له: (ارفع رأسك). المقصود: المقصود النكرة في حبيب الله، الصواب: أن الخلة هي أعلا وأفضل.

● **س: روح الله ما معناها؟**

○ **الجواب**: جملة الأرواح التي خلقها، مثل: ناقة الله، ومثل: بيت الله، ومثل: رسول الله، يعني: هي جملة الأرواح التي خلقها وأوجدها، إضافة تشريف. إضافة تشريف وتكريم.

مداخلة: طيب، تسمية روح الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا ما يسمى بها إلا عيسى عليه الصلاة السلام.

● **س: أحسن الله إليك! هل لأحد من الخلق أن يتخذ خليلًا؟ من الخلق؟**

○ **الجواب**: لا. الخلة أعلى المحبة يجب أن تكون لله وحده؛ ولهذا قال ﷺ في حديث جندب: «**ولو كنت متخذًا من الأمة خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله**»، يجب أن تكون المحبة، أعلا المحبة تكون لله وحده، ولرسله وأنبيائه ولمحمد ﷺ، قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»، وقال عمر:(يا رسول الله! أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، قال: «**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي، قال: «**الآن يا عمر**».

فيجب أن تكون محبة الله ورسوله فوق محبة الأهل والأولاد والنفس وغيرهم.

معنى الأخلاء في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف: ٦٧].

● **س: وآية: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذٍ﴾ [الزخرف: ٦٧]، هي مأخوذة من خلة؟**

○ **الجواب**: الأحباء يعني، ﴿عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧]، الأخلاء فيما بينهم: الأحبة يعني.

● **س: أحسن الله إليك! اتخاذ أبي هريرة النبي ﷺ خليلًا، قال: حدثني خليلي.**

○ **الجواب**: يعني: حبيبي، المقصود هنا المحبة، جنس المحبة، ليس المراد به إنه أحب من الله، لا؛ لأن محبة الرسول من محبة الله، لأن مما أحببناه؛ لأنه حبيب الله؛ ولأنه رسول الله، فمراده يعني إنه يحبه المحبة، أحب شيء من جهة المخلوقات يعني: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»، يعني: يقول له بالمعنى: أنه يحبه أكثر مما يحب بقية الخلق، لكن محبة الله فوق ذلك.

● **س: هل لله أن يتخذ خليلًا من البشر دون الأنبياء؟**

○ **الجواب**: ما أعرف له أصل، أقول: ما أعرف لهذا أصل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: أتعجبون من أن تكون الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه. وكذا روى عن أنس بن مالك، وغير واحد من الصحابة والتابعين، والأئمة من السلف والخلف.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن عبدك القزويني، حدثنا محمد - يعني ابن سعيد بن سابق -

حدثنا عمرو - يعني ابن أبي قيس - عن عاصم، عن أبي راشد، عن عُبَيْد بن عُمَير قال: كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يضيف الناس، فخرج يومًا

يلتمس إنسانًا يضيفه، فلم يجد أحدًا يضيفه، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلًا قائمًا، فقال: يا عبد الله، ما أدخلك داري بغير إذني؟ قال: دخلتها بإذن ربها. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره أن الله قد اتخذه خليلًا. قال: من هو؟ فوالله إن أخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لآتينّه ثم لا أبرح له جارًا حتى يفرق بيننا الموت. قال: ذلك العبد أنت. قال: أنا؟ قال: نعم. قال: فيم اتخذني الله خليلًا؟ قال: إنك تعطي الناس ولا تسألهم.

وحدثنا أبي، حدثنا محمود بن خالد السلمي، حدثنا الوليد، عن إسحاق بن يسار قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلًا ألقى في قلبه الوَجَل، حتى إن كان خفقانُ قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء. وهكذا جاء في صفة رسول الله ﷺ: أنه كان يسمع لصدره أَزِيزٌ كأزيز المرْجل من البكاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا في الصلاة، . . . دائم هذا في الصلاة كما جاء في حديث عبد الله بن الشخير: (إنه دخل على النبي ﷺ وهو يصلي، قال: ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء) وقت صلاته وخشوعه في صلاته عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! أيهما أخص صفة الخلة أم صفة المحبة؟.

الشيخ: الخلة أخص، المحبة عامة للمؤمنين جميعًا وللرسول جميعًا، فالخلة خاصة لمحمد وإبراهيم.

مداخلة: يعني الرسول يقول: (وأنا حبيب الله)؟

الشيخ: الحديث هذا ضعيف.

الشيخ: الصواب الخلة أعلا، يعني: للخليلين محمد وإبراهيم،

وأما المحبة عامة للمؤمنين جميعًا، الله يحب المؤمنين، يحب المحسنين ﷻ، نعم. يحب المتقين، يحب التوابين ويحب المتطهرين، سبحانه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾؛ أي: الجميع ملكه وعبيده وخلقه، وهو المتصرف في جميع ذلك، لا رادَّ لما قضى، ولا معقب لما حكم، ولا يُسأل عما يفعل، لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ١٢٦﴾؛ أي: علمه نافذ في جميع ذلك، لا تخفى عليه خافية من عباده، ولا يعْزُب عن علمه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا تخفى عليه ذرة لما تراءى للناظرين وما توارى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

غدًا يكون في استسقاء، يوم الاثنين، نسأل الله أن يغيث العباد غيثًا مباركًا، وأن يصلح القلوب والأعمال، وأن يرزقنا وإياكم الاستقامة والثبات على الحق. ومن أسباب الغيث التوبة إلى الله ﷻ، وكثرة الاستغفار، الوصية للجميع التوبة إلى الله ومحاسبة النفس، والاستغفار فإن الله ﷻ هو الغفور الرحيم لمن تاب إليه وأناب إليه، فهو جدير بأن يرحم، ويحسن إليه، نسأل الله أن يمن على الجميع المغفرة والرحمة. وكذلك الصدقة للفقراء والمساكين والإحسان لهم من أسباب، (ارحموا ترحموا، ومن لا يرحم لا يرحم)، فالصدقة للمساكين والإحسان إليهم والاستغفار والتوبة والإنابة كلها من أسباب الرزق، من أسباب الغيث، من أسباب التوفيق، من أسباب الهداية، ومن أسباب الرحمة. غدًا ما في درس، يوم الاثنين ما في درس، الدرس يوم الأربعاء إن شاء الله، نسأل الله للجميع التوفيق.

• **س: أحسن الله إليك! حكم الصيام يوم الاستسقاء، الصيام يوم الاستسقاء؟**

○ **الجواب**: من صامه حسن، أقول: من صام حسن لا أعلم فيه شيء، بعض أهل العلم ينكر الصيام لكن ما أعلم عليه دليل، أقول: ما أعلم عليه دليل..

• **س: هل ورد في الصدقة بمناسبة الاستسقاء نص خاص؟**

○ **الجواب**: لا أتذكر شيء، أقول: ما أتذكر شيء.

❋

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ [النساء: ١٢٧](١).

قال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة، أخبرني أبي عن عائشة: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها قد شَرِكته في ماله، حتى في العَذْق، فيرغب أن ينكحها، ويكره أن يزوِّجها رجلًا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها، فنزلت هذه الآية(٢). وكذلك رواه مسلم، عن أبي كُرَيب، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن أبي أسامة(٣).

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ برقم (٤٦٠٠).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠١٨).

وقال ابن أبي حاتم: قرأت على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، قالت عائشة: ثم إن الناس استفْتَوْا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليهم في الكتاب الآية الأولى التي قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

وبهذا الإسناد، عن عائشة قالت: وقول الله ﷻ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن.

وأصله ثابت في الصحيحين، من طريق يونس بن يزيد الأيْلي، به(١).

والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها، فتارة يرغب في أن يتزوجها، فأمره الله ﷻ أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء، فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء، فقد وسع الله ﷻ. وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة. وتارة لا يكون للرجل فيها رغبة لِدَمَامَتِهَا عنده، أو في نفس الأمر، فنهاه الله ﷻ أن يُعضِلها عن الأزواج خشية أن يَشْركوه في ماله الذي بينه وبينها، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ الآية، فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة، فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك بها لم يقدر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢] برقم (٥٠٦٤).

أحد أن يتَزَوّجها أبدًا، فإن كانت جميلة وهويها تَزَوَّجَها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبدًا حتى تموت، فإذا ماتت ورثها. فَحَرَّم الله ذلك ونهى عنه.

وقال في قوله: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات، وذلك قوله: ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ فنهى الله عن ذلك، وبيَّن لكل ذي سهم سهمه، فقال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] صغيرًا أو كبيرًا.

وكذا قال سعيد بن جبير وغيره، قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحتها واستأثرت بها، كذلك إذا لم تكن ذات جمال ولا مال فأنكحها واستأثر بها.

وقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ على فعل الخيرات وامتثال الأمر وأن الله ﷻ عالم بجميع ذلك، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧][١].

حدّثنا عبيد بن إسماعيل، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] قالت عائشة: «هو الرّجل تكون عنده اليتيمة هو وليّها، ووارثها، فأشركته في ماله حتّى في العذق، فيرغب أن ينكحها، ويكره أن يزوّجها رجلًا فيشركه في ماله بما شركته

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

فيعضلها، فنزلت هذه الآية»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الواجب على الأولياء، الأولياء الواجب عليهم أن يتّقوا الله في اليتامى، وأن يصلحوا في أموالهم وفي تعليمهم وتوجيههم إلى الخير، وإذا كانت يتيمةً فالواجب عليه أيضًا أن يحسن فيها، فإذا أراد أن يتزوّجها فلا بأس برضاها، وإذا كانت لا تناسبه فليس له أن يعضلها؛ بل يجب أن يشرع في تزويجها بالأكْفاء؛ لأنّها في الذّمّة، فليس له حبسها حتّى تموت ليرثها؛ بل يجب أن يزوّجها إذا خطبها كفؤٌ، وينصح في مالها، وعليه أن يتّقي الله في ذلك.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٢٨ ـ ١٣٠][(٢)].

يقول تعالى مخبرًا ومشرعًا عن حال الزوجين: تارة في حال نفور الرجل عن المرأة، وتارة في حال اتفاقه معها، وتارة في حال فراقه لها.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾... إلخ برقم (٤٦٠٠)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠١٨).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ٤ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ وفجر الأربعاء ٧ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

فالحالة الأولى: ما إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها، أو يعرض عنها، فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه، من نفقة أو كسوة، أو مبيت، أو غير ذلك من حقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ أي: من الفراق. وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾؛ أي الصلح عند المُشَاحَّة خير من الفراق؛ ولهذا لما كبرت سودة بنت زَمْعَة عزم رسول الله ﷺ على فراقها، فصالحته على أن يمسكها، وتترك يومها لعائشة، فَقَبِل ذلك منها وأبقاها على ذلك.

ذكر الرواية بذلك:

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا سليمان بن معاذ، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خَشيت سَوْدَة أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا تطلقني واجعل يومي لعائشة. ففعل، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ الآية، قال ابن عباس: فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز.

ورواه الترمذي، عن محمد بن المثنى، عن أبي داود الطيالسي، به. وقال: حسن غريب(١).

وقال الشافعي أخبرنا مسلم، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ توفي عن تسع نسوة، وكان يقسم لثمان.

وفي الصحيحين، من حديث هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كَبِرْت سودةُ بنتُ زَمعة وهبَتْ يومها لعائشة، فكان

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء برقم (٣٠٤٠).

رسول الله ﷺ يقسم لها بيوم سودة[١] وفي صحيح البخاري، من حديث الزهري، عن عروة، عن عائشة، نحوه[٢].

وقال سعيد بن منصور: أنبأنا عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد، عن هشام، عن أبيه عروة قال: أنزل الله تعالى في سودة وأشباهها: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ وذلك أن سودة كانت امرأة قد أَسَنَّتْ، ففزعت أن يفارقها رسولُ الله ﷺ، وضنَّت بمكانها منه، وعرفت من حب رسول الله ﷺ عائشة ومنزلتها منه، فوهبت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، فقبل ذلك النبي ﷺ.

قال البيهقي: وقد رواه أحمد بن يونس: عن ابن أبي الزِّناد موصولًا. وهذه الطريق رواها الحاكم في مستدركه فقال:

حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنها قالت له: يا ابن أختي، كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا، وكان قَلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا، فيدنو من كل امرأة من غير مَسِيس، حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زَمْعة حين أسنَّت وفَرِقت أن يفارقها رسولُ الله ﷺ: يا رسول الله، يومي هذا لعائشة. فَقَبِل ذلك رسولُ الله ﷺ. قالت عائشة: ففي ذلك أنزل الله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ وكذا رواه أبو داود، عن أحمد بن يونس، به. والحاكم في مستدركه: ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه من طريق أبي بلال

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها برقم (٥٢١٢)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها برقم (١٤٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها برقم (٢٥٩٣).

الأشعري، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، به نحوه. ومن رواية عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدي، عن هشام بن عروة، بنحوه مختصرًا، والله أعلم.

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمٰن الدَّغُولي في أول معجمه: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدَّسْتُوائي، حدثنا القاسم بن أبي بَزّة قال: بعث النبي ﷺ إلى سودة بنت زَمْعة بطلاقها، فلما أن أتاها جلست له على طريق عائشة، فلما رأته قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه واصطفاك على خلقه لمَّا راجعتني، فإني قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال، لكن أريد أن أبعث مع نسائك يوم القيامة. فراجعها فقالت: إني جعلت يومي وليلتي لِحبّة رسول الله ﷺ. وهذا غريب مرسل.

وقد قال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ قالت الرجل تكون عنده المرأة، ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل. فنزلت هذه الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ﴾ قالت: هذا في المرأة تكون عند الرجل، فلعله ألا يكون يستكثر منها، ولا يكون لها ولد، ويكون لها صحبة فتقول: لا تطلقني وأنت في حل من شأني.

حدثني المثنى، حدثنا حجاج بن مِنْهال، حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن هشام، عن عروة، عن عائشة في قوله: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ قالت: هو الرجل يكون له المرأتان: إحداهما قد كبرت، أو هي دَمِيمة وهو لا يستكثر منها فتقول: لا تطلقني، وأنت في حل من شأني.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين، من غير وجه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة بنحو ما تقدم، ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

بسم الله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد.

الآية عامة، الآية شأنها عظيم، وهي عامة لما يقع بين الزوجين، فإذا تنازعا فلا بأس بالصلح بينهما، لبقائها، أو طلاقها على عوض، أو بقائها بدون قسم، لأن الآية عامة: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، يعني: الصلح خير من الفراق، وأن تبقى يعطف عليها، ينفق عليها، أو تبقى في عصمته لأنها ترضى بذلك، خير من الفراق، فالصلح خير بينهما إذا تراضيا عليه. ومن ذلك قصة سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما أراد النبي ﷺ أن يطلقها، طلبت منه أن تبقى في عصمته، وأن يكون يومها لعائشة فوافق على ذلك وصارت سُنَّة في المسلمين، ما فعله ﷺ مع سودة أصبح سُنَّة في المسلمين يعملون بها، كما عمل بها عليه الصلاة والسلام، وهكذا لو كان بمعاوضة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيد وابنُ وكيع قال:ا حدثنا جرير، عن أشعث، عن ابن سيرين قال: جاء رجل إلى عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن آية، فكَرِه ذلك وضربه بالدرّة، فسأله آخر عن هذه الآية: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ فقال: عن مثل هذا فسلوا. ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل، قد خلا من سنها، فيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن الهِسِنْجاني، حدثنا مُسَدَّد، حدثنا أبو الأحوص، عن سِمَاك بن حرب، عن خالد بن عَرْعَرَة قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا

أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ قال علي: يكون الرجل عنده المرأة، فتنبو عيناه عنها من دمامتها، أو كبرها، أو سوء خلقها، أو قذذها، فتكره فراقه، فإن وضعت له من مهرها شيئًا حل له، وإن جعلت له من أيامها فلا حرج.

وكذا رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن حماد بن سلمة وأبي الأحوص. ورواه ابن جرير من طريق إسرائيل أربعتهم عن سِمَاك، به وكذا فسرها ابن عباس، وعُبَيدة السَّلْمَاني، ومجاهد بن جَبْر، والشُّعَبِي، وسعيد بن جبَيْر، وعطاء، وعطية العوْفي ومكحول، والحكم بن عتبة، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف والأئمة، ولا أعلم في ذلك خلافًا في أن المراد بهذه الآية هذا، والله أعلم.

وقال الشافعي: أنبأنا ابن عيينة، عن الزهري، عن ابن المسيَّب: أن ابنة محمد بن مَسْلَمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرًا إما كِبَرًا أو غيره فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية.

وقد رواه الحاكم في مستدركه، من طريق عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار بأطول من هذا السياق.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المُزَني، أنبأنا علي بن محمد بن عيسى، حدثنا أبو اليمان، أخبرني شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يَسَار: أن السُّنَّة في هاتين الآيتين اللتين ذكر الله فيهما نشوز المرء وإعراضه عن امرأته في قوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ إلى تمام الآيتين، أن المرء إذا نشز عن امرأته وآثر عليها، فإن من الحق أن يعرض عليها أن يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أثرة في القَسْم من ماله ونفسه، فإن

استقرت عنده على ذلك، وكرهت أن يطلقها، فلا حرج عليه فيما آثر عليها من ذلك، فإن لم يعرض عليها الطلاق، وصالحها على أن يعطيها من ماله ما ترضاه وتقر عنده على الأثرة في القَسْم من ماله ونفسه، صلح له ذلك، وجاز صلحها عليه، كذلك ذكر سعيد بن المسيَّب وسليمان الصُّلحَ الذي قال الله ﷿: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾.

وقد ذكر لي أن رافع بن خُدَيْج الأنصاري وكان من أصحاب النبي ﷺ كانت عنده امرأة حتى إذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة، وآثر عليها الشابة، فناشدته الطلاق فطلقها تطليقة، ثم أمهلها، حتى إذا كادت تحلّ راجعها، ثم عاد فآثر الشابة عليها فناشدته الطلاق فطلقها تطليقة أخرى، ثم أمهلها، حتى إذا كادت تحل راجعها، ثم عاد فآثر الشابة عليها، فناشدته الطلاق فقال لها: ما شئتِ، إنما بقيت لك تطليقة واحدة، فإن شئتِ استقررتِ على ما تَرين من الأثرة، وإن شئت فارقتك، فقالت: لا بل أستقر على الأثرة. فأمسكها على ذلك فكان ذلك صلحهما ولم يرَ رافع عليها إثمًا حين رضيت أن تستقر عنده على الأثرة فيما أثر به عليها.

وهذا رواه بتمامه عبد الرحمٰن بن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، فذكره بطوله، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني التخيير، أن يخير الزوج لها بين الإقامة والفراق، خير من تمادي الزوج على أثرة غيرها عليها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الآية عامة، الصلح خير للجميع، للزوج والزوجة؛ الزوج تبقى معه

أم أولاده وعياله ويلاحظهم على طول العشرة، والمرأة خير لها من الفراق، تترك زوجها وأولادها، قد يأتي زوج لا يرضى بأولادها، على كل حال الصلح خير، إذا تراضوا عليه فهو خير.

الأسئلة:

● **س: إذا قال لزوجته: لك ثلاثة أيام بأن تقبلي الطلاق أو الفراق من أجل ترغيبها في الصلح، وبعد ثلاثة أيام لم ترض؛ هل يقع بهذا القول الطلاق؟**

○ **الجواب**: هذا فيه تفصيل كأن قال: إذا مضت الثلاثة الأيام ولم ترض فأنت طالق يقع، أما إذا هو يخيرها ثم ما بعد طلقها... ما صار شيء يخيرها ثم ينظر في الأمر، ما صار شيء، لكن إذا قال: لك ثلاثة أيام، فإن مضت ثلاثة أيام ولم تختاري البقاء، فأنت طالق، يقع، طلاق معلق.

● **س: هذا الانفصال خاص بالمبيت عندها أم كذلك النفقة؟**

○ **الجواب**: في كل شيء، في النفقة والمبيت وغيرهما.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقَبول الزوج ذلك، خير من المفارقة بالكلية، كما أمسك النبي ﷺ سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على أن تركت يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولم يفارقها؛ بل تركها من جملة نسائه، وفِعله ذلك للتأسَّى به أمته في مشروعية ذلك وجوازه، فهو أفضل في حقه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما كان الوفاق أحب إلى الله من الفراق، قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ بل الطلاق بغيض إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَى. ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جميعًا عن كثير بن عبيد عن محمد بن خالد عن معروف بن واصل عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ**». ثم رواه أبو

داود عن أحمد بن يونس، عن معروف، عن محارب قال: قال رسول الله ﷺ فذكر معناه مرسلًا[١].

الحكم على حديث: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ»:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والحديث صحيح لا بأس به، متصل، هذا الصواب؛ لأن الذي وصله ثقة، والقاعدة إذا اختلف مرسل وواصل، القول قول الواصل؛ لأنه زاد، عنده زيادة ضبطها، والآخر ما ضبطها إذا كان من وصل الحديث ثقة فالقول قوله.

اختيار سودة بقاءها زوجة للرسول وإعطاءها نوبتها لعائشة ودلالة ذلك.

• **س: أحسن الله عملك يعني: قصة سودة؟**

مع النبي ﷺ خاص برسول الله أو هو عام للناس كلهم عنده أربع زوجات تنازلت واحدة لـ. .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

عامة، عامة للأمة كلها، لكن الذي خاص الزيادة عن الأربع، الذي خاص بالنبي ما زاد عن أربع أما الأحكام عامة، فإذا كانت واحدة من أربع، وحب يطلقها وإلا تبقى بدون نفقة، لا بأس به، أو عنده ثنتين أو ثلاث، **المقصود**: إذا اصطلح مع إحدى زوجتيه، أو إحدى الثلاث أو إحدى الأربع، على أنها تبقى بدون قسم، فلا بأس.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! الحديث يجتمع أنه حلال ومبغوض إلى الله.

---

(١) أخرجه أبي داود في كتاب النكاح، باب في كراهية الطلاق برقم (٢١٧٧)، وابن ماجه في كتاب الطلاق برقم (٢٠١٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، قد يكون.. قد يكون مبغوض وهو حلال، بعض الناس ما يشتهي الرز ومبغوض له الرز وإلا مبغوض له الذرة وهو حلال، ما يتنافى..

مداخلة: يا شيخ! الأئمة الكبار مو على أنه مرسل أصح.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: المتقدمون من الأئمة الكبار وغيرهم على أنه مرسل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صرح بأبغض الحلال، سمَّاه حلال، أبغض الحلال، الحلال بعضه بغيض إلى الله وإن كان مباحًا، وبعضه ليس ببغيض.

مداخلة: أقول: على حديث: (أبغض الحلال) قال: الحافظ المنذري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبكل حال، السائل ينبغي له يتحرى في أسئلة الشيء الذي ينفعه ويحتاج إليه، ولا يكون همه السؤال فيما هب ودب؛ لأن هذا يشغله ويضيع عليه الفائدة، ولكن يتحرى في أسئلته الشيء الذي يراه مهمًّا، والحاجة إليه ماسة لنماء فهمه والعلم به..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾؛ أي وإن تتجشَّموا مشقة الصبر على من تكرهون منهن، وتقسموا لهن أسوة أمثالهن، فإن الله عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾؛

أي: لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن حصل القسْم الصوري: ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس، وعُبَيْدة السَّلْمَاني، ومجاهد، والحسن البصري، والضحاك بن مزاحم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا حسين الجُعَفِي، عن زائدة، عن عبد العزيز بن رُفَيع، عن ابن أبي مُلَيكة قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ في عائشة. يعني: أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث حمَّاد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: **«اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ»**، يعني: القلب.

لفظ أبي داود، وهذا إسناد صحيح، لكن قال الترمذي: رواه حماد بن زيد وغير واحد، عن أيوب، عن أبي قلابة مرسلًا قال: وهذا أصح(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل ما.. بين المؤلف وأن المقصود ما يتعلق بالقلوب، فالواجب العدل المستطاع، وأما ما لا يستطاع، فالله جل وعلى يعفو عنه، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ [النساء: ١٢٩]؛ لأن القلوب تختلف بما

---

(١) سبق تخريجه في (٥/ ٢٩).

فيها، فينبعث عن ذلك أشياء أخرى، من الجماع وغيره، فالمحبة والميل إلى بعضهن دون البعض، أمر واقع، لكن المؤمن يجتهد في القسم المستطاع من ناحية الزمان والنفقة ونحو ذلك، وما لا تسطيع يعفو الله عنه. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فهذا فضله وإحسانه ﷺ. ومن ذلك قصة عائشة، فهو يحبها كثيرًا عليه الصلاة والسلام، ولما سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه: «مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟». قَالَ: «**عَائِشَةُ**». قَالَ: «مِنَ الرِّجَالِ؟» قَالَ: «**أَبُوهَا**»(١).

فالمقصود أن نور القلب، لا يكلف بها، ولهذا في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» نعم. ولهذا في حديث عائشة قال: اللهم.. كان يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**»(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾؛ أي: فإذا ملتم إلى واحدة منهم فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾؛ أي: فتبقى هذه الأخرى مُعَلَّقة.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان: معناه لا ذات زوج ولا مطلقة.

مداخلة: يا شيخ حفظك الله! هل يصارحها يصارح المرأة بأنه يحب الأخرى أكثر منها؟

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها برقم (٣٨٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء برقم (٢١٣٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم يصارحها، لا بأس يصارحها، أو يفارقها على حسب الصلح، إما أن يعدل، وإما أن يطلق، فإن اصطلحا ورضيت بعدم العدل، لا بأس، كأن تبقى عنده يدخل عليها وينفق عليها، لكن لا يقسم لها ليلة، الليل كله للجديدة، لا بأس، أو يقسم لها ليلة والجديدة ليلتين أو أكثر، أو في الشهر مرة، المقصود: يصطلحا على شيء، لا بأس.

مداخلة: ولكن إذا أحست بأنه غير عادل يصارحها كذا يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إي نعم تقول له: إما اعدل وإلا طلق، ويجب عليه العدل أو الطلاق، فإن اصطلحوا فلا بأس.

مداخلة: أحسن الله إليك! هذا الأثر متصل وإلا مرسل؟

الشيخ: نعم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مرسل عن سعيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو داود الطيالسي: أنبأنا هَمَّام، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نَهِيك، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**».

وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن، من حديث همَّام بن يحيى، عن قتادة، به. وقال الترمذي: إنما أسنده همَّام، ورواه هشام الدستوائي عن قتادة ـ قال: «كان يقال». ولا نعرف هذا الحديث مرفوعًا إلا من حديث همَّام[١].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء برقم (٢١٣٣)، والترمذي في النكاح، باب ما جاء في التسوية برقم (١١٥٠)، والنسائي في عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه (٧/ ٦٣)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء برقم (١٩٦٩)، والإمام أحمد (٢/ ٣٤٧).

وقوله: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾؛ أي: وإن أصلحتم في أموركم، وقسمتم بالعدل فيما تملكون، واتقيتم الله في جميع الأحوال، غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ وهذه هي الحالة الثالثة، وهي حالة الفراق، وقد أخبر تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾؛ أي: واسع الفضل عظيم المن، حكيمًا في جميع أفعاله وأقداره وشرعه.

* *

◻ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ [النساء: ١٢٨][(١)].

قال ابن عباسٍ: ﴿شِقَاقَ﴾ [النساء: ٣٥]: تفاسدٌ، ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨] قال: هواه في الشيء يحرص عليه، ﴿كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩]: لا هي أيمٌ، ولا ذات زوجٍ، ﴿نُشُوزًا﴾: بغضًا.

حدّثنا محمد بن مقاتلٍ، أخبرنا عبد الله، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ قَالَت: «الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَتَقُولُ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ»[(٢)].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على صحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ برقم (٤٦٠١)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠٢١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن هَذَا قِصَّة سَودَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لما أَرَادَ أنْ يطَلِّقَها قالتْ: أنتَ فِي حلٍّ منِّي وأجعلُ يومِي لعَائِشَةَ، فلمْ يطلِّقْهَا، وأَبْقَاهَا وَلَمْ يقْسِم لَهَا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّم[١].

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، **وقال تعالى:** ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨][٢].

هذه الآيات الكريمات تتعلق بشرعية الإصلاح بين الناس، والحرص على إزالة النزاع وأسباب الشحناء بين الإخوان، يقول الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. فنجوى الناس وكلامهم لا خير في كثير منه إلا إذا كان في هذا الأمر، إذا كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، في الدعوة إلى الخير، هذا هو الذي ينفعه، ومن ذلك الأمر بالصدقة؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

الأمر بالصدقة والأمر بالمعروف، قد دعا إلى خير، قد أرشد إلى خير، وهكذا من أمر بالإصلاح بين الناس، أو سعى في الإصلاح بين الناس، فقد أرشد إلى الخير، فينبغي للمؤمن وهكذا المؤمنة ينبغي للجميع أن تكون أوقاتهما محفوظة مصونة عما يضرهما، وعما يضر

---

(١) وقال سماحتُه رَحِمَهُ اللَّهُ في القراءةِ الأولَى: مِثلُ مَا جَرَى لسَودةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لما أرادَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فراقَها جعلتْهُ في حلٍّ؛ وأمسَكَها عليه الصلاة والسلام، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

(٢) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٥٠٣).

غيرهما، ولا سيما هذا اللسان خطره عظيم، هذا اللسان خطره عظيم، الواجب أن يحذر منه وأن يصان وأن يكون الكلام فيما ينفعك في دينك ودنياك ولا يضرك، وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١] قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠].

كل هذا فيه الحث على الإصلاح بين الإخوان، والأسر وجماعة المسلمين؛ لأن الصلح يجمع القلوب ويحصل به التعاون على الخير، وتزول معه الوحشة والشحناء، أما الحكم والإلزام فقد يحصل به وحشة بين الناس، وقد يزعم أنه مظلوم وأن هذا ظلمه فتحصل بذلك وحشة بين الناس، لكن متى صلحوا وتسامحوا فيما بينهم ويسَّر الله لهم من يتوسط في الإصلاح صار هذا أقرب إلى السلامة، وإلى أُلفة القلوب، وإلى السلامة من الشحناء.

ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: **«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ»**(١)؛ يعني: كل مفصل من المفاصل لابن آدم عليه صدقة بأن يطلب منه أن يتصدق على هذا المفصل شكرًا لله على نعمته ﷻ، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكثر الصدقات ويعمل المعروف، شكرًا لله على ما أعطاه من نعمة المفاصل التي يتصرف بها، يقوم ويجلس ويتمدد.

تقول عائشة ﵂ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إن الله خَلَقَ كُلُّ إنْسان مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وثَلاثمائة مفْصَل، فمن كَبَّرَ الله وحَمِدَ الله وهَلَّلَ الله وَاسْتَغْفَرَ اللهَ وعَزَل حَجَرًا عَنْ طَرِيقْ النَّاس أَوْ شَوْكَةً،**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁. أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم برقم (٢٧٠٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٩).

أَوَ عَظمًا عَن طريق النَّاس أَوَ أَمر بمَعْروفٍ، أو فَهْي عَنْ مُنكَر، عَدَد تلك السِّتِّينَ والثَّلاثمائة فَإِنَّهُ يُمْسِي يومَئِذٍ وَقَدْ زَحزَحَ نفسه عَنِ النَّارِ»[(١)]، فالمؤمن يجتهد في شكر الله على ما أنعم به عليه، ولهذا يقول ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْم تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ**»؛ يعني: تصلح بينهما هذه صدقة، «**وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»[(٢)]، مثل الدابة السيارة تعين على تحميل سيارته على التنزيل منها، على إصلاحها على غير ذلك، والكلمة الطيبة صدقةٌ، قلت: يا أخي اتق الله اذكر الله كيف حالك كيف أنت، عافاك الله، كلمة طيبة تكون صدقة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل معروف صدقة**»، وهكذا تميط الأذى عن الطريق صدقة، تؤديها عما أنعم الله به عليك، خطواتك إلى الصلاة، أو إلى عيادة المرضى، أو إلى أمر شرعه الله صدقة، فاحتسب ذلك واجعل هذا على بالك، حتى تكتسب أنواعًا من الخيرات، وأنواعًا من الحسنات، في ذهابك من بيتك ورجوعك إليه، في ذهابك إلى المسجد ورجوعك منه، إلى غير هذا مما تذهب إليه.

فالمؤمن هكذا يكون حريصًا على حفظ وقته، وعلى عمارته بالخيرات والحسنات، والأعمال الصالحات أينما كان. كذلك حديث عائشة رضي الله عنها: سَمِعَ رسولُ الله ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالبَابِ عَاليةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَر وَيَسْتَرْفِقُهُ في شَيءٍ. ويقول له: سامحني كذا وكذا وَهُوَ يَقُولُ: والله لا أَفعَلُ، فَخَرجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٧).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم برقم (٢٧٠٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٩).

«أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟»[١].

مقصوده عليه الصلاة والسلام الحث على فعل الخير، وأن يكون المؤمن لينًا مع أخيه في الخصومة، لينًا حتى يتسامح مع أخيه، ويستمع لأخيه وتزول الشحناء، فقال الرجل: أنا يا رسول الله، وله كذا وكذا أيَّ ذلك أراد، فأصلح بينهم، عليه الصلاة والسلام وأزال الله به تلك النعرة والوحشة التي بينهما، هكذا يكون المؤمن حريصًا على الإصلاح بين إخوانه بالكلام الطيب والأسلوب الحسن.

كذلك حديث أمِّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة بن أَبِي مُعَيط تقول ﵂، قَالَتْ: إنها سمِعت النبي ﷺ، يَقُولُ: **«لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»** لا يسمَّى هذا كذابًا، بل هذا مصلح يتوسط بين الناس يصلح بينهم فيقول خيرًا وينمي خيرًا، هذا يعتبر مجاهدًا يعتبر نافعًا للعباد، يأتي هؤلاء ويقول لهم خيرًا ويأتي هؤلاء فيقول لهم خيرًا، وينقل عن هؤلاء خيرًا وعن هؤلاء خيرًا، حتى يصطلحوا لا يسمَّى كذابًا.

قبيلتين أو أُسرتين بينهما نزاع فتوسط بينهما فجاء الأسرة الأولى وقال لها كذا وكذا، إخوانكم يحبون لكم الخير، يثنون عليكم عندهم رغبة في الإصلاح، ثم يذهب للآخر ويقول لهم كذلك إخوانكم يثنون عليكم ويدعون لكم، رغبوا في الإصلاح حتى يصلح بينهم ولو ما وصّوه، لكن لأجل التقريب؛ تقريب الوجوه تقريب القلوب، ثم يصلح بينهم على أساسها لا يسمى كذابًا هذا مصلح؛ لأنه أتى بشيء لا يضرهم بل ينفعهم ولا يضر أحدًا غيرهم، بل نقل عن هؤلاء كلامًا طيبًا، ونقل عن هؤلاء كلامًا طيبًا، حتى لانت القلوب وتقاربت واصطلحوا، قالت ﵂: **«وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب هل يشير الإمام بالصلاة برقم (٢٧٠٥)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب وضع الجوائح برقم (٥٧).

ثَلَاثٍ: الحَرْبُ، وَالإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا»[١].

هذه الثلاث أباح فيها الكذب عليه الصلاة والسلام للمصلحة، الحرب قد يكذب في الحرب كذبًا ليس فيه نقض العهد وليس فيه خيانة ولا غدر، لكن فيه مصلحة للمسلمين حتى يتمكن من جهاد العدو فيقول مثلًا إذا رأوا المصلحة يقول للجنود متوجهون غدًا إلى كذا وكذا إنا قافلون اليوم حتى ينظر ماذا عند العدو لعلَّه يخرج إن كان متحصنًا، لعله يقبل الصلح إلى غير ذلك، وربما قال مثلًا: ارحلوا حتى يتظاهر القوم أنهم راحلون حتى ينظر ماذا عند العدو، قد يقول نحن متوجهون إلى جهة الشمال ولكنه ينوي الجنوب، تظاهر أنه قال: نتوجه إلى جهة الشمال حتى يبغت العدو حتى يهجم عليه على غرة، فالحرب خدعة، فالكذب الذي يباح في الحرب ما لم يتضمن نقض عهد ولا غدرًا، ولكن شيء يتضمن المصلحة، فيه مصلحة للمسلمين وتمكينهم من جهة عدوهم والهجوم عليه على غرة، إذا كان قد دُعي ونبه وطلب منه الخير فأبى، وهكذا ما يتعلق بالإصلاح بين الناس كما تقدم، إخوان أو قبيلتان أو أسرتان بينهما شيء فيتوسط بينهما إنسان وينقل كلامًا طيبًا ما قال فلان ولا وصّوه به، لكن هو الذي قال الكلام الطيب ليصلح بينهم من هذا إلى هذا حتى تقاربت القلوب ولانت وقبلوا الصلح.

هكذا المسألة الثالثة ما بين الزوجين قد يكون بين الزوجين نزاع، فإذا كذب عليها أو كذبت عليه إذا تعلق بهما زال النزاع وصفت القلوب، وهذا يتعلق بهما، كذب يختص بهما، فيقول لها مثلًا: أنا سوف أعمل

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أم كلثوم بنت عطية في كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه برقم (٢٦٠٥). وأخرج البخاري أوله في كتاب الصلح، باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس برقم (٢٦٩٢).

كذا، سوف أشتري فلة مناسبة إذا كانت تطلب فلة سوف أنتقل إلى شقة مناسبة ولو كان ما عزم على هذا، لكن لقطع النزاع سوف أشتري لك كذا وكذا، أمهليني وأنا أشتري كذا وأشتري كذا وأشتري كذا وأبشري بالخير، حتى تهدأ، أو تقول له كذلك إذا رأت منه شدة، أنا سأخرج من بيتي، ولا أذهب إلى كذا وسوف أفعل كذا، وسوف أنفذ ما قلت وسوف وسوف، وإن كان في نفسها أنها لا تنفذ بعض الشيء، لكن لأجل كسب رضاه وإزالة الشحناء، هذا جائز بين الزوجين ولو كذبا في شيء من ذلك كذبًا يخصهما، ولا يضرُّ أحدًا غيرهما، بل كذبًا فيما بينهما وفيهما يخصهما هذا من باب الإصلاح بينهما، فكم من كذبةٍ على الزوجة أو كذبةٍ من الزوجة على الزوج أصلح الله به الحال دهرًا طويلًا.

❊

□ **قوله تعالى:** ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨][(١)].

هذا على ظاهر القرآن، الأنفس من صفتها الشح والبخل إلا من رحم الله، فالواجب على المؤمن أن يتقي ذلك ويحذر الشح والبخل ويعتاد الجود والسخاء وعدم البخل والشح، يقول النبي ﷺ: «**اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[(٢)]. والله يقول ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]. من صفات العباد الشح والبخل إلا من عصم الله، إلا من رحم الله، والشح

(١) من فتاوى نور على الدرب (٤/ ١٤٥).
(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٨)، وأحمد (٢/ ١٠٥، ١٩١، ١٩٥، ٣/ ٣٢٣).

الحرص على المال بكل وسيلة من حلال وحرام، ثم إذا وجده بخل به، فالشحيح حريص على طلب المال بكل طريق ثم إذا وجده بخل به أيضًا، والشح شره عظيم، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول النبي ﷺ: «**إياكم والظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(١).

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٣١ ـ ١٣٤](٢).

يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض، وأنه الحاكم فيهما؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: وصَّيناكم بما وصيناهم به، من تقوى الله ﷻ، بعبادته وحده لا شريك له.

ثم قال: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾، كما قال تعالى إخبارًا عن موسى أنه قال لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، وقال:

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه (٣/ ٣٢٣).
(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ٧ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [التغابن: ٦]؛ أي: غني عن عباده، ﴿حَمِيدٌ﴾؛ أي: محمود في جميع ما يقدره ويشرعه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال سبحانه: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧]، فالواجب على الجميع تقوى الله، فهي وصية الله للجميع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ووصيته لهم جميعًا أن يعبدوه ويتقوه، في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، وهي طريق النجاة وطريق الفرج، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣ ـ ٤].

فالواجب على الجميع تقوى الله، وهي أداء فرائضه وترك محارمه، والوقوف عند حدوده عن إخلاص وصدق ورغبة في ما عنده، هذه تقوى سبحانه وتعالى، فهي سبب كل خير، وهي أيضًا سبب السلامة من كل شر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣ ـ ٤]، ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فالله ﷻ علق الخير كله بالتقوى، خير الدنيا والآخرة. فعلى المؤمن أن يصدق في ذلك، وعلى المؤمنة كذلك، في تقوى الله، وبذلك يحصل تفريج

الكروب وتيسير الأمور، وحُسن المطالب العالية، والسلامة من كل شر، في الدنيا والآخرة، والإنسان قد يُمتحن ثم تكون له العاقبة، كما جرى على الرسل، فالعبد يتق ربه ويجتهد، والله ﷻ يجعل له العاقبة الحميدة، وإن جرى عليه أشياء، وإن أصابه مرض، وإن أصابته شدة، وإن أصابته جراح، وإن أصابه خير له، لكن له العاقبة الحميدة، ﴿فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، العاقبة العظيمة الصالحة الحسنة، للمتقين في الدنيا والآخرة، وإن جرى عليه ما جرى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾؛ أي: هو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب الشهيد على كل شيء.

وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾؛ أي: هو القادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيتموه، وكما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]. وقال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره![1]، وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠]؛ أي: ما هو عليه بممتنع.

وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ﴾؛ أي: يا من ليس هَمُّه إلا الدنيا، اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، وإذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأقناك، كما قال تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

---

(١) قال سماحته: لا حول ولا قوة إلا بالله. نعم هذه ما التعجيبية واقفة بين التعجب الله أكبر.

[البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن الله ﷻ عنده خير الدنيا والآخرة، فلتكن الهمة عالية، لا تكون همتك قاصرة للدنيا، اعلم أن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة، فلتكن همة عالية، واستقيم على أمر الله، وجاهد في سبيل الله، حتى يحصل لك ثواب الدنيا والآخرة جميعًا، ولا يغلبك هواك، وشهوتك العاجلة، وطاعة الشيطان، حتى لا يكون همك إلا العاجلة، وثواب العاجلة، كما هو حال الأكثرين، حال الأكثرين ليس همهم إلا العاجلة، والله عنده ثواب الدنيا والآخرة، فالحزم والرغبة الصادقة، والكَيس أن تكون طالبًا لهذا وهذا، لأمر الدنيا والآخرة، تطلب الآخرة، ولا تنسى حظك من الدنيا، فعند الله الأمران، عنده هذا وهذا، فعليك بالكَيس واطلب الرزق في الدنيا الطيب الحلال، واطلب أيضًا السعادة والنجاة في الآخرة، واعمل لهذا وهذا، لا تضعف ولا تكسل ولا ترضى بالحظ العاجل، والدنيا العاجلة، ولتكن همتك عالية، وإيمانك قوي، حتى تطلب هذا وهذا، تطلب الدنيا والآخرة، وتعمل لهذا وهذا، تعمل للآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، كما قال قوم موسى.. قال الله لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد زعم ابن جرير أن المعنى في هذه الآية: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: من المنافقين الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو ما حصل لهم من المغانم وغيرها مع المسلمين. وقوله: ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾؛ أي: وعند الله ثواب الآخرة، وهو ما ادخره لهم من العقوبة في نار جهنم. وجعلها كقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر، وأما تفسيره الآية الأولى بهذا ففيه نظر؛ فإن قوله: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ ظاهر في حضور الخير في الدنيا والآخرة؛ أي: بيده هذا وهذا، فلا يقْتَصِرَنَّ قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط؛ بل لتكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة، فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع، وهو الله الذي لا إله إلا هو، الذي قد قسم السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة بين الناس، وعدل بينهم فيما علمه فيهم، ممن يستحق هذا، وممن يستحق هذا؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ **[النساء: ١٣٥]**(١).

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوَّامين بالقسط، أي بالعدل،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ١١ - ٧ - ١٤١٦.

فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه.

وقوله: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الطلاق: ٢]؛ أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًّا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سُئِلت عن الأمر فقل الحق فيه، وإن كان مَضرة عليك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: اشهدوا شهادة الحق، اشهدوا الحق يعني: شهادة الحق، والمعنى: اشهدوا بالحق على الصغير والكبير والغني والفقير والأب والأم وغير ذلك.

المقصود من هذه الآية العظيمة: أمر العباد بالتواخي والتعاون والتواصي بالحق وعدم الجور والظلم والحيف والهوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. وكذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولَّاه الله أمركم**»، وفي الآية الكريمة: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فالواجب على المسلمين جميعًا أينما كانوا التعاون على البر والتقوى، والقيام بالقسط،.. القيام بالعدل، والتناصح تحقيقًا لقوله ﷻ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كانوا خير أمة لماذا؟ لما

بينهم من التناصح والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا الواجب يجب أن يحقق ويجب أن يحصل فيه التعاون والتواصي؛ لأنه واجب عظيم، والنفوس أمارة بالسوء، والشيطان يدعو إلى الباطل والإنسان قد يميل إلى هواه وإلى قريبه وإلى صديقه فلا بد من التعاون بصدق والتواصي لمحاربة الهوى والشيطان ونواب الشيطان.

فمتى توافرت هذه الخصال الحميدة في الأمة تمت لها السعادة ونصرها الله على عدوها ومكن لها في الأرض، ومتى ظلمت وجارت وتعدَّت الحدود، تعرضت لغضب الله وعقابه وتعرضت للفتن والملاحم والشرور الكثيرة، والله ﷻ حسيب عليم قد يمهل، وقد تظهر هذه الشرور في جهة من الجهات، أو في أمة من الأمم ويمهلها كما قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، قبلها: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإملاء الله كونه يقيم على الظلم والشر والفساد ويغتر بإملاء الله له، لا. أحذر قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قد يملى للظالم فيموت بظلمه أن تعجل له العقوبة فتكون له العقوبة في الآخرة أشد، ولكن العاقل الفاهم البصير يحاسب نفسه عند القليل والكثير، ويقف عند حدود الله، ويؤثر مراضي الله على هوى نفسه وعلى هوى غيره، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾. فلا تظلم؛ لأنه فقير ولا تعدل عن الحق؛ لأنه عدو. بل عليك بالقسط والعدل مع العدو ومع الفقير ومع الغني والكبير، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، كما في آية الأنعام.

مداخلة: أحسن الله إليك! المنافقين هل....

الشيخ: نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك، فلا تُراعهم فيها؛ بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد.

وقوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾؛ أي: لا ترعاه لغناه، ولا تشفق عليه لفقره، الله يتولاهما؛ بل هو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما.

وقوله ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾؛ أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغْضَة الناس إليكم، على ترك العدل في أموركم وشؤونكم؛ بل الزموا العدل على أي حال كان، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ومن هذا القبيل قول عبد الله بن رواحة، لما بعثه النبي ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، فأرادوا أن يُرْشُوه ليرفق بهم، فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حُبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم. فقالوا: «بهذا قامت السماوات والأرض». وسيأتي الحديث مسندًا في سورة المائدة، إن شاء الله تعالى(١).

وقوله: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف: ﴿تَلْوُۥٓا۟﴾؛ أي: تحرفوا الشهادة وتغيروها، «واللَّي» هو: التحريف وتعمد الكذب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

العجب العجاب أنهم يعرفون العدل ويعرفون الظلم ثم يصرُّون على الظلم ويصرون على الحسد والبغي والكفر بالله ورسوله على بصيرة، هذا

---

(١) الآية (٨).

هو البلاء العظيم أعوذ بالله. هؤلاء اليهود مع علمهم بأنهم على باطل يصرون ويقولون: بالعدل قامت السماوات والأرض وهم يخالفون العدل، ويجورون ويتعدّون على المسلمين ويكفرون بما جاء به نبيهم، هذا هو العجب العجاب كيف طبع الله على هذه القلوب حتى مالت عن الهدى وصارت إلى الباطل عن بصيرة وعن هوى وعن عمد، لا عن جهل بل عن عمد، وهذا هو البلاء العظيم نسأل الله العافية. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨]. و«الإعراض» هو: كتمان الشهادة وتركها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة:٢٨٣] وقال النبيُّ ﷺ: «**خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها**». ولهذا توعدهم الله بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]؛ أي: وسيجازيكم بذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر الله أكبر.

● **س: هذه من علامات الساعة: (قوم يشهدون ولا يستشهدون، وهذا: يأتي بها قبل أن يسألها).**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: جاء في الحديث هنا: (يأتيها قبل أن يسألها)؟

○ **الجواب**: نعم، هذا عند الحاجة إليها، عند الحاجة إليها، أما: (يشهدون ولا يستشهدون)، هذا لقلة مبالاتهم بالشهادة، وتعمُّدهم الزور ولا يبالون، فمذمومون. أما هذا الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها عند الحاجة إليها لا تساهلًا منه ولكن لإسعافه مما عنده من الشهادة، وعدم

كتمانه إياها، بل يأتي بها قبل أن يسألها عند الحاجة إلى ذلك لجهلهم بها، أو نسيانهم إياها فيأتي بها ويقول: عندي لكم شهادة، وهو صادق..

● **س: أحسن الله عملك يا شيخ! إذا امتنع من الشهادة، إذا مثلاً طلب أن يشهد منه ثم امتنع قال: ما أريد أن أشهد لما يلاقيه من التعب من الشرطة إلى القضاء إلى كذا...؟**

○ **الجواب**: لا ما يجوز له. يجب عليه أن يؤدي الشهادة، ولا يجوز له التساهل بها، إذا كان عاجز يطلب منهم سيارة يحملونه، بعير حمار... يحمله إذا دعت الحاجة إلى حملانه يقول: هاتوا لي مركوب يصل البعيد.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦](١).

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشُعَبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل؛ بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه. كما يقول المؤمن في كل صلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: بَصِّرنا فيه، وزدنا هدى، وثبتنا عليه. فأمرهم بالإيمان به وبرسوله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقوله: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، يعني: القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجر الأحد ١١ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال في القرآن: ﴿نَزَّلَ﴾؛ لأنه نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع، بحسب ما يحتاج إليه العباد إليه في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، يعني: استكملوا الإيمان واثبتوا عليه، ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، يعني: إيمانًا كاملًا شاملًا بكل ما أخبر الله به ورسوله وبكل ما نهى الله عن ورسوله واثبتوا عليه والزموه.

الملقي: كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

الأسئلة:

● **س: مدى صحة الحديث الذي ذكره المؤلف. خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة، الجواب صحيح؟ رواه مسلم.**

في الصحيحين، قال: «**ألا أنبأكم بخير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسأل**» أخرجه مسلم في الصحيحين من حديث زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

● **س: طريق المؤلف بين أنزل ونزل فهل القرآن....؟**

○ **الجواب**: هذا ذكره العلماء (تنزيل الكتاب من السماء) يعني: شيء بعد شيء، تنزيل بعد شيء، وجاء في القرآن أيضًا (أنزل). أقول: جاء في القرآن أيضًا (أنزل القرآن) جاء هذا وهذا.

● **س: رجل مات أبوه والأب تارك للصلاة والميراث يقسم بين الورثة الآن. يقول: هل يعني آخذ نصيبي من التركة أم كيف أتصرف فيه؟**

○ **الجواب**: إذا أخذه لا بأس إن شاء الله، الخلاف مشهور، إن كان لا يجحد وجوبها الخلاف مشهور في هذا، إذا كان لا يجحد وجوبها وإن تركها ولو احتياطًا وإخوانه مثله، مثل إخوانه؟

مداخلة: إخوانه يصلون..

الشيخ: كلهم يصلون، كل أخوانه طيبين؟

مداخلة: نعم. لكن الأب بس كونه ما يصلي؟

الشيخ: لا ما يخالف يأخذ منهم كونه لم... أقول: يأخذ منه خير له ما دام مثله يقسم بينهم والحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾؛ أي: فقد خرج عن طريق الهدى، وبعد عن القصد كل البعد.

* *

❏ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٣٧ ـ ١٤٠][(١)].

يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه، ثم عاد فيه ثم رجع، واستمر على ضلاله وازداد حتى مات، فإنه لا توبة بعد موته، ولا يغفر الله له، ولا يجعل له مما هو فيه فرجًا ولا مخرجًا، ولا طريقًا إلى الهدى؛ ولهذا قال: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجرالأربعاء ١٤ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جُمَيع، عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ قال: تَمَّمُوا على كفرهم حتى ماتوا. وكذا قال مجاهد.

وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى، عن عامر الشَّعْبي، عن علي رضي الله عنه، أنه قال: يستتاب المرتد، ثلاثًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾.

ثم قال: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾، يعني: أن المنافقين من هذه الصفة فإنهم آمنوا ثم كفروا، فطبع على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزئون. أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة. قال الله تعالى منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللَّهم صلِّ على محمد. والآية الكريمة فيها الوعيد والتحذير من الردة بعد الردة، وأن صاحبها على خطر؛ لأن لا يُغفر له ولا يهدى إلى السبيل، أما إذا مات على ذلك فانتهى أمره، إذا مات على شركه وكُفره هذا قد انتهى الأمر فيه، ولا يقال له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. أما ما دام في الحياة فإنه من باب الوعيد، قد يمن الله عليه بالتوبة، وقد يهدى، وهو من باب التحذير كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. يعني إن، إن استمر على هذا الحال، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم أخبر تعالى بأن العزة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له. كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا: العزة له، العزة لله سبحانه كلها، لله جميعًا، ولكنه سبحانه يعز أولياءه وأهل طاعته ورسله، فمن عزته إعزازه لرسله وأوليائه، ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. فإعزازه لرسله وأنبيائه والمؤمنين من العزة التي هي وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لقوته وقدرته وعزته يعز من يشاء ويذل من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بيده الأمر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

ويُنَاسبُ أن يُذْكَرَ هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدثنا حسين بن محمد، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حُمَيْد الكندي، عن عبادة بن نُسَيٍّ، عن أبي ريحانة أن النبي ﷺ قال: «**من انتسب إلى تسعة آباء كفار، يريد بهم عزًّا وفخرًا، فهو عاشرهم في النار**».

تفرد به أحمد، وأبو ريحانة هذا هو أزدي، ويقال: أنصاري. اسمه شمعون بالمعجمة، فيما قاله البخاري، وقال غيره: بالمهملة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ﴾؛ أي: إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه. فلهذا قال

تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾؛ أي في المأثم، كما جاء في الحديث: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخَمْر»**(١).

والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك، هو قوله تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، قال مقاتل بن حيان: نَسَخَت هذه الآية التي في الأنعام. يعني نُسخَ قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ لقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هذه آية ما يسمِّيه بنسخ بعض السلف ليس فيه نسخ، إنما هو إيضاح وبيان. والمقصود أن الله ﷻ حذَّر عباده من أن يجلسوا مع الظَّلَمة والمستهزئين بكتاب الله وسُنَّة رسوله وأنه متى ظهر منهم ذلك فارقهم، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾. المقصود أن الواجب على المؤمن الحذر من مجالسة الأعداء، الذين يتظاهرون بسبِّ الله أو بالاستهزاء بآيات الله، أو يخوضون في الباطل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. هذا في الأنعام وفي النساء ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، يعني إذا جالستهم وهم يخوضون ولم ينكروا عليهم فهم مثلهم، معناه أنهم أقروهم على الباطل، نسأل الله العافية.

الأسئلة:

- **س: أحسن الله إليك! هذا عام في المعاصي؟ هذا عام في مجالسة أهل المعاصي أما الذين يخوضون؟**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٤).

○ **الجواب**: ليس له أن يجالس أهل المعاصي، لكن الكفر أشد، أقول الكفر أشد، والذي يجالس مجالس المعاصي كذلك، إما ينكر وإما أن يفارق.

● **س: أحسن الله إليك! من جلس في مكان وموجود فيه زمر وطرب وسكت على هذا؟.**

الشيخ: نعم؟.

مداخلة: أقول مجلس فيه زمر وطرب.

○ **الجواب**: المقصود كل مجلس فيه منكر إما ينكر وإما أن يقوم، إنسان ما يستطيع يقوم، وإن كان يستطيع ينكر، ولذلك قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» رواه مسلم(١).

وحديث ابن مسعود: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(٢).

الحاصل أن الواجب الإنكار إن قدر وإلا وجب الفراق.

مداخلة: أحسن الله إليك! لو كان محتاج للجلوس مثل السكن في الفنادق؟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... برقم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم (٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينتقل، إذا كان بحاجة للسكن في هؤلاء ينتقل عنهم، يلتمس، ما ضيَّق الله الأرض.

● **س: يا شيخ! بعض الناس يجلسون يقولون يا شيخ! من أجل تأليف القلوب؟**

○ **الجواب**: هذا التأليف بالإنكار، لو كان جلس وأنكر ثم هداهم الله بيده طيب، أما يجلس وهم لا يبالون به فلا.

القول بنسخ الآية: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾.

● **س: القول بالنسخ أحسن الله إليك؟!**

○ **الجواب**: ما له محل النسخ، الآيات متفقة، أقول: الآيات متفقة ما في محل للنسخ، فقط إيضاح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾؛ أي: كما أشركوهم في الكفر، كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال، والقيود والأغلال. وشراب الحميم والغِسْلين لا الزّلال.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١][(١)].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الأحد ١٨ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ، وفجر الأربعاء ٢١ ـ ٧ ـ ١٤١٦هـ.

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، بمعنى ينتظرون زوال دولتهم، وظهور الكفر عليهم، وذهاب ملَّتهم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: نصر وتأييد وظَفَر وغنيمة ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؟ أي: يتودَّدون إلى المؤمنين بهذه المقالة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ أي: إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان، كما وقع يوم أُحد، فإنّ الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ساعدناكم في الباطن، وما ألوناهم خبالًا وتخذيلًا حتى انتصرتم عليهم.

وقال السدي: ﴿نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ نغلب عليكم، كقوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩] وهذا أيضًا تودد منهم إليهم، فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء؛ ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وقلة إيقانهم.

الأسئلة:

السفر:

● **س: من يذهب إلى الخارج بحجة الدعوة؟ يدعو.. في أماكن للخمر والبارات يوجد فيها ناس من المسلمين ومن الكفرة؟ هل يبقى معهم في هذه الأماكن ويدعوهم؟**

○ **الجواب:** وقت الدعوة فقط.

● **س: معنى قول الحافظ: (طلب العزة من جناب الله ﷻ؟)**

○ **الجواب:** المعنى منه، المعنى من الله.. من جهة الله ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: بما يعلمه منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة، فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهرًا في الحياة الدنيا، لما له تعالى في ذلك من

الحكمة، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم؛ بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويُحَصَّل ما في الصدور.

وقوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري، عن الأعمش، عن ذَرّ، عن يُسَيْع الكندي قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فقال: كيف هذه الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾؟ فقال علي رضي الله عنه: ادْنُه ادنه، ثم قال: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[(١)].

وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ قال: ذاك يوم القيامة. وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي: يعني يوم القيامة. وقال السدي: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾؛ أي: حجة.

ويحتمل أن يكون المراد: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾؛ أي: في الدنيا، بأن يُسَلَّطُوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]. وعلى هذا فيكون ردًّا على المنافقين فيما أملوه وتربصوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين، خوفًا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، تفسير سورة النساء برقم (٣٢٤٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٦٤٧).

وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قولي العلماء، وهو المنع من بيع العبد المسلم من الكافر لما في صحة ابتياعه من التسليط له عليه والإذلال، ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والخلاصة أن الآية قال بعض أهل العلم: المراد يوم القيامة، (الله يحكم يوم القيامة ولن يجعل الله ـ يعني: يوم القيامة ـ) والكفار حجتهم داحضة وإلى النار، والمسلمون إلى الجنة. والقول الثاني: أنها عامة، في الدنيا والآخرة، وأن الله ﷻ ينصر أولياءه ويعزهم ولا يجعل للكافرين عليهم سبيلًا، يعني: سبيلًا استئصاليًّا، وإن كان قد ينال منهم العدو لكن لا يجعل سبيل يتضمن استئصالهم والقضاء عليهم فالعاقبة للمتقين؛ كما قال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، لكن هذا لا يمنع أن تكون بعض الأحيان لهم الدائرة لأسباب تقع من المسلمين من معاصي وعدم إعداد القوة وغير هذا من الأسباب، كما جرى يوم أُحد، وكما جرى لبعض الأنبياء قتلوا.

فالحاصل: أن هذا هو القول وهو: العموم وجيه ولا مانع منه، لكن بالنظر إلى العواقب، أما قد ينالوا من المسلمين وقد ينصرون عليهم قد يقع هذا ابتلاءً وامتحانًا بأسباب تقع من المسلمين وتفريطًا من المسلمين، قد يدال عليهم العدل، ثم تكون العاقبة لأهل التقوى.

الأسئلة:

حكم بيع العبد المسلم على الكافر:

مداخلة: كيف يؤمر بإزالة ملكه؟

● **س: يقول: إذا بيع، من قال بالجواز يؤمر بإزالة ملكه؟**

○ **الجواب**: في هذا أنه قالها هو، **الصواب**: أنه لا يجب بيع المسلم على الكافر، **الصواب**: لا يجوز بيع العبد المسلم على الكافر؛ لأنه وسيلة إلى إذلاله وظلمه وردته.

مداخلة: إذا بيع على الكافر، الكافر ما يلتزم حتى يزيل ملكه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

لا، لا، ما هو بعلى هواه، قد يكون تحت سلطان يلزمه لكن ليس على الهوى، قد لا يتيسر، قد يسافر به، قد يشرد به.

● **س: أحسن الله عملك يا شيخ! قول علي: معنى (أدن فالله يحكم)؟**

○ **الجواب**: كأن هذا يوم القيامة، الرواية أي معناها أنها يوم القيامة قرأ عليه: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [النساء: ١٤١].

حكم رهن العبد عند الكافر:

مداخلة: . . . كذلك في الرهن؟

الشيخ: نعم.

● **س: كذلك لا يجوز رهنه عند الكافر؟**

○ **الجواب**: ما هو ببعيد؛ لأن الرهن وسيلة للاسترقاق، ليس ببعيد، أقول ليس ببعيد الرهن إذا كان فيه قبض قد يستذله أيضًا.

إلزام الكافر بإعتاق العبد المسلم:

● **س: أليس الاسترقاق هنا أحسن الله إليك! الملكية المقصود بها العبد؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: إذا كان العبد تحت كافر أن يبتعد عنه؟

○ **الجواب**: يعني: يلزم بإعتاقه أو بيعه على مسلم، رده على

مسلم، بيعه على المسلمين، ما يترك يعني يستقر ملكه عليه؛ لأنه قد يكون وسيلة إلى ردته أو ظلمه وإيذائه.

تأجير المسلم لنفسه من كافر:

● **س: أحسن الله إليك! هل للمسلم أن يؤاجر نفسه من الكافر بالأعمال الخاصة؟**

○ **الجواب:** . . . هذا قد يقع عند الحاجة، إذا دعت الحاجة لا بأس فإن هذا عارض، مثلما جاء أن علي كان يسقي لليهود بتمرة تمرة كل دلو عند الحاجة.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣][(١)].

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٩] وقال هاهنا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ ولا شك أن الله تعالى لا يخادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم، يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجَرَت عليهم أحكامُ الشريعة ظاهرًا، فكذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله، وأن أمرهم يروج عنده، كما أخبر عنهم تعالى أنهم يوم القيامة يحلفون له: أنهم كانوا على الاستقامة والسداد، ويعتقدون أن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر يومي ١٨ ـ ٧ ـ ١٤١٦ و٢١ ـ ٧ ـ ١٤١٦.

ذلك نافع لهم عنده، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

وقوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾؛ أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم، ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك في يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥] وقد ورد في الحديث: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»(١).

وفي حديث آخر: «**إن الله يأمر بالعبد إلى الجنة فيما يبدو للناس، ويعدل به إلى النار**» عياذًا بالله من ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أنه يعاملهم مثلما فعل، يظهر لهم شيء من أسباب النجاة وهم هالكون، وهذا مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فهو يعاملهم، المكر منه والخداع منه حق، يخدعهم؛ لأنه عاملهم بما يستحقون، وأما خداعهم هم فهو منكر وكفر وضلال ويحسبون أنهم على شيء، فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ويحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم الكاذبون، هم الخاسرون، هم الظالمون، الله لا يخفى عليه خافية جَلَّ وَعَلَا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة برقم (٦٤٩٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله برقم (٢٩٨٦).

مداخلة: أحسن الله إليك!... عبد الله بن أبي بن سلول الذي رجم النبي ﷺ في غزوة تبوك اعترف..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو أصل المنافقين، نعم. نسأل الله العافية.

سائل: وفي الحديث الآخر: «**إن الله يأمر بالعبد إلى الجنة فيما يبدو للناس، ويعدل به إلى النار**» ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، الحديث صحيح..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ما أعرف، ما أعرف سنده، أقول: ما أعرفه..

مداخلة: فيه تعليق: نعم.

مداخلة: يقول: الظاهر أنه رواه بالمعنى وأراد حديث سهل بن سعد الذي رواه البخاري: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا. هذا غير، هذا الحديث غيره هذا في الصحيحين، هذا غير. أقول: هذا غيره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة. إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمانَ لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه، من طريق عُبَيد الله بن زَحْر، عن خالد بن أبي عِمْران، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: يكرَه أن يقوم الرجلُ إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه، عظيم الرغبة، شديد الفرح، فإنه يناجي الله تعالى وإن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، ثم

يتلو ابن عباس هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾. وروي من غير هذا الوجه، عن ابن عباس، نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

والمعنى: أنه ينبغي للمؤمن أن يحذر صفات المنافقين؛ بل يجب عليه أن يحذر صفات المنافقين، الخداع، والكسل عن الصلاة، والرياء، والتذبذب، كل هذا يجب الحذر منه، يجب أن يكون المؤمن على بصيرة وعلى طريقة واضحة في اتباع الحق وإيثاره والموالاة في أهله، وعلى حذر من التثاقل عن الصلاة والكسل عنها، وحذر من الخداع والمراوغة للمسلمين، وحذر من التذبذب بين هؤلاء وهؤلاء، كونه يبعد عن صفاتهم الذميمة ويحذرها، نسأل الله العافية والسلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ هذه صفة ظواهرهم، كما قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤]، ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية من الناس ومصانعة لهم؛ ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرَون غالبًا فيها كصلاة العشاء وقت العَتَمَة، وصلاة الصبح في وقت الغَلَس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»(١).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة برقم (٦٥٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها برقم (٦٥١).

وفي رواية: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ**»(١).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد ـ هو بن أبي بكر المقدمي ـ حدثنا محمد بن دينار، عن إبراهيم الهَجَري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ وَأَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ يَسْتَهِينُ بِهَا رَبَّهُ**»(٢).

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! قول المؤلف: (ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبًا، كصلاة العشاء في وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس)، هل هذا من صفات المنافقين الصلاة الغلس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

ممكن، لكن السُّنَّة أنها تصلى بغلس؛ ولهذا في الحديث الصحيح: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ**».

مداخلة: يصلون بعد الإسفار أحسن الله إليك!

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

قد يكون، قد يحذرون لكن السُّنَّة أن تصلى بغلس، أقول: السُّنَّة أن تصلى بغلس، اختلاط الصبح بظلمة الليل.

مداخلة: أحسن الله إليك، قال في الخلاصة: محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن المقدم المقدمي، أبو عبد الله البصري، عن حماد بن زيد وأبي عوانة ويزيد بن زريع ومعتمر بن سليمان وطائفة، وعنه البخاري

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة برقم (٦٤٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/ ٥٤ برقم ٥١١٧).

ومسلم وأبو زرعة ووثقه، قال البخاري: توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين، البخاري ومسلم والنسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود مُقحَمة، إبراهيم هذه مقحمة، أقول: مقحمة هذه إبراهيم، غلط. وإبراهيم الهجري فيه ضعف، لكن مقصود الآية كافية، الآية كافية: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ نسأل الله العافية. قلة مبالاة، قلة حياء، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾؛ أي: في صلاتهم لا يخشعُون فيها ولا يدرون ما يقولون؛ بل هم في صلاتهم ساهون لاهون، وعما يراد بهم من الخير معرضون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم. يعني قالوا: جمع، يعني: يستشهد به من باب الاستشهاد وهو ضعيف، لكن معناه صحيح المعنى نص القرآن ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ من راءى الناس قد استهان بربه، وقلَّ حياؤه - نسأل الله العافية - يرائي الناس ويسيء المعاملة مع ربه بئس الحال حاله، نسأل الله العافية...

مداخلة: لكن الجمهور على تضعيفه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يكفي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى الإمام مالك، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**»(١)، وكذا رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، من حديث

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب استحباب التبكير بالعصر برقم (٦٢٢).

إسماعيل بن جعفر المدني، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا؛ بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين. ومنهم من يعتريه الشك، فتارة يميل إلى هؤلاء، وتارة يميل إلى أولئك ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ الآية [البقرة: ٢٠].

قال مجاهد: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعني: أصحاب محمد ﷺ ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: اليهود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله المستعان، اللَّهُمَّ عافنا. نسأل الله العافية.. المقصود هذه الصفات الخبيثة يجب الحذر منها، يجب على المؤمن الفائدة العظيمة أن يحذر صفات الأشرار، الله ﷻ يقص علينا صفات الأخيار لنأخذ بها ونستقيم عليها ويقص علينا صفات الأشرار لنحذرها ونبتعد عنها؛ لأن الواجب الحذر من صفات الكافرين والمنافقين والتحذير منها، كما يجب العناية بصفات المؤمنين والأخذ بها والاستقامة عليها في جميع الأحوال، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١]، والمنافقين عكس ذلك: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ

كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٤، ٥٥]. نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً ولا تدري أيتهما تتبع**»(١).

تفرد به مسلم. وقد رواه عن محمد بن المثنى مرة أخرى، عن عبد الوهاب، فوقف به على ابن عمر، ولم يرفعه، قال: حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك.

(قلت): وقد رواه الإمام أحمد، عن إسحاق بن يوسف بن عبيد الله، به مرفوعًا. وكذا رواه إسماعيل بن عياش وعلي بن عاصم، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا. وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة، عن عبدة، عن عبد الله، به مرفوعًا. ورواه حماد بن سلمة، عن عبيد الله ـ أو عبد الله بن عمر ـ عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا. ورواه أيضًا صخر بن جُوَيْرِية، عن نافع عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، بمثله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. يعني تارة مع المؤمنين، إن رأوهم ظهروا وانتصروا صاروا مع المؤمنين، وإن صار على المسلمين نكبة صاروا مع ضدهم، فهم مذبذبون ليس لهم قرار، لفساد قلوبهم ونفاقهم وعدم وجود الإيمان الذي يردعهم عن الميل إلى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٨٤).

الباطل. فالواجب على كل مؤمن أن يحذر صفاتهم الخبيثة وان يستقيم مع أهل الهدى، في الشدة والرخاء، وأن يكون صبورًا على أقدار الله، هكذا المؤمن، كما في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير، إذا أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن إصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**».

فالمؤمنون صبّر عند البلاء شكّر عند الرخاء، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

مداخلة: أحسن الله إليك! العائرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

العائرة: المترددة يعني تتردد يعني مرة مع هؤلاء ومرة مع هؤلاء، ليس لها ثبات، نسأل الله العافية.

مداخلة: المنافق خصاله، الكذب..

الشيخ: نعم نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا الهُذَيل بن بلال، عن ابن عبيد، عن أبيه: أنه جلس ذات يوم بمكة وعبد الله بن عمر معه، فقال أبي: قال رسول الله ﷺ: «**إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الرّبضَين من الغنم، إن أتت هؤلاء نطحتها، وإن أتت هؤلاء نطحتها**»، فقال له ابن عمر: كذبت. فأثنى القوم على أبي خيرًا ـ أو معروفًا ـ فقال ابن عمر: لا أظن صاحبكم إلا كما تقولون، ولكني شاهد نبي الله إذ قال: كالشاة بين الغنمين. فقال: هو سواء. فقال: هكذا سمعته.

وقال أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا المسعودي، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بينما عبيد بن عُمير يقص، وعنده عبد الله بن عمر،

فقال عبيد بن عمير: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المنافق كالشاة بين ربضين، إذا أتت هؤلاء نطحتها، وإذا أتت هؤلاء نطحتها»**. فقال ابن عمر: ليس كذلك قال رسول الله ﷺ، إنما قال رسول الله ﷺ: **«كشاة بين غنمين»**. قال: فاحتفظ الشيخ وغضب، فلما رأى ذلك ابن عمر قال: أما إني لو لم أسمعه لم أردد ذلك عليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه العناية بألفاظ النبي ﷺ إذا ضبطت كونه يذكر الحديث بلفظه، هذا هو أكمل وأحرى، أراد ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعني التعبير بالعبارة التي عبر بها النبي ﷺ، قد يكون روى بالمعنى: (الربضين)، وقد يكون قالها النبي هنا تارة وهنا تارة قد يكون عبيد بن عمير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى: عن ابن عمر، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن عثمان بن بُودِويه، عن يَعْفُر بن زُوذي قال: سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين»**. فقال ابن عمر: ويلكم. لا تكذبوا على رسول الله ﷺ. إنما قال ﷺ: **«مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين»**.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد، فدفع أحدهم فعبر، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي: ويلك. أين تذهب؟ إلى الهلكة؟ ارجع عودك على بدئك، وناداه الذي عبر: هَلُمّ إلى النجاة. فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة، قال: فجاءه سيل فأغرقه، فالذي عبر المؤمن، والذي غرق المنافق: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والذي مكث الكافر. وقال ابن جرير: حدثنا بِشْر، حدثنا يزيد، حدثنا

شعبة عن قتادة: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرّحين بالشرك. قال: وذُكرَ لنا أن نبي الله ﷺ كان يضرب مثلًا للمؤمن وللمنافق وللكافر، كمثل رهط ثلاثة دَفَعوا إلى نهر، فوقع المؤمن فقطع، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر: أن هَلُمّ إليّ، فإني أخشى عليك. وناداه المؤمن: أن هَلُمّ إليّ، فإني عندي وعندي؛ يُحصى له ما عنده. فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى أذى فغرّقه. وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة، حتى أتى عليه الموت وهو كذلك. قال: وذُكرَ لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**مثل المنافق كمثل ثاغية بين غنمين، رأت غنمًا على نَشَزٍ فأتتها وشامتها فلم تعرف، ثم رأت غنمًا على نَشَز فأتتها وشامتها فلم تعرف**».

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾؛ أي: ومن صرفه عن طريق الهدى ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] فإنه: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم، ولا منقذ لهم مما هم فيه، فإنه تعالى لا مُعَقّب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا التحذير من صفاتهم الذميمة، تحذير المؤمن من صفاتهم الذميمة، وأن يكون عنده عناية بالحق وصبر عليه وثبات، ولو أصابه ما أصابه، لا يكون مثل المنافق، تارةً على الحق وتارةً على الباطل، تارةً مع هؤلاء وتارةً مذبذب؛ بل يجب أن يحذر صفاتهم الذميمة، وأن يثبت على الحق ولو أصابه ما أصابه. لا بد من الصبر، ربك حكيم عليم، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، يبتلي هؤلاء بالسراء والضراء: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وهو الحكيم العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الملقي: أحسن الله إليك! ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

الشيخ: بركه، اللَّهُمَّ صلِّي وسلِّم.

الاسئلة

الشيخ نعم.

● **س: شيخ أحسن الله إليك! سائل يسأل يقول: رمى الجمرة بحصاة واحدة، ثم مع الزحام رمى الجميع مرةً واحدة ماذا عليه؟**

○ **الجواب**: عليه دم، يذبح في مكة للفقراء، لأن ما رمى، إذا رمى الحصى جميع ما رمى، لا بد واحدة بعد واحدة، مثلما رمى النبي ﷺ.

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣][(١)].

ربنا ﷻ ذكر في هذه الآية جملة من صفات المنافقين تحذيرًا لنا من ذلك وحثًّا لنا على مخالفتهم، والمنافق هو الذي يتظاهر بالإسلام وهو مع الكفار، هذا المنافق هو الذي باطنه كافر وظاهره مع المسلمين وهو مكذب لله ورسوله مُنكر للآخرة مُلحد في دين الله، ولكنه يتظاهر بالإسلام لأسباب إما لطمع في الدنيا وإما لخوف القتل وإما لغير ذلك، يقول من صفاتهم ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ هم يُخادعون بإظهارهم الإسلام ودعواهم أنهم مسلمون هذه مُخادعة، والله

(١) حديث المساء (ص٨٧) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

خادعهم سبحانه لأنه هو العالم بأحوالهم وهو ﷻ يخدعهم حقًّا منه ﷻ وعدلًا منه ﷻ؛ فالخداع منهم مذموم وممقوت والخداع منه حق ومدح وكمال؛ لأنه خدعهم بحق فيُملي لهم ويمهلهم سبحانه حتى يظنوا أنهم ناجون وهم غير ناجين بل هالكون، ويوم القيامة يظهر لهم بعض النور مع الناس فيظنون أنهم ناجون ثم يطمس نورهم ويساقون إلى النار فكما خادعوا خُدعوا.

ومن صفاتهم الخبيثة أنهم يخادعون المؤمنين في كل شيء، في معاملاتهم وفي شؤونهم الدينية والدنيوية وفي كل ما يتعلق بهم من أمور يمكنهم أن يتظاهروا بغير الباطل؛ فيخونون المؤمنين ويغشونهم إلى غير هذا من كل ما يمكنهم من الخيانة والخداع والمكر والظلم؛ فينبغي للمؤمن أن يحذر هذه الصفات، فالذي يغش المؤمنين في معاملاتهم بالكذب بشهادة الزور بالدعاوي الباطلة بكتمان الحق قد شابه أهل النفاق نعوذ بالله.

فلا ينبغي للمؤمن أن يرضى بخصال أهل النفاق وصفاتهم الذميمة؛ بل يجب أن يكون المؤمن صريحًا مُقرًّا بالحق مُعينًا عليه لا يخدع أخاه ولا يمكر به ولا يكتم حقه ولا يشهد عليه بالزور؛ بل هو صريح مع أخيه يأخذ الحق ويعطيه على بصيرة وعلى بيان وعلى نصح لا على خيانة وخداع، ومن صفاتهم الذميمة الأخرى أنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ ما عندهم نشاط في الصلاة لأنهم لا يؤمنون بها، ما عندهم إيمان بها وإنما يصلونها مجاملة؛ فلهذا هم كسالى إذا ظنوا أنهم يختفون ما صلوا، ولهذا أثقل الصلاة عليهم صلاة العشاء وصلاة الفجر لأنها غير ظاهرة لكل الناس، قد يمكنهم أن يختفوا فينبغي للمؤمن أن يحذر هذه الصفة وما أكثر المتخلقين بهذه الصفة ولا حول ولا قوة إلا بالله، تجده يتخلف عنها كثيرًا ويعلل بعلل باطلة مشابهة لأعداء الله المنافقين، وإذا نشط صلّى في البيت هذه صفات ظاهرة لأهل النفاق نعوذ بالله،

يقول ابن مسعود رضي الله عنه لما ذكر صلاة الجماعة مع الإمام قال: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ**»[١].

فيجب عليك يا عبد الله أن تحذر هذه الصفات الذميمة وأن تكون مع المسارعين إلى الصلاة في الجماعة في المساجد، من المحافظين عليها النشيطين في ذلك البعيدين عن صفات أهل النفاق.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية. أما بقية الصفات؛ فإلى درس آخر وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

الدرس الثاني[٢]

فقد سبق الكلام على قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ سبق الكلام على الخصلة الأولى والثانية في الدرس الماضي.

الخصلة الأولى: أنهم أهل خداع ومكر وتدليس وخيانة لعدم إيمانهم لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر؛ فلهذا يخادعون الله والذين آمنوا ويخونونهم ويهزؤون بهم.

والثانية: أنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ لأنهم لا إيمان لهم ولا احتساب وإنما يصلونها لغرض ورياء؛ فلهذا إذا قاموا إليها قاموا كسالى ومتى أمكنهم تركوها لعدم الإيمان بها وعدم رجاء ثوابها، هكذا المنافقون، قد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما صح عنه: «من سرّه

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى برقم (٦٥٤).

(٢) حديث المساء، (ص٩٠) ط٣ ـ ١٤٣٩هـ.

أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصّلوات حيث ينادى بهنّ، فإنّ الله شرع لنبيّكم ﷺ سنن الهدى وإنّهنّ من سنن الهدى، ولو أنّكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلّف في بيته لتركتم سنّة نبيّكم، ولو تركتم سنّة نبيّكم لضللتم». وفي الرواية الأخرى: «لكفرتم»(١).

«ولقد رأيتنا وما يتخلّف عنها إلّا منافقٌ معلوم النّفاق»؛ يعني: ما يتخلف عن الجماعة عن الصلاة في الجماعة «إلّا منافقٌ معلوم النّفاق»؛ يعني: إلا لعذر ولهذا؛ في اللفظ الآخر أو مريض: «ولقد كان الرّجل يؤتى به يهادى بين الرّجلين حتّى يقام في الصّفّ»؛ يعني: من الصحابة لحرصهم على الجماعة يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين؛ يعني: يعدل له الرجلان حتى يقام في الصف.

الخصلة الثالثة: يراؤون الناس هذا من صفاتهم، أعوذ بالله يراؤون الناس صلاتهم أعمالهم العبادية رياء؛ لأنهم لا إيمان لهم ولا احتساب ولا إخلاص؛ فلهذا ذمهم الله وعابهم وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار أعوذ بالله.

فحقيق بالمؤمن أن يحذر صفاتهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٧].

هذه من صفاتهم الرياء والسهو عن الصلاة؛ يعني: التثاقل والغفلة عنها والإعراض عنها والرياء بأعمالهم ومنع الحق الذي عليهم، فلا ينبغي للمؤمن أن يتأثر بصفاتهم أو يتخلق بها؛ بل الواجب أن يحذرها فيكون مع المخلصين ومع الناصحين لا مع المخادعين، مع السابقين

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة برقم (٥٥٠).

للصلوات في الجماعة لا مع المتخلفين ولا مع المتثاقلين يراؤون الناس، يقول ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»(١). يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «**إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»(٢).

ويقول ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ**»(٣)؛ يعني: من سمع في الدنيا وراءى سمع به يوم القيامة على رؤوس الأشهاد سمع؛ يعني: قضى أو تكلم بالحق رياء وراءى؛ يعني: بأفعال فالتسميع يكون بالأقوال والمراء تكون بالأفعال.

ومن صفاتهم الخبيثة **صفة رابعة**: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أهل غفلة، ذكر الله عندهم قليل لأنهم لا إيمان لهم، ولهذا غالب أحوالهم الغفلة وعدم ذكر الله ﷻ فينبغي لك يا عبد الله أن تكون خلافهم وأن تكثر من ذكر الله قائمًا وقاعدًا في الطريق وفي البيت ونحو ذلك.

وذكر الله يكون بقراءة القرآن، يكون بالاستغفار، يكون بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ويكون بلا حول ولا قوة إلا بالله، ويكون بسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم إلى غير ذلك من أنواع الذكر، فلا تكن غافلًا تارة تستغفر الله وتدعوه تارة، تقرأ كتاب الله تارة تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩)، والطبراني في الكبير (٤/٢٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤/ ٣٥٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث محمود بن لبيد (٥/٤٢٨).

(٣) سبق تخريجه في (ص٣٤٠).

بالله، تارة تقول: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، تارة تقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم إلى غير ذلك مما جاء في النصوص.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ هذه **الخامسة** مذبذبين؛ يعني: أهل حيرة تارة مع الكفار تارة مع المسلمين ما عندهم يقين، عندهم الشك والريب فهم مع المنصورين مع من انتصر إن رأوا الدائرة على المسلمين صاروا مع الكفار؛ إن كانت الدائرة للمسلمين على الكفار صاروا مع المسلمين فهم مع من انتصر ومع من غلب ليس لهم هدف إلا أغراضهم الدنيوية وحاجاتهم الحاضرة الدنيوية، لا إيمان لهم ولا غرض لهم في الآخرة نعوذ بالله هذه حال أهل النفاق؛ فالواجب الحذر من هذه الصفات الذميمة والبعد عنها والتواصي بتركها.

رزقنا الله وإياكم العافية، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٤ ـ ١٤٧][(١)].

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فجر الأحد ٢٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦هـ.

المؤمنين، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ أي: يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه. ولهذا قال هاهنا: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾؛ أي: حجة عليكم في عقوبته إياكم.

● **س: عفا الله عنك. تفسير قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ أي: يحذركم عقوبته؟**

○ **الجواب**: يعني: التحذير المراد العقوبة مع إثبات النفس ما ينافي، يحذركم الله نفسه؛ أي: عقوبته وغضبه عليكم.

● **س: الإحسان للكفار من أجل الدعوة يا شيخ؟!**

○ **الجواب**: هذا هوالمطلوب، الإحسان إليهم والرفق بهم في الدعوة؛ فهذا مطلوب؛ لأجل ترغيبهم في الإسلام؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، الإحسان إليهم والصدقة وبذل المعروف لعلهم يهتدون طيب. قد ثبت في الصحيحين: (أن أم أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوجة الزبير أخت عائشة وفدت عليها في المدينة في وقت الصلح وهي على دين قومها تطلبها الرفق، فاستأذنت أسماء النبي ﷺ في ذلك قالت: إن أمي وفدت عليَّ تريد الرفق، قال: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»[(١)].

داخل في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين برقم (٢٦٢٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (١٠٠٣).

﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ [الممتحنة: ٨]، يعني: وقت الصلح. وهكذا عمر كان يصل أقاربه وقت الصلح يصلهم بمكة؛ رجاء أن يهتدوا يسلموا، هكذا تهدئتهم بأشياء بما تسرهم إذا كان للتقية: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، . . . أو بأشياء غيرها يفعلونها إذا هادنهم ولي الأمر بتهنئة أو غيرها؛ لأجل كف شرهم ودفع ضررهم هو من هذا الباب.

• **س: لكن كونه يتخذهم سلمك الله يا شيخ! أصدقاء من أجل الدعوة، يضحك في وجوههم يا شيخ! ويمشي معهم؟**

○ **الجواب:** هذه ما تسمى صداقة، هذا إذا كان يذهب معهم من أجل الدعوة هذا من باب اللين، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ولا يتخذهم أصحاب يخبرهم بأسراره فيكونوا أصدقاءه دون المؤمنين هذا ضد هذا، الولي: الصديق يعني ضد العدو، هم أعداء يبغضهم في الله مثلما قال أبو الدرداء: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ» من باب التأليف والدعوة.

مداخلة: الإحسان إليهم من أجل المصلحة.

الشيخ: هاه؟

مداخلة: الإحسان إليهم من أجل المصلحة؟

الشيخ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ [الممتحنة: ٨]، إذا أحسن إليهم وساعدهم بالأشياء. . يؤلف قلوبهم مثلما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، هم الكفرة الرؤساء الذين يعطون من المال ما يؤلفهم، وهكذا ضعفاء الإيمان.

• **س: أحسن الله إليك! إذا فضَّلهم في العمل، بارك الله فيك!**

على المسلمين واختارهم كون هؤلاء، يعني: مثلًا أقوى في العمل أو أكثر إتقان في العمل؟

○ **الجواب**: هذا فيه التفصيل: إذا كان العمل لا يتقنه إلا هم، وفي أرض الجزيرة العربية ولا بد منهم لكن لا يستقدموا لها إلا عند الضرورة، لكن في غير الجزيرة إذا استقدمهم، مثلما أقرهم النبي ﷺ اليهود أقرهم في خيبر يعملون النصف نصف الزرع ونصف الثمرة لما كان المسلمون مشغولين بالجهاد أقرهم اليهود على العمل في خيبر أقرهم في المدينة، ثم لما أمر الله بإجلائهم عن الجزيرة أجلاهم عمر رضي الله عنه بعد ذلك.

• **س: أحسن الله إليك! رجل يعمل عند مسلم بألف ريال مثلًا، وقال له كافر: اعمل عندي وأعطيك ضعف هذا المرتب، هل عليه شيء لو انتقل إلى هذا الكافر؟ وأعطيك ألفين؟**

○ **الجواب**: والله ينبغي له أن لا ينتقل وإن كان لا يعد موالاة لكن ينبغي له أن لا ينتقل، . . . . له أن يبقى مع المسلمين ولو يرضى بالقليل خير له منه؛ لأنه خطر، انتقاله إليهم خطر قد يجرونه إلى دينهم، نسأل الله السلامة!

• **س: الذين يتخذون الكلاب في بيوتهم، وحتى يزعمون أنها تحميهم.؟.**

مداخلة: يستخدمون الكلاب.

○ **الجواب**: لا. الكلاب ما يجوز اقتنائها إلا بثلاث: إما للزرع، أو للماشية، أو للصيد، هكذا أمر النبي ﷺ، أما في البيوت لا، ما يجوز. النبي ﷺ رخص في اقتناء الكلب لثلاث: (للماشية، والزرع، والصيد).

• **س: زوج الكتابية يا شيخ! تسمى في الحب؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: زوج الكتابية.

○ **الجواب**: يعني هذا حب، حب النساء حب الزوجة مو بحب بالدين، الزوجية الله أباح نكاح المحصنات من أهل الكتاب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس قوله: ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ قال كل سلطان في القرآن حجة.

وهذا إسناد صحيح. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القُرَظي، والضحاك، والسدي والنضر بن عَرَبي.

ثم أخبر تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: يوم القيامة، جزاء على كفرهم الغليظ. قال الوالبي عن ابن عباس: ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: في أسفل النار. وقال غيره: النار دركات، كما أن الجنة درجات. «وقال سفيان الثوري، عن عاصم، عن ذَكْوان أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: في توابيت ترتج عليهم. كذا رواه ابن جرير، عن ابن وَكِيع، عن يحيى بن يمان، عن سفيان، به. ورواه ابن أبي حاتم، عن المنذر بن شاذان، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كُهَيْل، عن خَيْثَمَة، عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: في توابيت من نار تطبق عليهم. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبي سعيد الأشج، عن وكيع، عن

سفيان، عن سلمة، عن خيثمة، عن ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: في توابيت من حديد مبهمة عليهم، ومعنى قوله: (مبهمة)؛ أي: مغلقة مقفلة لا يهتدى لمكان فتحها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الآية واضحة، أقول: الآية واضحة في أنهم - في أسفل جهنم لما أظهروا من الإسلام الكاذب ولبسوا على الناس وخدعوهم ودعوهم إلى الضلالة، وبشر أعمالهم الخبيثة، وتلبيسهم، ونفاقهم وإدخالهم الضرر على المسلمين صار لهم هذا الجزاء الشديد، وصاروا تحت الكفار المعنيين، لما ستروا كفرهم جعلهم الله تحت الكفار - نسأل الله العافية -؛ لأن الكفار قسمان: قسم أعلنوا، وقسم أخفوا ونافقوا، فالمعلن شره أقل، والمنافق شره أكثر وأكبر، فصار عقابه أشد، كما أن المؤمنين أقسام: السابقون المقربون من بيننا أطاعوا الله ورسوله، وسارعوا إلى الخيرات، وأنفقوا في سبيل الله، وسارعوا إلى كل خير لهم الطبقة العليا. ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، على حسب منازلهم بالعمل الصالح، ومنهم الظالم لنفسه. الله المستعان!

مداخلة: أحسن الله إليك! ذكوان.

• **س: أحسن الله إليك! بعض المفسرين استدل بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، ولم يقل سبحانه: (من المؤمنين) وقال: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل: (وسوف يؤتيهم)....**

○ **الجواب**: المعنى معروف: من كان معهم فهو منهم، **هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»**.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾؛ أي: من شكر شكر له ومن آمن

قلبه به علمه، وجازاه على ذلك أوفر الجزاء. ثم قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

الشيخ: بركة.

مداخلة: حديث (أخلص دينك يكفيك القليل).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: قليل من الدين، وهو أداء الواجبات وترك المحارم. حديث ضعيف، أقول: حديث ضعيف؛ لأن عبيد الله بن زحر ضعيف، والبقية تحتاج نظر، من فوقه يحتاج إلى تأمل.

فالمقصود: أنه ضعيف الحديث، ولو صح معناه يكفيه القليل هو: الإيمان بالله، والاستقامة على دينه ولو كان ما عنده منافسة في الخيرات، ولو ما عنده مسابقة في الطاعات، يكون من الأبرار ومن المقتصدين وهم ناجون سعداء.

● **س: مصافحة الكافر عفا الله عنك!: حكم مصافحة الكافر؟**

○ **الجواب**: إذا دعت الحاجة إلى ذلك أو قدَّم يده بدأ فلا بأس، أو دعت الحاجة إلى ذلك للدعوة والتأليف ودفع الشر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمٰن: أن ابن مسعود سئل عن المنافقين، فقال: يجعلون في توابيت من نار، فتطبق عليهم في أسفل درك من النار.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾؛ أي: ينقذهم مما هم فيه، ويخرجهم من أليم العذاب.

ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقَبِلَ ندمه إذا

أخلص في توبته وأصلح عمله، واعتصم بربه في جميع أمره، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾؛ أي: بدّلوا الرياء بالإخلاص، فينفعهم العمل الصالح وإن قل.

قال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبأنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زَحْر، عن خالد بن أبي عِمْران، عن عمرو بن مرة، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ قال: «**أخلص دينك، يكفك القليل من العمل**».

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾؛ أي: في زمرتهم يوم القيامة ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾

ثم قال مخبرًا عن غناه عما سواه، وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم، فقال: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾؛ أي: أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾؛ أي: من شكر شكر له ومن آمن قلبه به علمه، وجازاه على ذلك أوفر الجزاء.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ﴾ [النساء: ١٤٥](١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَسْفَلَ النَّارِ، ﴿نَفَقًا﴾ [الأنعام: ٣٥]: سَرَبًا.

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنِ الأَسْوَدِ قال: «كُنَّا فِي حَلْقَةِ عَبْدِ اللهِ، فَجَاءَ حُذَيْفَةُ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ، قَالَ الأَسْوَدُ: سُبْحَانَ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

فَتَبَسَّمَ عَبْدُ اللهِ، وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ، فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، فَرَمَانِي بِالْحَصَا فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ مِنْ ضَحِكِهِ، وَقَدْ عَرَفَ مَا قُلْتُ، لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ، ثُمَّ تَابُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ»(١).

● **س: فرماني بالحصى كنية عن الخذف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: رماه ليأتيه، رماه يدعوه؛ يعني: يدعوه، والخذف هكذا بالإصبع.

● **س: الشّارح يقول: إن سعيد بن جبيرٍ يرى وجوب الهجرة من الأرض الّتي يعمل فيها بالمعصية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: هذا قول بعض العلماء، والهجرة إنّما تجب من بلاد الشّرك لا من بلاد المعاصي، من بلاد الشّرك، لكن إذا هاجر من بلاد المعصية حسنٌ.

❋

□ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥](٢).

شرح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

● **س: لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. ما المقصود بالمنافقين والنفاق في هذه الآية الكريمة، وأرجو أن تتفضلوا بإيضاح المعنى(٣)؟**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ برقم (٤٦٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٣٢).

○ **الجواب**: المراد بالمنافقين هم: الذين يتظاهرون بالإسلام وهم على غير الإسلام، يدَّعون أنهم مسلمون، وهم في الباطن يكفرون بالله ويكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام هؤلاء هم المنافقون.

سمُّوا منافقين؛ لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠]؛ أي: شك وريب ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. والآيات بعدها في سورة (البقرة).

هؤلاء هم المنافقون، وهم يكفرون بالله ويكذبون رسله في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

والمعنى: أنهم مترددون بين الكفار والمسلمين؛ تارة مع الكفار إذا ظهر الكفر وانتصروا، وتارة مع المؤمنين إن ظهروا وانتصروا، فليس عندهم ثبات ولا دين مستقيم ولا إيمان ثابت، بل هم مذبذبون بين الكفر والإيمان، وبين الكفار والمسلمين.

وقد صرَّح الله بكفرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٤، ٥٥].

هؤلاء هم المنافقون، نسأل الله العافية والسلامة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٨، ١٤٩][١].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ وإن صبر فهو خير له.

وقال أبو داود: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن عطاء، عن عائشة قالت: سُرق لها شيء، فجعلت تدعو عليه، فقال النبي ﷺ: «**لا تُسبّخي عنه**»[٢].

وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللَّهُمَّ أعنِّي عليه، واستخرج حقي منه. وفي رواية عنه قال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه.

وقال عبد الكريم بن مالك الجَزَريّ في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن إن افترى عليك فلا تفتر عليه؛ لقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].

وقال أبو داود: حدثنا القَعْنَبِيّ، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**المُسْتَبَّانِ ما قالا فعلى البادئ منهما، ما لم يعتد المظلوم**».

وقال عبد الرزاق: أنبأنا المثنى بن الصباح، عن مجاهد في قوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ قال: ضاف رجل رجلًا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من دعا على من ظلم برقم (٤٩٠٩).

فلم يؤدّ إليه حقّ ضيافته، فلما خرج أخبر الناس، فقال: «**ضفت فلانًا فلم يؤدّ إليّ حق ضيافتي**». فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، حين لم يؤد الآخر إليه حق ضيافته.

وقال محمد بن إسحاق، عن ابنِ أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ قال: قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته، فيخرج فيقول: «أساء ضيافتي، ولم يحسن». وفي رواية: هو الضيف المحول رحلُه، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول.

وكذا روي عن غير واحد، عن مجاهد، نحو هذا. وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي، من طريق الليث بن سعد والترمذي من حديث ابن لَهِيعة كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير مَرْثَد بن عبد الله، عن عقبة بن عامر قال: قلنا يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يَقْرُونا، فما ترى في ذلك؟ قال: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ**»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا الجودي يحدث، عن سعيد بن المهاجر، عن المقدام أبي كريمة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَضَافَ قَوْمًا فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَإِنَّ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ نَصْرُهُ حَتَّى يَأْخُذَ بِقِرَى لَيْلَتِهِ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ**». تفرد به أحمد من هذا الوجه(٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه برقم (٦١٣٧)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها برقم (١٧٢٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٣).

وقال أحمد أيضًا: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا شعبة، حدثني منصور، عن الشَّعْبي عن المقدام أبي كريمة، سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لَيْلَةُ الضَّيْفِ وَاجِبَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ فَإِنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ مَحْرُومًا كَانَ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اقْتَضَاهُ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ»**(١).

ثم رواه أيضًا عن غُنْدَر عن شعبة. وعن زياد بن عبد الله البكَّائي. عن وَكِيع، وأبي نُعَيْم، عن سفيان الثوري ثلاثتهم عن منصور، به. وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عَوَانة، عن منصور.

ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب أحمد وغيره إلى وجوب الضيافة، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزَّار.

حدثنا عمرو بن علي، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا محمد بن عَجْلان، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارًا يؤذيني، فقال له: **«أخرج متاعك فضعه على الطريق»**. فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني. فيقول: اللَّهُمَّ العنه، اللَّهُمَّ أخزه! قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك، وقال لا أوذيك أبدًا.

وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب، عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر، عن محمد بن عجلان.

ثم قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ورواه أبو جُحَيفة وهب بن عبد الله، عن النبي ﷺ ويوسف بن عبد الله بن سلام، عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾؛ أي: إن تظهروا ـ أيها الناس ـ خيرًا، أو أخفيتموه، أو

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٠).

عفوتم عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم. ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾؛ ولهذا ورد في الأثر: أن حملة العرش يسبحون الله، فيقول بعضهم: سبحانك على حلمك بعد علمك. ويقول بعضهم: سبحانك على عفوك بعد قدرتك. وفي الحديث الصحيح: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(١).

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢](٢).

يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فَرّقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية. فاليهود ـ عليهم لعائن الله ـ آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع برقم (٢٥٨٨).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر يوم الأحد ٦ ـ ١٠ ـ ١٤١٦هـ.

الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرفع من بين أظهرهم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، أما بعد: فالله سبحانه في هذه الآية يحذر هذه الأمة أن تسلك مسالك من قبلها في الكفر ببعض، والإيمان ببعض من الرسل، ويأمرها ويحثها على الإيمان بجميع المرسلين، والاستقامة على دينهم، فإنهم جاؤوا بالحق كله، كلهم جاؤوا بالحق، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، فجميع الأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام، وهو توحيد الله والإخلاص له، وعبادته وحده دون كل ما سواه، وإن تنوعت الشرائع، كما في الحديث الصحيح: «**نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد**»، فمن فرق بينهم وآمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا، كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم ممن كفر بالأنبياء أو بعضهم.

والواجب على كل مكلف أن يؤمن بجميع المرسلين، ومن أدرك محمدًا ﷺ فالواجب عليه أن يؤمن به؛ لأنه خاتم الأنبياء وإمامهم، فالواجب الإيمان به وبجميع من قبله من المرسلين، وتصديقهم، والإيمان بما جاؤوا به من توحيد الله والإخلاص له، وبما جاؤوا به من الشرائع، فلا يجوز أن يكون مثل اليهود يؤمن بما عدا عيسى ومحمد، أو النصارى كالذين آمنوا بالمرسلين إلا محمدًا ﷺ، وهذا كله من الضلال البعيد، ومن الكفر البواح، والواجب على كل مكلف أن يؤمن بجميع ما جاءت به الرسل، وأن يؤمن بخاتمهم محمد ﷺ وبكل ما جاء به، وأن ينقاد

لذلك قولًا وعملًا وعقيدة، هذا هو الدين، وهذا هو الإسلام، وهذا هو الحق، ولا يجوز أن يفرق بين الرسل والأنبياء، فيؤمن ببعض ويكفر ببعض، والحمد لله الذي يسَّر العودة إلى مجالس العلم، ولا يخفى على طالب العلم أن الواجب على كل مسلم أن يستقيم على الحق أينما كان، وأن يدع الباطل أينما كان، وأن يقف عند حدود الله، وقد مر علينا شهر رمضان شهر الصيام والقيام، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن فاز فيه بالمغفرة والعتق من النار والقَبول، نسأل الله أن يعيده علينا وعلى المسلمين أعوامًا كثيرة بخير وعافية وصلاح واستقامة، وعز للإسلام وأهله. والواجب على أهل العلم خصوصًا، وعلى طلبة العلم، وعلى كل مسلم عمومًا أن يتقي الله، وأن يستقيم على الحق في رمضان وفي غيره، وأن يكون حذرًا من كل ما نهى الله عنه، مبادرًا إلى كل ما أوجب الله، هذا هو الواجب على كل مسلم في رمضان أو في غيره أن يستقيم على الحق، وأن يجاهد نفسه لله، وأن يحذر ما حرم الله عليه، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. فالواجب على المسلمين الاستقامة على الحق في رمضان وفي غيره، وفي كل مكان حتى الموت، حتى الأجل، كما قال الله سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

والواجب على أهل العلم ـ مع العمل بما أوجب الله ـ النصيحة لله ولعباده، والدعوة إليه، وأن يكونوا هُداة للخلق، معلِّمين، مرشدين، محذِّرين مما نهى الله عنه، داعين إلى ما شرع الله، قدوة في الحق في أقوالهم وأعمالهم، هكذا يجب على أهل العلم أن يكونوا دعاة إلى الحق، هداة للخلق، متأسِّين بالرسل في الأقوال والأعمال والعقيدة،

وفي جميع الأحوال، حتى يتأسى بهم غيرهم ويقتدي بهم سواهم، وأن ينصحوا لله ولعباده أينما كانوا، في البر والبحر، في الجو والأرض، في جميع الأماكن، في جميع الزمان، عليهم أن يستقيموا على الحق وأن يدعوا الناس إليه، وأن ينشروه بين الناس بأدلته من كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يستقيموا على الحق في رمضان وفي غيره، وفي كل مكان، حتى يتأسى بهم غيرهم من أهل الإسلام، وحتى يتعلموا منهم ما أوجب الله وما حرم الله، وحتى يأخذوا عنهم العلم؛ فإن العلم يؤخذ من أهله، ولا يعرف أهله إلا بالعلم والعمل والدعوة والتوجيه، حتى يعرف أهل العلم بالدعوة ونشر العلم والتبصير والقدوة الحسنة، حتى ينتشر العلم، وحتى يتعلم الجاهل، وحتى يقف المنحرف عند حده ويتوب إلى الله من غلطه.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح ولاة أمرنا وجميع ولاة أمر المسلمين، نسأل الله أن يصلح جميع ولاة أمر المسلمين، وأن يصلح أحوالهم، وأن ينصر بهم الحق، وأن يحكِّم بهم شريعة الله في عباد الله.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! ما يقال: أن المجوس كان لهم نبي يقال له زاردشت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، أقول: ما نعرف له دليل، هم عبَّاد النار. نسأل الله العافية. نعم، الرسول ﷺ أمرَ يُسَن بهم سُنَّة أهل الكتاب في أخذ الجزية، تؤخذ منهم الجزية فقط، وهم كالوثنيين: لا تنكح نساؤهم ولا تباح ذبائحهم، أما اليهود والنصارى فهم أهل كتاب أباح الله طعامهم والمحصنات من نسائهم، وأباح أخذ الجزية منهم إذا أدوها عن صَغار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود: أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: في الإيمان ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾؛ أي: طريقًا ومسلكًا.

ثم أخبر تعالى عنهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾؛ أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيًا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلًا وأقوى برهانًا منه، لو نظروا حق النظر في نبوته.

وقوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾؛ أي: كما استهانوا بمن كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله، وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله ﷺ حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١] في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني بذلك: أمة محمد ﷺ، فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي

بعثه الله، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ﴾ على ما آمنوا بالله ورسله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾؛ أي: لذنوبهم؛ أي: إن كان لبعضهم ذنوب، والحمد لله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

الله أكبر، الحمد لله. هذا جزاء من آمن واستقام واتبع الحق، جزاؤه الأجر العظيم والعاقبة الحميدة، والفوز بدار الكرامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣].

الشيخ: بركة.

الأسئلة:

حكم الجمع والقصر لمن أقام أكثر من أربعة أيام دون نية الإقامة:

• س: أحسن الله إليك! المسافر إذا أقام مدة ثم أراد يرجع إلى بلده، فالوقت الذي يعني عزم فيه على الرجوع، هل يقصره أم يتمه؟

الشيخ: أقام وين هو فيه؟

مداخلة: أقام مثلًا في مكة مثلًا أكثر من أربعة أيام.

الشيخ: نعم.

مداخلة: ثم أراد يرجع وقت الظهر، يسافر يرجع إلى الرياض وقت الظهر، فهل يقصر الظهر أم يتمها على أساس أنه مقيم.

الشيخ: نيته ماذا؟

مداخلة: هو جلس في مكة أكثر من أربعة أيام. ثم أراد يرجع إلى الرياض، يسافر يعني: وقت الظهر، يريد يمشي وقت الظهر، والظهر حان وهو في مكة، فهل يقصر؟

○ **الجواب**: وهو ناوي أكثر من أربعة أيام؟

مداخلة: ناوي أكثر من أربعة؟ أي نعم، جلس أكثر من أربعة أيام.

○ **الجواب**: يصلي أربعًا عند الجمهور، يصلي أربعًا، إذا نوى أكثر من أربعة أيام من عند الجمهور يصلي أربعًا.

مداخلة: وهو عازم على الرجوع؟

الشيخ: ولو، ما دام عزم على الإقامة أكثر من أربعة أيام يصلي أربعًا.

مداخلة: هو أقام أربعة أيام.

الشيخ: ما هو بأقام، إذا عزم على الإقامة، وأما إذا أقام من غير نية يقصر.

مداخلة: لا، هو ما ناوي الإقامة.

○ **الجواب**: إذا أقام ولو عشرين يوم، ما دام ما له نية جازمة يقصر، إلا إذا كان واحد يصلي مع الناس لا يصلي وحده، يصلي مع الجماعة، لا يصلي وحده، النبي ﷺ أقام في مكة تسعة عشر يوم يقصر الصلاة يوم الفتح، لأنه ما عزم على الإقامة إقامة عند أهل العلم، إنما أقام لعارض إصلاح الأحوال. أما إذا عزم الإقامة التي جزم عليها أكثر من أربعة أيام هذا يصلي أربعًا ولا يصلي قصرًا عند الجمهور، وذهب آخرون إلى أنه ما دام في السفر يصلي ثنتين مطلقًا،

ولا حددوا الإقامة بحد، ما دام لم ينوِ الإقامة المطلقة إنما أقام لعارض.

مداخلة: أحسن الله إليك.

مداخلة: كأن سؤاله ـ أحسن الله إليك ـ عن فرض الظهر الذي سيسافر بعده فقط.

الشيخ: هو المقصود، العمدة ما هو بعلى هذا، العمدة على نيته السابقة.

مداخلة: يعني يكون الفرض هذا.

الشيخ: تبع ما قبله.

الشيخ: إن كان نوى الإقامة السابقة، إن نوى أكثر من أربعة أيام فيتم، سواءً عزم على الرحيل وإلا ما عزم على الرحيل، وإلا بيقيم يومين، زيادة يومين، ثلاثة، أربعة أيام، وإن كان إلا نيته إنما هي أربعة أيام فأقل فإنه يقصر.

مداخلة: وما يجمع العصر، العصر ما يجمعها؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما يقدم العصر ويجمعها؟

الشيخ: له الجمع، ما دام له القصر له الجمع، على الصحيح. الجمع تبع القصر، إنما يختلف الأفضلية، إن كان مقيم مستريح فالأفضل عدم الجمع، وإن كان على ظهر سير فالأفضل الجمع، هذا محل الخلاف.

مداخلة: بارك الله فيك يا شيخ! من لم يزمع الإقامة ثم أتم مع المقيمين، فهل له بعد ذلك أن يقصر، يستمر في القصر؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: من لم يزمع إقامة.

الشيخ: إيه نعم، إن صلَّى مع المقيمين صلَّى أربع، وإن صلَّى واحدة صلَّى ثنتين.

مداخلة: يعني: له بعد أن يتم مع المقيمين.

الشيخ: نعم، يصلِّي ويتم معهم؛ لأنه يجب عليه أن يتم معهم، وإذا صلَّى وحده وصلَّى المسافرين وحدهم صلَّى ثنتين.

حل أربطة الكفن في القبر:

مداخلة: وبالنسبة للميت، أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.؟

● **س: بالنسبة للميت إذا أدخل في القبر، هل تحل جميع الأربطة؟**

الشيخ: الأفضل.

مداخلة: أو يستثنى من ذلك؟

○ **الجواب**: هو الأفضل، نعم، تحل وتبقى في مكانها.

مداخلة: كلها جميعًا.

الشيخ: نعم.

حكم جمع الجمعة والعصر للمسافر:

● **س: أحسن الله إليك! لو سافر المسافر بعد صلاة الجمعة هل يجمع العصر أو يصليها في وقتها؟**

○ **الجواب**: العصر في وقتها، لا تجمع مع الجمعة..

مداخلة: مع الجمعة..

الشيخ: العصر ما تجمع مع الجمعة، تصلَّى في وقتها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ١٥٣، ١٥٤][(١)].

قال محمد بن كعب القرظي، والسدي، وقتادة: سأل اليهود رسولَ الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء. كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة.

قال ابن جُرَيج: سألوه أن ينزل عليهم صحفًا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان، بتصديقه فيما جاءهم به. وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد، كما سأل كفارُ قريش قبلهم نظير ذلك، كما هو مذكور في سورة «سبحان»: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩٣] الآيات. ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾؛ أي: بطغيانهم وبغيهم، وعتوهم وعنادهم. وهذا مفسر في سورة «البقرة» حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر يوم الاربعاء ٩ - ١٠ - ١٤١٦.

في بلاد مصر وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليمّ، فما جاوزوه إلا يسيرًا حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨، ١٣٩]. ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوطة في سورة «الأعراف». وفي سورة «طه» بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله ﷻ، ثم لما رجع وكان ما كان، جعل الله توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه: أن يقتُلَ من لم يعبد العجل منهم من عبده، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، ثم أحياهم الله ﷻ، فقال الله ﷻ: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام، ورفع الله على رؤوسهم جبلًا ثم أُلزموا فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا كله يدلنا على تعنت اليهود وعنادهم وتكبُّرهم ومخالفتهم للأنبياء، والله يقص علينا أخبارهم حتى نلتزم بما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام، وحتى لا نتشبه بهم في العناد والمخالفة؛ بل يجب على كل مؤمن وكل مكلف أن ينقاد للحق بعد ظهور الدليل، وأن يدع التعنت والمخالفة والتحيل والتكبر، متى جاء الحق وجب الخضوع له والالتزام به، فلهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾

[الحشر: ٧]، قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة: ٩٢]. فالواجب على أهل الإيمان أن يطيعوا الله ورسوله، وأن يحذروا غضبه وعقابه، وأن يحذروا التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم، ممن عاند الحق وتكبر عنه، أو أعرض وغفل؛ بل يجب الالتزام بالحق والإقبال عليه والتدبر والتعقل والاستفادة من النصوص؛ حتى تؤدي الواجب كما شرع الله لك، وحتى تحذر المنهي كما نهى الله عنه، فأنت عبد مأمور، فعليك أن تخضع للأوامر، وربك حكيم عليم، جعل جنته ونعيمه وفضله ورضاه لمن قبل الحق وخضع للحق واستقام عليه، وجعل غضبه وعذابه لمن عاند الحق واستكبر وخالف واتبع الهوى. وفي قصتهم وما جرى عليهم عظات وذكرى، فعلينا أن نحذر أخلاقهم وصفاتهم الذميمة، وعلينا أن نأخذ بالحق ونلتزم به، وأن نحذر اتباع الهوى والمعاندة، فإن في ذلك الهلاك السرمدي والعذاب الأبدي. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ أي: فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل، فإنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجدًا، وهم يقولون: حطة؛ أي: اللَّهُمَّ حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه، حتى تهنا في التيه أربعين سنة. فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعرة.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾؛ أي: وصَّيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرّم الله عليهم، ما دام مشروعًا لهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾؛ أي: شديدًا، فخالفوا وعَصَوْا وتحيَّلوا على ارتكاب مناهي الله ﷻ.

مداخلة: أحسن الله إليك! حنطة في شعرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الرواية الأخرى: حبة في شعيرة. يعني: غيروا، المطلوب منهم أن يقولوا: حطة، يعني: حط عنا ذنوبنا واغفر لنا، فعاندوا وقالوا: حنطة في شعيرة أو حنطة في شعرة، ليس له تعلق بما قال الله لهم؛ بل هو بعيد ومخالفة وتلاعب. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣ ـ ١٦٦] الآيات، وسيأتي حديث صفوان بن عسَّال، في سورة «سبحان» عند قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وفيه: «وعليكم ـ خاصة يهود ـ أن لا تعدوا في السبت».

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٩][١].

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ١٣ ـ ١٠ ـ ١٤١٦.

وهذه من الذنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله؛ أي: حججه وبراهينه، والمعجزات التي شاهدوها على أيدي الأنبياء عليهم السلام.

قوله: ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وذلك لكثرة إجرامهم واجترائهم على أنبياء الله، فإنهم قتلوا جمًّا غفيرًا من الأنبياء عليهم السلام بغير حق.

وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَير، وعكرمة، والسّدّي، وقتادة، وغير واحد: أي في غطاء. وهذا كقول المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]. وقيل: معناه أنهم ادَّعَوْا أن قلوبهم غُلُف للعلم؛ أي: أوعية للعلم قد حوته وحصلته. رواه الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وقد تقدم نظيره في سورة البقرة. قال الله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فعلى القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول؛ لأنها في غلف وفي أكنة، قال الله تعالى بل هو مطبوع عليها بكفرهم. وعلى القول الثاني عكس عليهم ما ادَّعَوْه من كل وجه، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾؛ أي: مَرَدت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

والسياق يقتضي خلاف ذلك وأنهم لا يفهمون ولا يعقلون، أنهم ما فهموا ولا عقلوا، وقد كذبوا، لكنه العناد والكذب، الغُلف يعني: ما نفهم، ما فهمنا المراد ولا عقلنا المراد، ولكنه العناد والتكبر والمخالفة

واتباع الهوى. نسأل الله العافية. ولهذا لعنهم الله.. وجرى عليهم ما جرى من النكال، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك! قتلوا جمعًا غفيرًا من الأنبياء؟. كما في الآيات الأخرى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١].

● **س: قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] معناه..**

○ **الجواب:** يعني قابضك، توفي: قبضه، توفيت المال: قبضته. وقال آخرون: معناه وفاة النوم يعني، متوفيك بالنوم، ألقى عليه السَّنَة من النوم ورفعه وهو في نومه، ما هو بوفاة الموت، لم يمت، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، الموت بعدين في آخر الزمان، سوف ينزل ويموت الموتة التي كتبها الله عليه، سوف ينزل بعد خروج الدجال.

● **س: ألا يكون هذا الأثر له حكم الرفع عن ابن عباس؟**

○ **الجواب:** محتمل، ابن عباس يروي عن بني إسرائيل، محتمل، ولكن نص القرآن كاف: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، أما كونهم اثنا عشر ربما... هذا مما ذكره ابن عباس والله أعلم، لأن ابن عباس ليس ممن يتباعد عن النقل عن أهل الكتاب، ولهذا ما يرويه لا يحكم بحكم الرفع؛ بل يحتمل. لأنه يروي عن بني إسرائيل كثيرًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «يعني أنهم رموها بالزنا». وكذا قال السدي، وجُوَيْبِر، ومحمد بن إسحاق وغير واحد. وهو ظاهر من الآية: أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية، وقد حملت بولدها من ذلك ـ زاد بعضهم: وهي حائض ـ فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

وقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه. وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وكان من خبر اليهود ـ عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه ـ أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشاهَدُ طيرانه بإذن الله، ﷻ، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسَعَوْا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى ﵇، لا يساكنهم في بلدة؛ بل يكثر السياحة هو وأمه ﵉، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان ـ وكان رجلًا مشركًا من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته: اليونان ـ وأنهوا إليه: أن ببيت المقدس رجلًا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس. فلما وصل الكتاب امتثل مُتَولِّي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى ﵇، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر ـ وقيل: سبعة عشر نفرًا ـ وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك. فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يُلْقَى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتَدَب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يَنْتَدبُ إلا ذلك الشاب ـ فقال: أنت هو ـ وألقى اللهُ عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفُتحَت رَوْزَنَة من سقف

البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنةٌ من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجَّحوا بذلك، وسلَّم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال أنه خاطبها(١) والله أعلم.

وهذا كله من امتحان الله عباده؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد وضَّح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالى وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السمٰوات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؛ أي: رأوا شبهه فظنوه إياه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾، يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سَلَّمه إليهم جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسُعُر. ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾؛ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو؛ بل شاكِّين متوهِّمين. ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾؛ أي منيع الجناب لا يُرام جنابه، ولا

---

(١) هذه القصة ورد معظمها بأسانيد ثابتة كما سيأتي، وهي من أخبار أهل الكتاب التي لا تخالف القرآن والسّنّة بل غالباً ما توافقها.

يُضام من لاذ ببابه ﴿حَكِيمًا﴾؛ أي: في جميع ما يقدِّره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه ـ وفي البيت اثنا عشر رجلًا من الحواريين ـ يعني: فخرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي. ثم قال: أيكم يُلْقَى عليه شبهي، فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًّا، فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شَبَه عيسى ورفع عيسى من رَوْزَنَة في البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه، ثم صلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن به.

وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ.

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ورواه النسائي عن أبي كُرَيب، عن أبي معاوية، بنحوه. وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال لهم: أيكم يُلقى عليه شبهي فيقتلَ مكاني، وهو رفيقي في الجنة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ونصُّ القرآن في هذا واضح: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، ﴿إِذْ

قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، فالله أنجاه من شرهم وألقى الشبه على غيره، وتم أمر الله فيما أراد وقدَّر ابتلاءً وامتحانًا لهؤلاء، وإقامة الحجة على عنادهم وكفرهم وضلالهم، وهو سبحانه الحكيم العليم، يبتلي عباده بالسراء والضراء والشدة والرخاء، ويبتلي الأنبياء بأعدائهم، ثم تكون العاقبة لمن نصر الحق وتابع الحق والهدى، كما جرى لنبينا محمد ﷺ وكما جرى له في المدينة، وكما جرى يوم أحد ويوم بدر ويوم الأحزاب، كل ذلك من آيات الله، فهو سبحانه يبتلي أولياءه وتكون العاقبة لأهل التقوى.

الأسئلة:

● **س: المراد من قوله تعالى: (إني متوفيك)..**

○ **الجواب:** يعني قابضك، توفي قبضه، توفيت المال: قبضته. وقال آخرون: معناه وفاة النوم يعني، متوفيك بالنوم، ألقى عليه السِّنة في النوم ورفعه وهو في نومه، ما هو بوفاة الموت، لم يمت، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، الموت بعدين في آخر الزمان، سوف ينزل ويموت الموتة التي كتبها الله عليه، سوف ينزل بعد خروج الدجال.

الحكم على حديث ابن عباس في قصة رفع عيسى من جهة الرفع والوقف:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! ألا يكون هذا الأثر له حكم الرفع عن ابن عباس؟**

○ **الجواب:** محتمل، ابن عباس يروي عن بني إسرائيل، محتمل، ولكن نص القرآن كاف: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، أما كونهم اثنا عشر ربما... هذا مما ذكره ابن عباس والله أعلم، لأن ابن عباس ليس ممن يتباعد عن النقل عن أهل

الكتاب، ولهذا ما يرويه لا يحكم بحكم الرفع، بل يحتمل. نعم. لأنه يروي عن بني إسرائيل كثيرًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القُمّي، عن هارون بن عنترة، عن وهب بن مُنَبِّه قال: أتى عيسى وعنده سبعة عشر من الحواريين في بيت وأحاطوا بهم. فلما دخلوا عليه صَوَّرهم الله ﷻ، كلهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتمونا. ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعًا. فقال عيسى لأصحابه: من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال رجل منهم: أنا. فخرج إليهم وقال: أنا عيسى ـ وقد صوَّره الله على صورة عيسى ـ فأخذوه وقتلوه وصلبوه. فمن ثَمَّ شُبّه لهم، فظنوا أنهم قد قتلوا عيسى، وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى من يومه ذلك. وهذا سياق غريب جدًّا.

قال ابن جرير: وقد روي عن وهب نحو هذا القول، وهو ما حدثني به المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن مِعْقَل: أنه سمع وهبًا يقول: إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا، جزع من الموت وشَقَّ عليه، فدعا الحواريين فصنع لهم طعامًا، فقال: احضروني الليلة، فإن لي إليكم حاجة. فلما اجتمعوا إليه من الليل عَشَّاهم وقام يخدمهم. فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده، ويمسح أيديهم بثيابه، فتعاظموا ذلك وتكارهوه، فقال: ألا من رد عليَّ شيئًا الليلة مما أصنع، فليس مني ولا أنا منه. فأقرّوه، حتى إذا فرغ من ذلك قال: أمّا ما صنعت بكم الليلة، مما خدمتكم على الطعام، وغسلت أيديكم بيدي، فليكن لكم بي أسوة، فإنكم ترون أني خيركم، فلا يتعظَّم بعضكم على بعض، وليبذلْ بعضكم نفسه لبعض، كما بذلت نفسي لكم. وأما حاجتي الليلة التي أستعينكم عليها فتدعون لي الله،

وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي. فلما نصبوا أنفسهم للدعاء، وأرادوا أن يجتهدوا، أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله! أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينونني فيها؟ قالوا: والله ما ندري ما لنا. لقد كنا نَسْمُر فنكثر السَّمَرَ، وما نطيق الليلة سَمَرًا، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه. فقال: يُذْهَب بالراعي وتفرق الغنمُ. وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعَى به نفسه. ثم قال: الحقَّ، ليَكْفُرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعنّي أحدكم بدراهم يسيرة، وليأكلن ثمني، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، وأخذوا شمعون أحد الحواريين، وقالوا: هذا من أصحابه. فجحد وقال: ما أنا بصاحبه فتركوه، ثم أخذه آخرون، فجحد كذلك. ثم سَمعَ صوتَ ديك فبكى وأحزنه، فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لي إن دَلَلْتُكُمْ على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا، فأخذها ودلَّهم عليه، وكان شُبِّه عليهم قبل ذلك، فأخذوه فاستوثقوا منه، وربطوه بالحبل، وجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحيي الموتى، وتنهر الشيطان، وتبرئ المجنون، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه، ويلقون عليه الشوك، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها، فرفعه الله إليه، وصلبوا ما شُبِّه لهم فمكث سبعًا.

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى عليه السلام، فأبرأها الله من الجنون، جاءتا تبكيان حيث المصلوب، فجاءهما عيسى فقال: علام تبكيان؟ فقالتا: عليك. فقال: إني قد رفعني الله إليه، ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شُبِّه لهم فَأْمُرَا الحواريين يلقَوْني إلى مكان كذا وكذا. فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر. وفقدوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه فقال: إنه ندم على ما صنع فاختنق، وقتل نفسه فقال: لو تاب لتاب الله عليه. ثم سألهم عن غلام كاد يتبعهم،

يقال له: يحيى، قال: هو معكم، فانطلقوا، فإنه سيصبح كل إنسان يحدّثُ بلغة قومه، فلينذرهم وليدعهم[(١)]. سياق غريب جدًّا

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه خرافات، من خرافات بني إسرائيل وضلالاتهم، والأمر كما قاله الله ﷻ، شبه لهم ورفع المسيح ولم ينزل بعد ذلك، سوف ينزل في آخر الزمان عليه الصلاة والسلام، كما جاءت به السُّنَّة المتواترة عن النبي ﷺ. ولكن هذه السياقات من اختلاق بني إسرائيل، وضلال كثير منهم وغباوة كثير منهم وكفر كثير منهم. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: كان اسم ملك بني إسرائيل الذي بعث إلى عيسى ليقتله رجلًا منهم، يقال له: داود، فلما أجمعوا لذلك منه، لم يفْظع عبد من عباد الله بالموت ـ فيما ذكر لي ـ فَظَعَه ولم يجزع منه جزعه، ولم يدع الله في صرفه عنه دعاءه، حتى إنه ليقول ـ فيما يزعمون ـ: «اللَّهُمَّ إن كنت صارفًا هذه الكأس عن أحد من خلقك فاصرفها عني» وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتفصَّد دمًا. فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يَدْخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه، وهم ثلاثة عشر بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلما أيقن أنهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحواريين ـ وكانوا اثني عشر رجلًا بطرس ويعقوب بن زبدي ويحنس أخو يعقوب، وأنداربيس، وفيلبس، وأبرثلما ومنى وتوماس، ويعقوب بن حلفيا، وتداوسيس، وقثانيا ويودس زكريا يوطا[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه وهو من الإسرائيليات التي وسع بها وهب بن منبه.

(٢) في بعض هذه الأسماء ورد فيها بعض التصحيفات ضبطت من رواية الطبري، فقد أخرج بسنده ومتنه وفيه أيضًا محمد بن حميد الرازي. وأخرجه في تاريخه أيضًا (١/ ٦٠١).

قال ابن حميد: قال سلمة، قال ابن إسحاق: وكان فيهم فيما ذكر لي رجل اسمه سرجس، فكانوا ثلاثة عشر رجلًا سوى عيسى عليه السلام، جحدته النصارى، وذلك أنه هو الذي شُبِّه لليهود مكان عيسى عليه السلام قال: فلا أدري ما هو؟ من هؤلاء الاثني عشر، أو كان ثالث عشر، فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسى، وكفروا بما جاء به محمد ﷺ من الخبر عنه. فإن كانوا ثلاثة عشر فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم بعيسى أربعة عشر، وإن كانوا اثني عشر، فإنهم دخلوا المدخل [حين دخلوا] وهم ثلاثة عشر(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

على كل حال، هذه أخبار ما لها، أقول: أخبار بني إسرائيل ما لها قيمة، لأنهم عندهم من الكذب والزيادة والنقص والتحريف ما هو معلوم.

مداخلة: ما يعود الضمير - إلى النصارى فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسى.

○ **الجواب**: ظاهر السياق في «سرجس» لإنه أقرَّ قال: أنا عيسى حتى صلبوه، أقرَّ لهم أنه عيسى

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل كان نصرانيًّا فأسلم: أن عيسى حين جاءه من الله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: يا معشر الحواريين، أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يشبه للقوم في صورتي، فيقتلوه في مكاني؟ فقال سرجس: أنا، يا روح الله. قال: فاجلس في مجلسي. فجلس فيه، ورفِع عيسى عليه السلام، فدخلوا عليه

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وحكمه كسابقه.

فأخذوه فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه وشُبّه لهم به، وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة، قد رأوهم وأحصوا عدتهم. فلما دخلوا عليه ليأخذوه وجدوا عيسى، فيما يُرَون وأصحابه، وفقدوا رجلًا من العدة، فهو الذي اختلفوا فيه وكانوا لا يعرفون عيسى، حتى جعلوا ليودس زكريا يوطا ثلاثين درهما على أن يدلهم عليه ويعرفهم إياه، فقال لهم: إذا دخلتم عليه فإني سَأقبلهُ، وهو الذي أقبِّل، فخذوه. فلما دخلوا وقد رفع عيسى، ورأى سرجس في صورة عيسى، فلم يشك أنه عيسى، فأكب عليه فقبله فأخذوه فصلبوه.

ثم إن يودس زكريا يوطا ندم على ما صنع، فاختنق بحبل حتى قتل نفسه، وهو ملعون في النصارى، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه، وبعض النصارى يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم، فصلبوه وهو يقول: «إني لست بصاحبكم. أنا الذي دللتكم عليه». والله أعلم أي ذلك كان[١].

وقال ابن جرير، عن مجاهد: صلبوا رجلًا شبَّهوه بعيسى، ورفع الله ﷻ، عيسى إلى السماء حيًّا[٢].

واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقي على جميع أصحابه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾، يعني بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، يعني: قبل موت عيسى يُوَجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به

---

(١) أخرجه الطبري بسنده السابق ومتنه.
(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٣) التفسير (٦/ ٣٧٤) ط. شاكر.

إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان، عن أبي حُصَين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام[١]. وقال العوفي عن ابن عباس مثل ذلك[٢].

وقال أبو مالك في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به[٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

والمعنى (إن) نافية، يعني: ما من أهل الكتاب أحد إلا يؤمن به، يعني: يوم نزوله حين ينزل في آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال ويحكم بشريعة محمد ﷺ، فإن الناس يؤمنون به من اليهود والنصارى وغيرهم. الله المستعان.

● **س: بالنسبة للدعاء، رفع اليدين مطلقًا عند الدعاء المطلق هل في ذلك شيء؟**

○ **الجواب**: قد تبين أن رفع اليدين عند الدعاء سُنَّة، هذا من أسباب الإجابة، **«إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»**[٤].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٣٠٩) ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه (الصحيح في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام برقم (٢٤٢)).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، ويشهد له سابقه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق حصين السلمي عن أبي مالك نحوه.

(٤) سبق تخريجه في (١/ ٣١٢).

في الحديث الصحيح في الذي يقول: «**يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»[١] إلى آخره. يرفع يديه، لكن المواضع التي فعلها النبي ﷺ ولم يرفع فيها لا يرفع فيها، مثل خطبة الجمعة لا يرفع، ما كان النبي ﷺ يرفع، وهكذا إذا سلم من صلاة الفريضة ما كان يرفع عليه الصلاة والسلام، وهكذا بين السجدتين ما كان يرفع، وهكذا في آخر الصلاة، الدعاء في آخرها قبل أن يسلِّم ما كان يرفع، ففعله سُنَّة وتركه سُنَّة، تركه سُنَّة وفعله سُنَّة، عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: بالنسبة للتثاؤب إذا تثاؤب في الصلاة قد ورد حديث..

الشيخ: يضع يده على فمه ولا يقول ها، يكظم ما استطاع ويضع يده على فيه في الصلاة وخارجها.

● **س: وهل ورد أثر فيه قول؟**

○ **الجواب**: لا، ما في قول، لا.

مداخلة: ما يقول شيء؟

○ **الجواب**: إنما بعض الناس يقول: أعوذ بالله من الشيطان، لأنه من الشيطان، النبي ﷺ يقول: «**التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ هَا. ضَحِكَ الشَّيْطَانُ**»[٢].

فلما علموا أنه من الشيطان بعض الناس يقول: أعوذ بالله من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها برقم (١٠١٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب برقم (٢٩٩٤).

الشيطان، لقول الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، أخذوها من هذا، الأمر فيها واسع.

مداخلة: فإذا قال أعوذ بالله من الشيطان ليس فيه..؟

○ **الجواب**: ما نعلم فيه شيء، لأن هذا معروف إنه من نزغاته، لكن ما نعرف فيه شيء ورد يعني، لكن من فعل ما يقال سُنَّة. نعم. من قاله فلا حرج.

مداخلة: الحديث الذي قيد ذلك بأنه يكظم ما استطاع، (إذا تثاءب أحدكم)؟

○ **الجواب**: كلها في الصحيح، كلها أحاديث صحيحة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، يعني: اليهود خاصة. وقال الحسن البصري: يعني النجاشي وأصحابه. ورواهما ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: وحدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا أبو رجاء، عن الحسن: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى. والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن عثمان اللاحقي، حدثنا جويرية بن بشر قال: سمعت رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد، قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: «قبل موت عيسى. إن الله رفع إليه عيسى إليه وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البر والفاجر».

وكذا قال قتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وغير واحد. وهذا القول هو الحق، كما سنبينه بعد بالدليل القاطع، إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.

قال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قبل موت الكتابي. ذكرَ من كان يُوَجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل؛ لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى.

حدثني المثنى، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته ـ قبل موت صاحب الكتاب ـ وقال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نَفْسُه حتى يؤمن بعيسى.

حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا أبو نُمَيْلة يحيى بن واضح، حدثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، ولو عجل عليه بالسلاح.

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، حدثنا عتَّاب بن بَشِير عن خُصَيْف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: هي في قراءة أبي: «قَبْلَ مَوْتِهِمْ» ليس يهودي يموت أبدًا حتى يؤمن بعيسى. قيل لابن عباس: أرأيت إن خَرّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهُوِيّ. فقيل: أرأيت إن ضربت عنق أحد منهم؟ قال: يُلَجْلج بها لسانه.

وكذا رَوَى سفيان الثوري عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام، وإن ضرب بالسيف تكلم به، قال: وإن هَوَى تكلم به وهو يَهْوي.

وكذا روى أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي هارون الغَنَوي عن عكرمة، عن ابن عباس. فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس، وكذا صَحّ عن مجاهد، وعكرمة، ومحمد بن سيرين. وبه يقول الضحاك وجُوَيْبر، والسدي، وحكاه عن ابن عباس، ونَقل قراءة أبيّ بن كعب: «قبل موتهم».

وقال عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن فرات القزاز، عن الحسن في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت.

وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه، ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء.

قال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي.

ذِكر من قال ذلك:

حدثني ابن المثنى، حدثنا الحجاج بن مِنْهال، حدثنا حماد، عن حميد قال: قال عكرمة: لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾.

ثم قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القولُ الأولُ، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام، إلا آمن به قبل موته، أي قبل موت عيسى عليه السلام، ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ـ التي سنوردها إن

شاء الله قريبًا ـ فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ـ يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان؛ بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف ـ فأخبرت هذه الآية الكريمة أن يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم؛ ولهذا قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾؛ أي: قبل موت عيسى، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾؛ أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى: أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد، عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره يَتَجَلَّى له ما كان جاهلًا به، فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيمانًا نافعًا له، إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الآية [النساء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥]. وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول، حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا، لكان كل من آمن بمحمد أو بالمسيح، ممن كفر بهما ـ يكون على دينهما، وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه؛ لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته. فهذا ليس بجيد؛ إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلمًا، ألا ترى إلى قول ابن عباس: ولو تردَّى من شاهق أو ضُرب بسيف أو افترسه سَبُع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى». فالإيمان في مثل هذه الحالات ليس بنافع، ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه، والله أعلم.

ومن تأمل هذا جيدًا وأمعن النظر، اتضح له أن هذا، وإن كان هو

الواقع، لكن لا يلزم منه أن يكون المرادُ بهذه الآية هذا؛ بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام، وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة؛ ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتضادّت وتعاكست وتناقضت، وخلت عن الحق، ففرّط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى: تَنَقَّصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه بما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عن قول هؤلاء وهؤلاء علوًّا كبيرًا، وتنزه وتَقَدّس لا إلٰه إلا هو.

ذِكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم القيامة، وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قال البخاري رحمه الله، في كتاب ذكر الأنبياء، من صحيحه المتلقى بالقبول: (نزول عيسى ابن مريم عليه السلام): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها**». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[(١)].

وكذا رواه مسلم عن الحسن الحُلْواني وعبد بن حميد كلاهما، عن يعقوب، به وأخرجه البخاري ومسلم، أيضًا، من حديث سفيان بن

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب قتل الخنزير برقم (٢٢٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم برقم (١٥٥).

عيينة، عن الزهري، به وأخرجاه من طريق الليث عن الزهري به. ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**». قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ موت عيسى ابن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات.

طريق أخرى عن أبي هريرة: قال الإمام أحمد: حدثنا رَوْحٌ، حدثنا محمد بن أبي حَفْصَة، عن الزُّهْري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيُهِلَّنَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ بِالْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ أَوْ لَيُثَنِّيَهُمَا جَمِيعًا**»(١). وكذا رواه مسلم منفردًا به من حديث سفيان بن عيينة، والليث بن سعد، ويونس بن يزيد، ثلاثتهم عن الزهري به.

وقال أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا سفيان ـ هو ابن حسين ـ عن الزهري، عن حنظلة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَمْحُو الصَّلِيبَ وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ وَيُعْطَى الْمَالُ حَتَّى لَا يُقْبَلَ وَيَضَعُ الْخَرَاجَ وَيَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ فَيَحُجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ أَوْ يَجْمَعُهُمَا**». قال: وتلا أبو هريرة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾، فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى، فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء

---

(١) أخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة في كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه برقم (١٢٥٠)، والإمام أحمد (٢/ ٥١٣).

قاله أبو هريرة[(١)] كذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي موسى محمد بن المثنى، عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين عن الزهري، به.

طريق أخرى: قال البخاري: حدثنا أبن بُكَير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري؛ أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**»[(٢)] تابعه عقيل والأوزاعي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى و«**إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**» يعني القرآن، يعني: يؤمهم بالقرآن، فإنه ﷺ إذا نزل يحكم بشريعة محمد ﷺ وهو القرآن، ولهذا قال: «**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وتكون السجدة لله وحده، يعني: يدخل الناس في الإسلام، ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف، عليه الصلاة والسلام.

● **س: وتجمع له الصلاة؟**

○ **الجواب**: يعني مع الإمارة، يصلي بالناس وهو أميرهم، أمير المؤمنين وهو الذي يصلي بهم.

مداخلة: أحسن الله إليك. في نزول عيسى

هل يرتفع الاجتهاد؟ عند العلماء؟: إذا نزل عيسى

هل يكون هناك اجتهاد للعلماء في الأحكام؟ هل يرتفع اجتهاد العلماء في مسائل الاجتهادات؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٩٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ برقم (٣٤٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ برقم (١٥٥).

○ **الجواب**: باقية، الحكم بشريعة محمد ﷺ، هو يحكم بشريعة محمد ﷺ وهم يحكمون بشريعة محمد ﷺ، ما هو بنبي لهم، هو يحكم بشريعة محمد ﷺ، ما يأتي شيء جديد، إلا أن الشريعة مؤقتة إلى نزوله في كسر الصليب وعدم قَبول الجزية، وكانت الشريعة فيها قبول الجزية حتى ينزل عيسى، فإذا نزل عيسى انتهى قَبولها.

المراد بقوله: (الأنبياء إخوة لعَلَّات)

○ **الجواب**: والعلَّات هنا يعني: الشرائع، شبَّهها بالعلات، يعني: أمهاتهم متعددة وأبوهم واحد، هكذا الأنبياء دينهم واحد وهو توحيد الله واتباع شريعته، طاعة أوامره، ترك نواهيه، لكن الشرائع مختلفة في الواجبات والمحرمات..

مداخلة: !..

● **س: هل صح أنهم يقاتلون في مكانهم هذا؟.؟**

○ **الجواب**: نعم، في، في الأردن هناك، يحاصرونهم في القدس.

● **س: الغرقد هذا هو الأركد؟**

○ **الجواب**: ما أدري والله، ما أعرفه، يسمونه شجر اليهود.

الحكمة من وجود الدجال

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هذا ابتلاء وامتحان، فتنة عظيمة، ابتلاء وامتحان، لكن من صبر جعل الله له العاقبة الحميدة ورد عليه ما كان شاردًا وأغناه، فالمسألة تحتاج إلى الصبر والثبات، ولهذا قال ﷺ: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**» رواه مسلم[١] في الصحيح. وشرع الله لنا أن نستعيذ من فتنته في كل صلاة، فتنة لكل مفتون، ولا سيما مع قلة

---

(١) أخرجه من حديث عمران بن حصين في كتاب الفتن، باب في بقية أحاديث الدجال برقم (٢٩٤٦).

العلم وقلة الدين وكثرة الجهل وكثرة المضادين للإسلام، فالمسألة لا شك أنها عظيمة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● **س: مراده ﷺ بقوله: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ»[(١)]؟**

○ **الجواب**: يعني لما يفتح مثل ما يفتح عليه من زهرة الدنيا وزينتها أو ما يصدهم عن الآخرة من الغفلة، والشهوات التي تغلب على الخلق من أول الزمان إلى آخره، مثلما فسرها في الحديث الآخر.

● **س: أحسن الله إليك! الحكمة في تحذير الأنبياء أممهم الدجَّال مع إنه لا يظهر إلا في هذه الأمة؟**

○ **الجواب**: لعظم فتنته، ولعله ما بُيِّن لهم أنه يكون في أمة محمد ﷺ فلهذا حذَّروهم، يوحى إليهم أن يحذروا من الدجال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عندك شيء على مهرودتين؟

مداخلة: نعم؛ أي: في شقتين أو حُلَّتين. وقيل: الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران. وقال ابن قتيبة: هو خطأ من النقلة، وأراد: مهروتين؛ أي: صفراوين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتمل. نعم. كأنه شيء، أقول: كأنه شيء يكون عن يمينه وشماله، مثلما تقدم في قوله: ممصَّرتين أو بين ممصرتين سمَّاه مهرودتين، أو شيء آخر أيضًا من اللباس. انظر النهاية: هرد، باب الهاء مع الراء: هرد. قد يكون مهرودتين مثل ما تقدم من حلتين ممصرتين.

مداخلة: ما مراده هنا بالمنارة؟

---

(١) أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المنارة المعروفة الذي يؤذن عليها.

مداخلة: هذا فيه إخبار من النبي ﷺ على..... إخبار عما سيكون في آخر الزمان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، وعن عثمان بن عمر، عن ابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهري، به. وأخرجه مسلم من رواية يونس والأوزاعي وابن أبي ذئب، به.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همَّام، أنبأنا قتادة، عن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لِعَلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مُمَصّرَان، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بَلَل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام.**

ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يُتَوَفى ويصلي عليه المسلمون».

وكذا رواه أبو داود، عن هُدْبَة بن خالد، عن همام بن يحيى. رواه ابن جرير ـ ولم يورد عند هذه الآية سواه ـ عن بِشْر بن معاذ، عن يزيد بن هارون، عن سعيد بن أبي عَروبة ـ كلاهما عن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن آدم ـ وهو مولى أمّ بُرْثُن ـ صاحب السقاية، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فذكر نحوه، وقال: فيقاتل الناس على الإسلام.

وقد روى البخاري، عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي**».

ثم روى عن محمد بن سِنَان: عن فُلَيْح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمٰن بن أبي عَمْرَة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»، وقال إبراهيم بن طَهْمَان، عن موسى بن عقبة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ.

حديث آخر: قال مسلم في صحيحه: حدثني زُهَير بن حرب، حدثنا مُعَلى بن منصور، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق** ـ أو بدابق ـ **فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا قال الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويُقْتَلُ ثلثه أفضل الشهداء عند الله** ﷻ **ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم قد عَلَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذْ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون، وذلك باطل. فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدّون للقتال: يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأَمَّهم فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حَرْبته**».

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا هُشَيْم، عن العَوَّام بن

حَوْشَب، عن جَبَلة بن سُحَيْم، عن مُؤثر بن عَفَازَة، عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «**لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، **فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله، وفيما عهد إلي ربي** ﷻ **أن الدجال خارج قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال: فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافرًا فتعالَ فاقتله: قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَب ينسلون، فيطؤون بلادهم، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، قال: ثم يرجع الناس إليّ يشكونهم، فأدعو الله عليهم، فيهلكهم ويميتهم، حتى تَجْوَى الأرضُ من نَتْن ريحهم، وينزل الله المطر، فيجترف أجسادهم حتى نقذفهم في البحر، ففيما عهد إلي ربي** ﷻ **أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتِمّ، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلًا أو نهارًا**».

رواه ابن ماجه، عن محمد بن بشَّار، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حَوْشَب، به نحوه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نَضرة قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة؛ لنعرض عليه مصحفًا لنا على مصحفه، فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا، ثم أتينا بطيب فتطيبنا، ثم جئنا المسجد فجلسنا إلى رجل، فحدثنا عن الدجال، ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا إليه، فجلسنا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون للمسلمين ثلاثة أمصار: مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام. فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيخرج الدجال في أعراض الناس، فيهزم من قبل**

المشرق، فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين، فيصير أهلهم ثلاث فرق: فرقة تُقيم تقول: نُشَامه ننظر ما هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم. ومع الدجال سبعون ألفًا عليهم السيجان وأكثر من معه اليهود والنساء، ثم يأتي المصر الذي يليه، فيصير أهله ثلاث فرق: فرقة تقول: نشامه وننظر ما هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغرب الشام وينحاز المسلمون إلى عقبة أَفِيق فيبعثون سَرْحًا لهم، فيصاب سَرْحهم، فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد، حتى إن أحدهم ليحرقُ وتَرَ قَوْسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السَّحَر: «يا أيها الناس، أتاكم الغوث ثلاثًا» فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لَصَوْت رجل شبعان، وينزل عيسى ابن مريم، عليه السلام، عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: رُوح الله، تَقَدَّمْ صَلِّ. فيقول: هذه الأمة أمراء، بعضهم على بعض. فيتقدم أميرهم فيصلي، فإذا قضى صلاته أخذ عيسى حَرْبَته، فيذهب نحو الدَّجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حَرْبته بين ثَنْدوَته فيقتله وينهزم أصحابه، فليس يومئذ شيء يواري أحدًا، حتى إن الشجرة لتقول: يا مؤمن، هذا كافر. ويقول الحجر: يا مؤمن، هذا كافر». تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه المشهورة: حدثنا علي بن محمد، حدثنا عبد الرحمٰن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع أبي رافع، عن أبي زُرْعَة الشيباني يحيى بن أبي عمرو، عن أبي أُمَامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثرُ خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال: **«لم تكن فتنة في الأرض، منذ ذرأ الله ذُرِّية آدم عليه السلام، أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيًّا إلا حَذَّر أُمَّته الدجال. وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظَهْرَانيكم، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يَخْرُج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله**

خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خَلّة بين الشام والعراق، فيعيث يمينًا ويعيث شمالًا.

ألا يا عباد الله، أيها الناس، فاثبتوا. وإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي: إنه يبدأ فيقول أنا نبي فلا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا. وإنه أعور وإن ربكم ﷻ، ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كلّ مؤمن، كاتب وغير كاتب. وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار. فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا، كما كانت النار على إبراهيم عليه السلام وإن من فتنته أن يقول لأعرابيّ: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني، اتبعه، فإنه ربك. وإن من فتنته أن يُسَلّط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار، حتى يُلْقَى شقين ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربًّا غيري. فيبعثه الله، فيقول له الخبيث: من ربك، فيقول: ربي الله. وأنت عدو الله، الدجال، والله ما كنتُ بعدُ أشدّ بصيرة بك مني اليوم».

قال أبو حسن الطَّنَافِسيّ: فحدثنا المحاربي، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصّافي، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة**».

قال: قال أبو سعيد: والله ما كنا نُرَى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتى مضى لسبيله. ثم قال المحاربي: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: «**وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تُمْطر، فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت، فتنبت، وإن من فتنته أن يَمُر بالحي فيكذبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدِّقونه، فيأمر السماء أن تمطر، فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت، فتنبت. حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمَدّه خواصر، وأدرَّه**

ضُروعًا، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نَقْب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلتة، حتى ينزل عند الظّرَيب الأحمر، عند مُنْقَطع السَّبخَة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رَجَفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فَتَنْفي الخَبَثَ منها كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص».

فقالت أم شَرِيك بنت أبي العَكَر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: «**هم قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يُصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم ﷷ، الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى؛ ليقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى ﷷ، يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى ﷷ: افتحوا الباب. فيفتح، ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربًا، ويقول عيسى ﷷ إن لي فيك ضَرْبَة لن تستبقني بها. فيدركه عند باب لُدّ الشرقي، فيقتله، ويهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به اليهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة** - إلا الغَرْقدة فإنها من شجرهم لا تنطق - **إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي، فتعال اقتله**».

قال رسول الله ﷺ: «**وإن أيامه أربعون سنة، السَّنَة كنصف السّنَة، والسَّنَة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي**». فقيل له: يا نبي الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: «**تقدرون فيها الصلاة كما تقدرون في هذه الأيام الطوال. ثم صَلّوا**».

قال رسول الله ﷺ: «**فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلًا وإمامًا مُقْسطًا، يَدُقُّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويترك**

الصدقة، فلا يُسْعَى على شاة ولا بعير، وترتفع الشحناء والتباغض، وتُنزع حُمَةَ كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفرُّ الوليدة الأسدّ فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرضُ من السّلم كما يُمْلأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القِطْف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا، من المال، ويَكون الفرس بالدريهمات.» قيل: يا رسول الله، وما يُرخص الفرس؟ قال: «**لا تُركب لحرب أبدًا**» قيل له: فما يُغلي الثور؟ قال: «**تُحْرث الأرض كلها**».

«**وإن قَبْلَ خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السَّنَة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السَّنَة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تَقْطر قطرة، ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله، فلا تُنْبتُ خضراء، فلا تبقى ذات ظِلْف إلا هلكت، إلا ما شاء الله**».

فقيل: فما يُعيِّش الناس في ذلك الزمان؟ قال: «**التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام**».

قال ابن ماجه: سمعت أبا الحسن الطَّنَافِسي يقول: سمعت عبد الرحمٰن المحاربي يقول: ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب، حتى يعلمه الصبيان في الكتَّاب.

هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر؛ ولنذكر حديث النواس بن سمعان هاهنا لشبهه بسياقه هذا الحديث، قال مسلم بن الحجاج في صحيحه:

حدثنا أبو خَيْثَمَةَ زُهَير بن حرب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص، حدثني عبد الرحمٰن بن جبير، عن أبيه جبير بن نُفَير الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي (ح) وحدثنا محمد بن مِهْران الرازي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمٰن بن جبير، عن أبيه جُبَيْر، بن نُفَيْر، عن النوّاس بن سَمْعان قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ: «**لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ**

يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ

مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ابتلاء وامتحان، فتنة عظيمة، ابتلاء وامتحان، لكن من صبر جعل الله له العاقبة الحميدة ورد عليه ما كان شاردًا وأغناه، فالمسألة تحتاج إلى الصبر والثبات، ولهذا قال ﷺ: **«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أعظم من الدجال»** كما تقدم. رواه مسلم في الصحيح. وشرع الله لنا أن نستعيذ من فتنته في كل صلاة، فتنة لكل مفتون، ولا سيما مع قلة العلم وقلة الدين وكثرة الجهل وكثرة المضادين للإسلام، فالمسألة لا شك أنها عظيمة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● **س: مراده ﷺ بقوله: «غير الدجال أخوفني عليكم»**.

○ **الجواب**: يعني لما يفتح مثل ما يفتح عليه من زهرة الدنيا وزينتها أو ما يصدهم عن الآخرة من الغفلة، والشهوات التي تغلب على الخلق من أول الزمان إلى آخره، مثلما فسرها في الحديث الآخر.

● **س: أحسن الله إليك! الحكمة في تحذير الأنبياء أممهم الدجال مع إنه لا يظهر إلا في هذه الأمة؟**

○ **الجواب**: لعظم فتنته، ولعله ما بيَّن لهم أنه يكون في أمة محمد ﷺ، فلهذا حذروهم، يوحى إليهم أن يحذروا من الدجال ولم يبين لهم متى يكون؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عندك شيء على مهرودتين؟ قال: أي: في شقتين أو حُلَّتين. وقيل: الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران. وقال ابن قتيبة: هو خطأ من النقلة، وأراد: مهروتين؛ أي: صفراوين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتمل. نعم. كأنه شيء، أقول: كأنه شيء يكون عن يمينه وشماله، مثلما تقدم في قوله: ممصرتين أو بين ممصرتين سمَّاه مهرودتين، أو شيء آخر أيضًا من اللباس. شوف النهاية: هرد، باب الهاء مع الراء: هرد. قد يكون مهرودتين مثل ما تقدم من حلتين ممصرتين.

مداخلة: أحسن الله إليك! ما مراده هنا بالمنارة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المنارة المعروفة الذي يؤذن عليها.

مداخلة: هذا فيه إخبار من النبي ﷺ على......

الشيخ: إخبار عما سيكون في آخر الزمان. باب لد هذا من أحد أبواب القدس.

يحصر من جهة شر هؤلاء يأجوج ومأجوج، يحصروا في محلهم في القدس لشدة شر هؤلاء. يأجوج ومأجوج، يتحرز في الجبال. ماذا قال عندك هرد؟

مداخلة: يقول في النهاية: في حديث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ينزل بين مهرودتين؛ أي: في شقتين أو حلتين. وقيل: الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران ويجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة. قال القتيبي: هو خطأ من النقلة، وأراه: مهروتين؛ أي: صفراوين.

الشيخ: الأقرب والله أعلم مثل ما تقدم أنه حلتين ممصرتين، يعني: بيضاء فيها صفرة..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم يأتي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قومًا قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله ﷻ، إلى

عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يَدَانِ لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَب يَنْسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طَبَرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرّة ماء. ويُحْصَر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم فيصبحون فَرْسَى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهُمْ ونَتْنُهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

مداخلة: أحسن الله إليكم! أصحاب عيسى عليه السلام هل لهم فضل؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل لهم فضل أصحاب عيسى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما فيه شك، صحبته رضي الله عنهم ومعاونته على جهاد أعداء الله.

مداخلة: ما ورد فيه شيء؟

الشيخ: في الحديث الصحيح أن الغرباء لهم فضل خمسين على الصحابة، خمسين منكم، الغرباء في آخر الزمان كيف بأصحاب عيسى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

التي أعرفها أنها بالقاف، يعني: حتى يدعها صافية مرة، كالأرض التي يزلق منها الناس من صفائها ونظافتها.

مداخلة: ما ضبط الفاء.

الشيخ: ماذا قال؟ شوف النهاية. زلق وزلف الزاي مع اللام والفاء، والزاي مع اللام والقاف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا بعد مدة، ما هو في وقت عيسى هذا بعد مدة، كما في الأحاديث الأخرى: الريح تكون بعد عيسى وبعد يأجوج وبعد رفع القرآن، وبعد نزول الدخان وبعد خروج الدابة وبعد طلوع الشمس من مغربها، بعد الآيات العظيمة، عند قيام الساعة يرسل الله ريحًا طيبة لينة فتقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة، يبقون في الأرض كالبهائم يتهارجون في الأسواق، يعني: ينكح بعضهم بعضًا في الأسواق ويفعلون الجرائم في الأسواق، فتقوم عليهم الساعة وهم شر الناس. نسأل الله العافية.

مداخلة: بعد خروج الشمس من مغربها؟ عفا الله عنك!.

الشيخ: بعد طلوع الشمس من مغربها، تطلع الشمس من مغربها والناس فيهم مسلمون وكافرون.

مداخلة: أحسن الله إليك! هل ثبت عند نزول عيسى أنه يتزوج؟

الشيخ: ما أدري، ما بلغني شيء.

معنى (زلف)

مداخلة: أحسن الله إليك! زلف.

الشيخ: نعم.

مداخلة: قال في النهاية: في حديث يأجوج ومأجوج: «**فيرسل الله مطرًا فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة**» الزلفة بالتحريك، وجمعها زلف: مصانع الماء، وتجمع على المزالف أيضًا، أراد أن المطر يغدر في الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء.

الشيخ: يغدر؟

مداخلة: نعم، أحسن الله إليك!

الشيخ: يعني يكون منه غدير.

مداخلة: وقيل: الزلفة: المرآة، شبهها بها لاستوائها ونظافتها.

الشيخ: قيل هذا للتعريض.

مداخلة: نعم، يا شيخ!

مداخلة: وقيل: الزلفة: الروضة. ويقال بالقاف أيضًا.

الشيخ: ويقال بالقاف؟

مداخلة: نعم، أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.

مداخلة: انتهى كلامه.

الشيخ: ما يخالف، ماشي. نعم. في رواية: زلفة.. الزلفة هذا أشهر.

الملقي: ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يتهارجون يعني: يتناكحون كالحمر، ينزو بعضهم على بعض، ليس هناك رادع لا دين ولا حياء. نعم. لأنهم قد فقدوا كل شيء. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، به. وسنذكره أيضًا من طريق أحمد، عند قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

حديث آخر: قال مسلم في صحيحه أيضًا: حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ العَنْبريّ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت

عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدث به تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله؟! أو: لا إلٰه إلا الله، أو كلمة نحوها ـ لقد هممتُ ألا أحدِّث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا: يُحرِّق البيت، ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان ـ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كَبَد جبل لَدَخَلَتْه عليه حتى تَقْبضَه**» قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: «**فيبقى شرار الناس في خفَّة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا، ورفع لِيتًا، قال: وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوض إبله، قال: فَيَصْعَقُ ويَصعَقُ الناس. ثم يرسل الله** ـ أو قال: ينزل الله ـ **مطرًا كأنه الطَّل** ـ أو قال: **الظل ـ نُعْمَان الشاك ـ فتنبت منه أجساد الناس، ثم يَنْفُخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم، ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾** [الصافات: ٢٤] قال: «**ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ النار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**». قال: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعًا عن محمد بن بشار، عن غُنْدَر، عن شعبة، عن النعمان بن سالم، به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الأنصاري، عن عبد الله بن

يزيد الأنصاري، عن مُجَمِّع بن جارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لُدّ ـ أو: إلى جانب لُدّ»** ورواه أحمد أيضًا، عن سفيان بن عيينة من حديث الليث والأوزاعي، ثلاثتهم عن الزُّهري، عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة، عن عبد الرحمٰن بن يزيد عن عمه مُجَمِّع بن جارية عن رسول الله ﷺ قال: **«يقتل ابن مريم الدجال بباب لُد»**.

وكذا رواه الترمذي، عن قتيبة، عن الليث، به. وقال: هذا حديث صحيح. قال: وفي الباب عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة، وأبي بَرْزَة، وحذيفة بن أسيد، وأبي هريرة. وكَيْسان، وعثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أمامة، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وسَمُرة بن جُنْدب، والنواس بن سمعان، وعمرو بن عوف، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال. وقتل عيسى ابن مريم عليه السلام، له. فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدًّا، وهي أكثر من أن تحصر؛ لانتشارها وكثرة رواتها في الصحاح والحسان والمسانيد، وغير ذلك.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن فُرَات، عن أبي الطُّفَيل، عن حذيفة بن أسيد الغِفَاري قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال: **«لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدُّخَان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خُسوف: خَسْف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. ونار تخرج من قعر عَدَن، تسوق ـ أو تحشر ـ الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا»**.

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فُرَات القزاز به. ورواه مسلم أيضًا من رواية عبد العزيز بن رُفَيع عن أبي الطفيل عن أبي سَرِيحَة حذيفة بن أُسَيد الغفاري، موقوفًا والله أعلم.

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومُجَمِّع بن جارية وأبي سَرِيحة وحذيفة بن أُسَيْد رضي الله عنهم.

وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام؛ بل بدمشق، عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة الصلاة للصبح وقد بنيت في هذه الأعصار، في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأمَويّ بيضاء، من حجارة منحوتة، عِوَضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى ـ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ـ وكان أكثر عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم؛ ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام مُتَابَعَة لعيسى، عليه السلام، وعلى يديه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] وقرئ: «عَلَم» بالتحريك، أي إشارة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه، كما ثبت في الصحيح: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»**(١). ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج، فيهلكهم الله [به] ببركة دعائه، وقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء برقم (٥٦٧٨).

فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

صفة عيسى عليه السلام:

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة رضي الله عنه فإذا رأيتموه فاعرفوه: «**رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصَّران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل**». وفي حديث النواس بن سمعان: «**فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مَهْرُودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه مثل جُمَان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهى طَرْفُه**».

وروى البخاري ومسلم، من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ لَقِيتُ مُوسَى - قَالَ فَنَعَتَهُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قَالَ: مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ عَنِى الْحَمَّامَ وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ قَالَ: وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي هُدِيتَ الْفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**» الحديث[(١)]. وروى البخاري، من حديث مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جَعْدُ عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط، كأنه من رجال الزّط**».

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] برقم (٣٤٣٧)، ومسلم في كتاب الايمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٨).

وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة، عن نافع قال: قال عبد الله بن عمر: ذَكَر النبي ﷺ يومًا بين ظَهْرَاني الناس المسيح الدجال فقال: «**إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنَبَةٌ طافية وأراني الله عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدَم، كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمَّته بين منكبيه، رَجْل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعًا يديه على منكبي رجُلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم، ثم رأيت وراءه رجلًا جَعْدًا قَطَطًا، أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قَطَن، واضعًا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**»[١] تابعه عبيد الله عن نافع.

ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكِّي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: لا والله ما قال النبي ﷺ لعيسى عليه السلام أحمر، ولكن قال: «**بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سَبْط الشعر، يتهادى بين رجلين يَنْطف رأسه ماء ـ أو يُهرَاق رأسه ماء ـ فقلت: من هذا؟ فقالوا: ابن مريم. فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جَعْد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية. قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال. وأقرب الناس به شبهًا ابن قَطَن**». قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.

هذه كلها ألفاظ البخاري رحمه الله، وقد تقدم في حديث عبد الرحمٰن بن آدم عن أبي هريرة: أن عيسى عليه السلام، يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة، ثم يُتوفى ويصلي عليه المسلمون.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: أنه يمكث سبع سنين، فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة، مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في

---

(١) المصدر السابق.

الصحيح، وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة: أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة. وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رُفع وله مائة وخمسون سنة، فشاذ غريب بعيد. وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى ابن مريم من تاريخه، عن بعض السلف: أنه يدفن مع النبي ﷺ في حجرته، فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلَّغهم الرسالة من الله، وأقر بالعبودية لله ﷻ، وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦٢][(١)].

يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة، حَرّم عليهم طيبات كان أحلها لهم، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

محمد بن عبد الله بن يزيد المُقْرِي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عَمْرو، وقال: قرأ ابن عباس: «طيبات كانت أحلت لهم».

وهذا التحريم قد يكون قدريًّا، بمعنى: أنه تعالى قيَّضهم لأن تأولوا في كتابهم، وحرَّفوا وبدلوا أشياء كانت حلالًا لهم، فحرَّموها على أنفسهم، تشديدًا منهم على أنفسهم وتضييقًا وتنطعًا. ويحتمل أن يكون شرعيًّا بمعنى: أنه تعالى حَرَّم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالًا لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣]. وقد قدمنا الكلام على هذه الآية وأن المراد: أن الجميع من الأطعمة كانت حلالًا لهم، من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل وألبانها. ثم إنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة، كما قال في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]؛ أي: إنما حرمنا عليهم ذلك؛ لأنهم يستحقون ذلك بسبب بغيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه. ولهذا قال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾؛ أي: صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق. وهذه سَجِيَّة لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه؛ ولهذا كانوا أعداء الرسل، وقتلوا خَلْقًا من الأنبياء، وكذَّبوا عيسى ومحمدًا، صلوات الله وسلامه عليهما.

وقوله: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾؛ أي: أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾؛ أي: الثابتون

في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع. وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ عطف على الراسخين، وخبره ﴿يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾.

قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية. وأسد وزيد بن سعية وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدَّقوا بما أرسل الله به محمدًا ﷺ.

وقوله: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ هكذا هو في جميع المصاحف الأئمة، وكذا هو في مصحف أُبَيّ بن كعب. وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود: «والمقيمون الصلاة»، قال: والصحيح قراءة الجميع. ثم رَدّ على من زعم أن ذلك من غلط الكُتَّاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم: هو منصوب على المدح، كما جاء في قوله: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قالوا: وهذا سائغ في كلام العرب، كما قال الشاعر:

لا يَبْعَدَن قومي الذين همُو ... سُمّ العداة وآفة الجُزرِ
النازلين بكل مُعْتركٍ ... والطَّيّبُونَ مَعَاقِدَ الأزْرِ

وقال آخرون: هو مخفوض عطفًا على قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾، يعني: وبالمقيمين الصلاة.

وكأنه يقول: وبإقامة الصلاة؛ أي: يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم، أو أن المراد بالمقيمين الصلاة الملائكة، وهذا اختيار ابن جرير، يعني: يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وبالملائكة. وفي هذا نظر والله أعلم.

وقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يحتمل أن يكون المراد زكاة الأموال، ويحتمل زكاة النفوس، ويحتمل الأمرين، والله أعلم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: يصدِّقون بأنه لا إلـه إلا الله، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هو الخبر عما تقدم ﴿سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ يعني: الجنة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥](١).

قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال سُكَين وعَديّ بن زيد: يا محمد، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ إلى آخر الآيات.

وقال ابن جرير: حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا أبو مَعْشر، عن محمد بن كعب القرظي قال: أنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٣ ـ ١٥٦] فما تلاها عليهم ـ يعني على اليهود ـ وأخبرهم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر يوم الأحد ١٢ ـ ١١ ـ ١٤١٦، وفجر الأربعاء ١٥ ـ ١١ ـ ١٤١٦هـ.

بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا موسى ولا عيسى، ولا على نبي من شيء. قال: فحَلَّ حُبْوته، وقال: ولا على أحد.. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر؛ فإن هذه الآية مكية في سورة الأنعام، وهذه الآية التي في سورة النساء مدنية، وهي رد عليهم لما سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣]، ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه، وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء. ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد ﷺ كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين، فقال: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾. والزبور: اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام، وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، عند قصصهم في السور الآتية، إن شاء الله، وبه الثقة، وعليه التكلان.

وقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾؛ أي: من قبل هذه الآية، يعني: في السور المكية وغيرها.

وهذه تسمية الأنبياء الذين نُصَّ على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، والْيَسَع، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾؛ أي: خلقًا آخرين لم يُذكروا في القرآن، وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، وذلك فيما رواه ابن مَرْدُويه رَحِمَهُ اللَّهُ، في تفسيره، حيث قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن، والحسين بن عبد الله بن يزيد قالا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، حدثني أبي عن جدي، عن أبي إدريس الخَوْلاني، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**». قلت: يا رسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جَمّ غَفِير**». قلت: يا رسول الله، من كان أولهم؟ قال: «**آدم**». قلت: يا رسول الله، نبي مرسل؟ قال: «**نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سَوَّاه قِبَلًا**». ثم قال: «**يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وخَنُوخ ـ وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم ـ وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. وأول النبيين آدم، وآخرهم نبيُّك**».

قد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي في كتابه: «الأنواع والتقاسيم» وقد وَسَمَه بالصحة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث، فالله أعلم.

وقد روي الحديث من وجه آخر، عن صحابي آخر، فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا مُعَان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمَامة قال: قلت: يا نبيَّ الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غَفِيرًا**».

مُعَان بن رفاعة السَّلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمٰن ضعيف أيضًا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة الرَّبَذي، عن يزيد الرَّقَاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس**».

وهذا أيضًا إسناد ضعيف فيه الربذي ضعيف، وشيخه الرَّقَاشي أضعف منه أيضًا، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلها ضعيفة، الطريقان كلها ضعيفة، ما ثبت في عدد الأنبياء والرسل شيء، كلها ضعيفة، لا حديث أبي ذر ولا حديث أبي أمامة.

الأسئلة:

● س: **أول الرسل نوح أو آدم؟**

○ **الجواب**: أولهم آدم، أول الأنبياء والرسل آدم، ولكن نوح أول الرسل إلى أهل الأرض لما وقع الشرك، هو أول الرسل إلى أهل الأرض بعدما وقع فيهم الشرك، كما في حديث الشفاعة يوم القيامة، حديث تقدم الأمم إلى آدم ثم إلى نوح، يقولون لنوح: أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض، يطلبونه الشفاعة في القضاء بين الناس، هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض بعدما وقع الشرك، وآدم هو أول رسول إلى أهل الأرض مطلقًا، وهو رسول إلى ذريته، إلى من حصل من ذريته إلى أن أرسل نوح، عشرة قرون، كما قال ابن عباس: عشرة قرون كانوا على الإسلام على شريعة آدم حتى وقع الشرك في قوم نوح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا محمد بن ثابت العَبْدِي، حدثنا محمد بن خالد الأنصاري، عن يزيد الرَّقَاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى ابن مريم، ثم كنت أنا**».

وقد روِّيناه عن أنس من وجه آخر، فأخبرني الحافظ أبو عبد الله الذهبي، أخبرنا أبو الفضل بن عساكر، أنبأنا الإمام أبو بكر القاسم بن أبي سعيد الصفار، أخبرتنا عمة أبي، عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار، أخبرنا الشريف أبو السنابك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القُرَشِي، حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الإسْفَراييني قال: أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن صفوان بن سُلَيْم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت على إثر من ثلاثة آلاف نبي من بني إسرائيل**». وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، والله أعلم.

حديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

قال محمد بن الحسين الآجري: حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الفِرْيابي إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسَّاني، حدثنا أبي، عن جدِّه عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر قال: **دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه فقلت: يا رسول الله، إنك أمرتني بالصلاة. قال: «الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل». قال: قلت: يا رسول الله، فأي**

الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيله**». قلت: يا رسول الله، فأي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خُلقًا**». قلت: يا رسول الله، فأي المسلمين أسلم؟ قال: «**من سَلِمَ الناسُ من لسانه ويده**». قلت: يا رسول الله، فأي الهجرة أفضل؟ قال: «**من هَجَر السيئات**». قلت: يا رسول الله، أيّ الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**». قلت: يا رسول الله، فأي الصيام أفضل؟ قال: «**فَرْضٌ مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة**». قلت: يا رسول الله، فأي الجهاد أفضل؟ قال: «**من عُقِر جَواده وأهرِيق دَمُه**». قلت: يا رسول الله، فأيّ الرقاب أفضل؟ قال: «**أغلاها ثمنًا وأنفسَها عند أهلها**». قلت: يا رسول الله فأيّ الصدقة أفضل؟ قال: «**جَهْد من مُقِلٍّ، وسر إلى فقير**». قلت: يا رسول الله، فأيّ آية ما أنزل عليك أعظم منها؟ قال: «**آية الكرسي**». ثم قال: «**يا أبا ذر، وما السمٰوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فَلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**». قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**» قال: قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة، وثلاثة عشر جمٌّ غَفيرٌ كثير طيب**». قلت: فمن كان أولهم؟ قال: «**آدم**». قلت: أنبيٌّ مرسل؟ قال: «**نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسَوَّاه قَبِيلًا**» ثم قال: «**يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وخَنُوخ ـ وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم ـ ونوح. وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيُّك يا أبا ذر. وأول أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. وأول الرسل آدم، وآخرهم محمد**». قال: قلت: يا رسول الله، كم كتابًا أنزله الله؟ قال: «**مائة كتاب وأربعة كتب، وأنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خَنُوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف والإنجيل والزبور والفرقان**». قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟

قال: «**كانت كلها: يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وكان فيها مثال: وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل ألا يكون ضاعنًا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مَرَمَّة لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه، ومَنْ حَسِب كلامه من عمله قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه**». قال: قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: «**كانت عِبَرًا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالقَدَر ثم هو يَنْصب، وعجبت لمن يرى الدنيا وتَقَلُّبَهَا بأهلها ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدًا ثم هو لا يعمل**». قال: قلت: يا رسول الله، فهل في أيدينا شيء مما في أيدي إبراهيم وموسى، وما أنزل الله عليك؟ قال: «**نعم، اقرأ يا أبا ذر**: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٩]».

قال: قلت يا رسول الله، فأوصني. قال: «**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس أمرك**».

قال: قلت يا رسول الله، زدْني. قال: «**عليك بتلاوة القرآن، وذِكْر الله، فإنه ذكرٌ لك في السماء، ونورٌ لك في الأرض**».

قال: قلت: يا رسول الله، زدني. قال: «**إياك وكثرة الضحك. فإنه يميت القلب، ويُذْهِبُ بنور الوجه**». قلت: زدني. قال: «**عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي**». قلت: زدني. قال: «**عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مَطْرَدَةٌ للشيطان وعون لك على أمر دينك**».

قلت: زدني. قال: «**انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر لك ألا تزدري نعمة الله عليك**».

قلت: زدني. قال: «**أحبب المساكين وجالسهم، فإنه أَجْدرُ أن لا تزدري نعمة الله عليك**». قلت: زدني. قال: «**صِلْ قرابتك وإن قطَعوك**». قلت: زدني. قال: «**قل الحق وإن كان مرًّا**».

قلت: زدني. قال: «**لا تخف في الله لومة لائم**».

قلت: زدني. قال: «**يَرُدَّك عن الناس ما تعرف عن نفسك، ولا تَجِدُ عليهم فيما تحب، وكفى بك عيبًا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك. أو تجد عليهم فيما تحب**».

ثم ضرب بيده صدري، فقال: «**يا أبا ذر، لا عَقْل كالتدبير، ولا وَرَع كالكف، ولا حسب كحُسن الخُلق**».

وروى الإمام أحمد، عن أبي المغيرة، عن مُعَان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: أن أبا ذر سأل النبيَّ ﷺ، فذكر أمر الصلاة، والصيام، والصَّدقة، وفَضْلَ آية الكرسي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأفضلَ الشهداءِ، وأفضلَ الرقاب، ونبوة آدم، وأنه مُكَلَّم، وعددَ الأنبياء والمرسلين، كنحو ما تقدم.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني عبد المتعالي بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأمَوي، حدثنا مُجَالِد عن أبي الوَدَّاك قال: قال أبو سعيد: هل تقول الخوارج بالدجال؟ قال: قلت: لا. فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إني خاتمُ ألفِ نبيّ أو أكثرَ، وما بُعِثَ نبيٌّ يُتَّبعُ إلا وقد حذر أمته منه، وإني قد بُيِّنَ لي ما لم يُبَيَّن لأحد وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى، كأنها نخامة في حائط مُجَصَّص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء تَدْخُن**».

وقد روِّيناه في الجزء الذي فيه رواية أبي يعلى الموصلي، عن يحيى بن مَعين، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا مُجَالِد، عن أبي الودَّاك، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أختم ألفَ ألفَ نبيٍّ أو أكثرَ، ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذَّرهم الدجالَ....**» وذكر تمام الحديث، هذا لفظه بزيادة «أَلْف» وقد تكون مُقْحَمة والله أعلم. وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة، ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم، وروي هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مُجَالد، عن الشَّعبي، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لخاتمُ ألف نبيٍّ أو أكثر، وإنه ليس منهم نبيٌّ إلا وقد أنذر قومه الدَّجالَ، وإني قد بُيِّن لي ما لم يُبَيَّن لأحد منهم وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعورَ**».

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ وهذا تشريف لموسى عليه السلام، بهذه الصفة؛ ولهذا يقال له: الكليم. وقد قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدويه: حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي، حدثنا مَسيحُ بن حاتم، حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال: جاء رجل إلى أبي بكر بن عيَّاش فقال: سمعت رجلًا يقرأ: «وكلم الله موسى تكليمًا» فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأتُ على الأعمش، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى بن وثَّاب على أبي عبد الرحمٰن السَّلْمِيّ، وقرأ أبو عبد الرحمٰن، عَلَى عَلِيٍّ بن أبي طالب، وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾.

وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله، على مَن قرأ كذلك؛ لأنه حَرّف لفظ القرآن ومعناه، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلَّم موسى عليه السلام، أو يكلم أحدًا من خلقه، كما رويناه عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ: «وكلم الله موسى تكليمًا»

فقال له: يا ابن اللَّخْنَاء، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني: أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل.

وقال ابن مَرْدُوَيه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن الحسين بن بَهْرَام، حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا هانئ بن يحيى، عن الحسن بن أبي جعفر، عن قتادة عن يحيى بن وَثَّاب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَما كلم الله موسى كان يُبْصِرُ دبيبَ النمل على الصفا في الليلة الظلماء**». وهذا حديث غريب، وإسناده لا يصح، وإذا صح موقوفًا كان جيدًا.

وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه، من حديث حميد بن قيس الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان على موسى يوم كلَّمه ربُّه جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلان من جلد حمار غير ذكي**».

وقال ابن مردويه بإسناده عن جُوَيْبر، عن الضَّحاك عن ابن عباس قال: إن الله ناجَى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة، في ثلاثة أيام، وصايا كلها، فلما سمع موسى كلام الآدميين مَقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب ﷻ.

وهذا أيضًا إسناد ضعيف، فإن جُوَيْبِرًا ضعيف، والضَّحاك لم يدرك ابنَ عباس رضي الله عنه. فأما الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مَرْدُويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرَّقَاشي، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: لما كلم الله موسى يوم الطورِ، كلَّمه بغير الكلام الذي كلَّمه يوم ناداه، فقال له موسى: يا رب، هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: لا يا موسى، أنا كلمتك بقوة عَشَرةِ آلاف لسان، ولي قوةُ الألْسِنة كلها، وأنا أقوى من ذلك. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل

قالوا: يا موسى، صِفْ لنا كلام الرحمٰن. قال: لا أستطيعه. قالوا: فشبِّه لنا. قال: ألم تسمعوا إلى صوت الصواعق فإنها قريب منه، وليس به. وهذا إسناد ضعيف، فإن الفضلَ هذا الرقاشي ضعيف بمرة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث، عن جَزْء بن جابر الخَثْعَمي، عن كعب قال: إن الله لمَّا كلَّم موسى كلمه بالألسنة كلها سِوَى كلامه، فقال له موسى: يا رب، هذا كلامك؟ قال: لا ولو كلمتك بكلامي لم تَستَقِمْ له. قال: يا رب، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا وأشد خلقي شبهًا بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق.

فهذا موقوف على كعب الأحبار، وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني إسرائيل، وفيها الغَثُّ والسَّمِين.

وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب.

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾؛ أي: أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبيَّن ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه؛ لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه مهمة الرسل، مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام البشارة والنذارة، يبشرون أقوامهم بالجنة لمن أطاع واستقام، وينذرونهم مقت الله

وعذابه لمن خالف الأوامر وركب المحارم، فهم يبلغون عن الله رسالاته، ويدعون الناس إلى طاعة مولاهم، والاستقامة على أمره، والوقوف عند حدوده، ويبشرون من أطاعهم بالجنة والسعادة والعاقبة الحميدة، وينذرون من عصاهم بالخيبة والندامة والعاقبة الوخيمة، ولهذا قال ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾، يعني: لتنقطع الحجة والمعذرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ثبت في الصَّحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا أَحَدَ أَغْيَرَ من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظَهَر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبَّ إليه المدحُ من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحدَ أَحَبَّ إليه العُذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيِّين مبشرين ومنذرين**». **وفي لفظ: «من أجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أنه سبحانه شديد الغيرة، ولا أحد أغير منه، ولهذا حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ـ سبحانه ـ ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ولهذا بعث الرسل وأنزل الكتب وأقام الحجة، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ولهذا أثنى على نفسه وبيَّن أسماءه وصفاته ليُثنى عليه ويُحمد ﷻ. فالواجب على أهل الإيمان حمده والثناء عليه، والاستقامة على طاعته ومحبته، والحذر من أسباب غضبه، وبغض ما أبغض وكراهة ما كره من الفواحش والتحذير منها، مع إقامة الحجة والدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الخير، كما أحب مولاهم وكما أمر. هكذا الرسل وأتباعهم يكرهون ما كرهه الله، ويحبون ما أحبه الله، ويدعون إلى ما دعا إليه الله ورسله من الخير والهدى والصلاح. وهذه الدار إنما تعمر وتستقيم بإقامة ما جاءت به الرسل، وإذا ضيع الناس ذلك أحلوا في أنفسهم عقاب الله وأنواع المَثُلات التي تصيب من خالفهم وركب خلاف

ما دعوا إليه. وهي دار الامتحان ودار الابتلاء. فالواجب الحذر. ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فقد يبتلى الناس بالمهلة وهم على الكفر والضلال، وقد يموتوا على ذلك كما هو الحال في أكثر الخلق، يموت على ضلاله وكفره. وهذا من إمهال الله له، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، لكنها تكون في الآخرة أشد. نسأل الله العافية. فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإمهال الله، كونه يمسي ويصبح على معاصي الله ويأمن، هذه مصيبة عظيمة، فليحذر وليبادر بالتوبة إلى الله، فقد تكون عقوبته أن يملى له، وهذه عقوبة عظيمة، كونه يملى له على الباطل ويبقى على الباطل حتى يموت هذه من العقوبات المعجلة، ولكن إذا رزقه الله التوبة والإنابة والرجوع إلى الله ومنَّ الله عليه بالتوبة هذه نعمة عظيمة، ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. يروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه ما يحب وهو على ما يكره فإنما هو استدراج**»[(١)].

فالواجب الحذر، وأن يكون العبد محاسبًا لنفسه، مجاهدًا لها عند كل زلة، يبادر بالتوبة ويحذر الإصرار لعله ينجو، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، يعني: آيسون من كل خير. نعوذ بالله. ومن ذلك الإصرار على التهاون بالصلاة والتثاقل عنها كفعل المنافقين، وأشد من هذا تركها وعدم إقامتها في أوقاتها، فهذا من البلاء العظيم والشر الكبير، فالترك كفر، والتساهل بأدائها في الجماعة وسيلة لذلك،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٤٥).

ومن صفات أعداء الله المنافقين، ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٤، ٥٥]، وهكذا بقية المعاصي من الزنا وشرب المسكر وظلم الناس، ظلم الزوجات، ظلم الأولاد، ظلم الجيران، ظلم المعاملين بالكذب والخيانة والغش، إلى غير ذلك، فالمؤمن يحاسب نفسه، التاجر يحاسب نفسه، الرجل يحاسب نفسه مع أهل بيته هل أدى حقهم، مع جيرانه هل أدى حقهم، وهكذا العامل يحاسب نفسه هل نصح في العمل أو غش في العمل، هكذا كل إنسان ينظر ويحاسب نفسه ويحذر أن يكون أخلَّ بشيء من ما أوجب الله، أو ركب شيئًا من ما حرَّم الله. وكان عمر رضي الله عنه في خطبه يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، فالحساب اليوم أسهل، كونه يحاسبها ويوقفها عند زلّاتها وغدراتها خير له من أن يجازف الأمور ويتساهل ثم تكون الكارثة يوم القيامة أو عند الموت. نسأل الله العافية.

● **س: من يؤوِّل صفة الكلام، ألا يكون هذا مشابه في الحكم، مشابه للمعتزلة الذين ينكرون الصفات..؟**

○ **الجواب**: من أنكر هذا فهو مثل غيره، من أنكر الكلام كفر، مثل بقية الصفات الثابتة في الكتاب والسُّنَّة. نسأل الله العافية.

مداخلة: الذي يؤوِّله كالأشاعرة الذين.

○ **الجواب**: من تأولها فقد أنكرها.

● **س: بعض الناس إذا بنى بيت ووضع فيه بيارة ـ أكرمكم الله ـ فإنهم يضعون فيها شيئًا من الملح كون الملح يصرف الماء ولا تمتلئ بسرعة، فهل هذا يجوز هذا الفعل؟**

○ **الجواب**: ما في بأس، الملح.

مداخلة: مع النجاسات أكرمكم الله!

○ **الجواب**: ما هو بأكل، ما هو بطعام لا بأس.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾** [النساء: ١٦٣][(١)].

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قال: حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[(٢)].

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**»[(٣)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّ بعض النّاس قد يتجرّأ لما سمع قصّة يونس عليه السلام، وما جرى عليه، وما حصل من ابتلاع الحوت له ونحو ذلك شيءٌ من التّنقّص، فنبّه النّبيّ ﷺ على أنّه لا يليق ولا يجوز لأحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾...إلخ برقم (٤٦٠٣).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، في الباب السابق برقم (٤٦٠٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس وقول النبي ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**» برقم (٢٣٧٦).

متّى، هو نبيٌ من أنبياء الله عليهم السلام، اجتهد وجرى ما جرى، ثمّ اجتباه ربّه وخصّه بالتّوفيق، مثل ما جرى لآدم: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] فاجتباه وجعله من الصالحين.

• **س: يستثنى من هذا النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم النّبيّ هو خير النّاس جميعًا، ثمّ إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، كما نصّ عليه الصّلاة والسّلام.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٦٦ ـ ١٧٠][١].

لما تضمّن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ إلى آخر السياق، إثبات نبوته ﷺ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك، فالله يشهد

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأحد ١٠ ـ ٥ ـ ١٤١٧.

لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو: القرآن العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه. أما بعد: فنحمد الله على العود إلى مجالس العلم، ونسأل الله التوفيق والإعانة على كل خير.

ربنا عَزَّ وَجَلَّ يبين لعباده أنه أنزل هذا القرآن بعلمه، وأنه سبحانه أنزله رحمة للعالمين وهدى للعالمين، كما أرسل نبيه محمد ﷺ رحمة للعالمين وبشيرًا ونذيرًا. فالواجب على كل مكلف أن يقبل هذا القرآن، وأن يعمل به وأن يستقيم عليه؛ لأنه كتاب الله أنزله بعلمه، وفصل فيه أحكامه، وأرشد فيه عباده إلى طريق النجاة، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال فيه جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١، ٢]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]. فإذا كذب به المنكرون والجاحدون والجاهلون فالواجب على أهل العلم والبصيرة أن يوضحوا للناس هذا القرآن العظيم وما دل عليه، وأن يرشدوهم إلى أسباب النجاة، ويحذِّروهم من أسباب الهلاك، وأن يبلغوا عن الله دينه وشريعته: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. ففيه الهدى والنور، وفيه

البشارة والنذارة، وفيه بيان الأحكام، وفيه بيان طريق الجنة وطريق النار، وفيه بيان مصير هؤلاء وهؤلاء، مصير من اتبع القرآن ومصير من حاد عن ذلك، فمن تدبر القرآن طالبًا للهدى، وفَّقه الله وهداه.

مداخلة: قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

الشيخ: الله يجعلنا وإياكم منهم، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

مداخلة: ! إبعاد الناس عن الهلاك.

الشيخ: نعم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾؛ أي: فيه علمه الذي أراد أن يطَّلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل ولا مَلَك مقرب، إلا أن يُعْلِمَه الله به، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

لأنها من علم الغيب أسماؤه وصفاته من علم الغيب، وبيَّنها لعباده وأرشدهم إليها ليدعوه بها، ويضرعوا إليه بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وبيَّن في كتابه العظيم أن طريق الجنة هو توحيده والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى كل خير: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ

وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]. هكذا أرشد عباده إلى أن يتعاونوا ويتواصوا بالحق: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]، فقد أرشدهم إلى سواء السبيل وإلى الصراط المستقيم وحذرهم بخلافه فقامت الحجة وانقطعت المعذرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الحسن بن سَهْل الجعفري وخَزَزُ بن المبارك قالا: حدثنا عمران بن عيينة، حدثنا عطاء بن السائب قال: أقرأني أبو عبد الرحمٰن السَّلمي القرآنَ، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذتَ علم الله، فليس أحدٌ اليوم أفضلَ منك إلا بعمل، ثم يقرأ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾. وقوله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ﴾؛ أي: بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله تعالى لك بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

وقد قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله ﷺ جماعةٌ من اليهود، فقال لهم: «إني لأعلم ـ والله ـ إنكم لتعلمون أني رسول الله». فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾؛ أي: كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق، وسَعوْا في صدِّ الناس عن اتباعه والاقتداء به، قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه، وبَعُدُوا منه بعدًا عظيمًا شاسعًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال كذبوا، قال الله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، هم يعلمون ذلك، ولكن البغي والحسد، نسأل الله العافية.

مداخلة: معنى الباء عفا الله عنك! في قوله: «بِعِلْمِهِ»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ يعني: أنزله مشتملًا على العلم، علم الله الذي بيَّنه لعباده، أحكامه وجنته وناره، وأخبار الرسل وأخبار الأمم الماضية وما أشبهها، يشتمل المعلومات اللي عنده أنزلها وضَّحها لعباده، ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾، يعني: مشتملًا على العلم ملتبسًا بالعلم الذي عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعني: شيئًا من علمه، علم الله واسع، لكن في القرآن بعض علم الله جَلَّ وَعَلَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله، الظالمين لأنفسهم بذلك، وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه، بأنه لا يغفر لهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾؛ أي: سبيلًا إلى الخير ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا استثناء منقطع ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

المقصود أنهم لما ضلوا عن السبيل، وصدُّوا الناس عن الحق عوقبوا بأن يحرموا الهداية، لأنهم لما كفروا وصدوا عن سبيل الله من

عقوبتهم أن يحرمهم الله الهدى، وأن يبقوا في ضلالهم وعماهم، نسأل من الله العافية، بسبب كفرهم وعنادهم وصدهم عن الحق يعاقبون بزيغ القلوب والبقاء على الكفر والضلال، نسأل الله العافية. ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]، نسأل الله العافية، بسبب عنادهم وصدِّهم عن الحق واستكبارهم عن اتباعه، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾؛ أي: قد جاءكم محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالهدى ودين الحق، والبيان الشافي من الله ﷻ، فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرًا لكم.

ثم قال: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فهو غني عنكم وعن إيمانكم، ولا يتضرر بكفرانكم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] وقال هاهنا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾؛ أي: بمن يستحق منكم الهداية فيهديه، وبمن يستحق الغَوَاية فيغويه ﴿حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾؛ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والمعنى: إيمانكم لكم، المصلحة لكم، إن آمنتم واهتديتم فالمصلحة لكم، لكم النجاة والسعادة، وإن كفرتم فالله غني عنكم ولا يضره كفرهم، كفرهم لن يضروا الله شيئًا وإنما يضرون أنفسهم، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء: ١٧١ ـ ١٧٦][(١)].

يُحذِّر ﷻ أهل الكتاب من الغلو في دينهم، وأهل الكتاب: هم اليهود والنصارى، بإجماع أهل التفسير، وإن كان المراد هنا: النصارى، فلهذا قال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]. وكذلك يدخل اليهود في المعنى؛ لأنهم كذَّبوا عيسى وأنكروه، وزعموا فيه المقالة الشَّنيعةَ، بأنه ولدُ بغيٍّ. فالسياق

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع الدكتور عبد السلام السليمان حفظه الله (ص٣٠٩).

وإن كان في النصارى لكنه يَعُمُّ الجميع، وهم منهيون على الغلو في دينهم جميعًا، فليس لليهود أن يغلوا في دينهم، في العُزير أو في غير العُزير، وإن غلوا في العُزَير فجعلوه ابنَ الله، وغَلَوا في الأحبار والرهبان فأحلوا ما أحلُّوا، وحرَّموا ما حرَّموا من غير برهان، وكذلك النصارى غَلَوا في المسيح، وجعلوه إلهًا مع الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثةٍ وغَلَوا في أُمِّه أيضًا، وجعلوها إلهًا مع الله، وغلوا في أحبارهم ورهبانهم... إلخ.

فالله ﷻ حذَّر الجميع من الغُلوِّ، والغُلوُّ: **هو الزيادة في الشيء المشروع؛ كالزيادة في حب الأنبياء والصالحين، والزيادة في بعض العبادات شيئًا لم يشرعه الله، حتى يكون مُبتدَعًا، يقال: غَلَت القِدْرُ: إذا زاد ارتفاع الماء فيها بسبب النار التي تحتها، ثم زادت النّارُ، فزاد الغليان وارتفع.**

فاليهود والنصارى غَلَوا في حُبِّ أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم مع الله، كما زادت الطوائف الأخرى ممن ينتسبُ إلى الإسلام والسُّنَّة من هذه الأمة في حُبها للصالحين والأنبياء حتى عبدوهم من دون الله. فالغُلوُّ الذي حذَّر منه أهل الكتاب، وقع فيه ضُلّال هذه الأمَّة، أمة محمد ﷺ والله ﷻ حذَّر هذه الأمة من التَّشبُّه بمن قبلها في الغُلوِّ وغيره. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧] نهيٌ لهم ونهيٌ لنا، كأنهم مثلما قال حذيفة: قال: «**القوم**» ولم يَعْنِ به سِوانا، فنحن معنيون كما هم معنيون بالنهي والتحذير. وقال ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**»(١).

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٥٦)، ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سُنن اليهود والنصارى برقم (٢٦٦٩) واللفظ للبخاري.

فالواجب على جميع الناس ولا سيما أهل الإيمان والتصديق أن يحذروا الغُلوَّ، فإن عاقبته وخيمةٌ، وأن يستقيموا على الحد الشرعي في كل أمورهم، فيستقيموا على الحد الشرعي في التوحيد، فلا يشركوا مع الله ﷻ غيره، ويستقيموا على الحد الشرعي في حب الأنبياء، فلا يرفعوهم فوق منازلهم حتى يجعلوهم آلهةً مع الله، وفي حب الصالحين كذلك، فيحبونهم حُبًّا يَليقُ بهم، في كونهم استقاموا على أمر الله، وفي كونهم صُلحاءَ، دون أن يجعلوهم في منازل العبودية أو في منازل الإلٰهية.

فهناك حُبٌّ في الله وحُبٌّ مع الله، الحبُّ في الله هو المشروع، والحبُّ مع الله هو الممنوع؛ لأنه اتخاذ آلهةٍ مع الله ﷻ، وجَعلُ المحبة شركًا.

والمسيح هو عيسى ابن مريم، سمي مَسيحًا من المَسْح؛ لأنه إذا مَسحَ على ذي عاهة أَبرأَه الله؛ كالأكمه والأبرص، وقيل فيه غير ذلك.

ويقال في الدجال مَسيحٌ، ومَسيخٌ من المسخ، ولكن المشهور فيهما جميعًا المسيح بالحاء، وقيل للدجال مَسيحًا؛ لأنه يمسح الأرض، فيَعمُّها ويَطَؤُها، فلا تبقى أرض إلا عمَّها ووطئها، إلا الحرمين مكة والمدينة، فإن الله يمنعه منهما؛ كما في الحديث الصحيح: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ، يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»(١). ولا يمتنع أن تكون مكة كذلك، وإن كنت لم أقف على شيء في مكة من جهة الرَّجفات، لكن ما دام وقع في

---

(١) متفق عليه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة برقم (١٨٨١)، ومسلم في كتاب الفتن، باب قصة الجساسة برقم (٢٩٤٣).

المدينة فالذي في مكة كذلك، إذا كان فيها وقت مجيئه إليها من هو على دينه وشاكلته.

ونُسب عيسى ابن مريم لأمه؛ لأنه لا أب له، فخلقه الله من أنثى بلا ذكر، قال الله له: كن، فكان، أما غيره فينسبون إلى آبائهم، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، أما عيسى عليه السلام فقد جعله وأمَّه آية للناس، وأتم به قسمة الإنس إلى أربعة أقسام: قسم من طين لا من ذكر ولا من أنثى، وهذا هو أبونا آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقسم من ذكر بلا أنثى، وهذه أمنا حواء، خلقها الله من نفس آدم.

وقسم من أنثى بلا ذكر، وهذا هو عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقسم هو بقية الناس جميعًا من ذكر وأنثى، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

وبسبب كون عيسى عليه السلام خُلق من أنثى بلا ذكر انقسمت فيه اليهود والنصارى، فاليهود عليهم لعائن الله المتتابعة جفَوا وفرَّطوا وقصَّروا ونفوا نبوته ورسالته، وزعموا أنه ولد بغي، فكفروا بذلك كفرًا بواحًا، نعوذ بالله من ذلك، والنصارى غلوا وزادوا وأثبتوا أنه رسول الله، ولكنهم زادوا، فجعلوه ابن الله، وجعلوه ثالث ثلاثة، وهذا من كفرهم وضلالهم.

ولم يسلم من هذا البلاء إلا الحنيفيون أمة محمد ﷺ المؤمنون، وهكذا من آمن من بني اسرائيل بعيسى عليه السلام، فإنهم صدَّقوا أنه رسول الله وأنه خُلق من أنثى بلا ذكر، كما آمنت أمة محمد ﷺ بذلك، قال الله عز وجل له: كن، فكان. وهذا هو الحق فيه، لا كما تقول اليهود ولا كما تقول النصارى، وعلى كل مسلم أن يبرأ إلى الله مما قيل فيهما، وأن يعتقد الحق في المسيح، وأنه عبد الله ورسوله. ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ كلمته لأن الله قال له: كن، فكان بهذه الكلمة، وسُمي «كلمة الله» لأنه كان بها ووُجد بها، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ لأن الله خلق هذه الروح في مريم، وأنشأ عيسى منها، فالله من خلقها وأوجدها ﷻ؛ كما قال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: خلقًا وإيجادًا، ويسمَّى «روح الله» أيضًا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه إضافة تشريف وتكريم، فالمعنى: روح من الأرواح التي خلقها، وأوجدها، فأضافها إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم؛ كما يقال: بيت الله؛ أي: الكعبة، وناقة الله؛ أي: ناقة صالح، من باب التشريف والتكريم، فالبيت مخلوق والناقة مخلوقة، فإضافتهما إلى الله إضافة تشريف وتكريم، وهكذا في الخُمس، يقال فيه: مال الله، ويقال: رسول الله؛ للتشريف والتكريم، فهذا من إضافة المخلوق إلى خالقه.

وقد يضاف المخلوق إلى الله إضافة خلق وإيجاد، لا بقصد التشريف والتكريم، لبيان أنه مخلوق موجود، أوجده الله ﷻ، كما يقال: أرض الله، وسماء الله، ومال الله وعباد الله من باب الخلق وأنهم مخلوقون لله. فالله ﷻ أوجدهم، كما قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧١]؛ أي: آمنوا أيها الناس بالله، وأنه ربكم وإلٰهكم الحق، وأن رسله عبيد من عبيده، أرسله الله إلى عباده؛ ليدعوهم إلى توحيد الحق والهدى وطاعة الله، وليسوا بآلهة ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١].

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ احذروا أن تقولوا هذا الكلام، لا تقولوا ثلاثة آلهة: عيسى، وأمه، والله ﷻ، فإن هذا من أبطل الباطل.

ثم قال: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ انتهوا عن هذا الكلام خيرًا لكم، فهذا هو الواجب على جميع العباد، أن ينتهوا عن هذه المقالة، ولا

سيما النصارى، وأن يقولوا الحق، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وفي الآيات فوائد أخرى، وفي آخر الآيات ذِكرٌ للمواريث، وقد سبق القول عليها في آيات المواريث، نسأل الله التوفيق.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١][(١)].

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلـٰهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه؛ بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوْا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًّا أو باطلًا أو ضلالًا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الأربعاء ١٣ ـ ٥ ـ ١٤١٧.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والمقصود من هذا التحذير من عملهم السيئ، الخطاب لهم، ولكن المقصود نحن، مثلما قال حذيفة: مضى القوم ولم يُعنَ به سواكم، فقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١] يعم اليهود والنصارى، وهو تحذير لنا، فالنصارى غلوا في عيسى، واليهود غلوا في عزير، وغلوا في أحبارهم ورهبانهم، كلهم غلوا في أحبارهم ورهبانهم، وعبدوهم من دون الله. فالمعنى احذروا أيها الأمة، يا أمة محمد! أن يصيبكم ما أصاب أولئك، وأن تفعلوا فعلهم.

والغلو هو الزيادة في القول والعمل، والإطراء يكون في القول، والغلو يعمهما القول والعمل، والغلو والإطراء هو الزيادة في وصف المغلو فيه بإنزاله منزلة لا يستحقها، فقد ينتقل ويرتفع إلى الشرك الأكبر، وقد يكون إلى من دونه، فهم جعلوه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة فوقعوا في الشرك الأكبر. وهكذا اليهود مع عزير وهكذا مع أحبارهم ورهبانهم استغاثوا بهم ونذروا لهم وذبحوا لهم، فكانت تلك خصالًا كفرية وأعمالًا شركية خرجوا بها من دائرة الإسلام التي خلقوا لها. فالواجب على أمة محمد ﷺ أن يحذروا هذا العمل السيئ، وأن يتناصحوا في ذلك لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك الهالكين من المغضوب عليهم والضالين، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا هُشَيم قال: زعم الزُّهْرِي، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله**».

ثم رواه هو وعلي بن المديني، عن سفيان بن عُيَيْنة، عن الزُّهري

كذلك. وقال علي بن المديني: هذا حديث صحيح سنده. وهكذا رواه البخاري، عن الحُميدي، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، به. ولفظه: **«فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

نعم، والإطراء هو ما جاوز الحد في القول؛ ولهذا: (لما قالوا: أنت سيدنا قال: السيد الله)، (يا أيها الناس! قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوِيَّنكم الشيطان). ومِن طبيعة الشيطان ومن خُلُقه تزيين الباطل للناس، كل قوم يأتيهم من الجهة التي يرجو أن يستجيبوا له فيها ويطمع، فتارة من جهة الغلو وتارة من جهة الجفاء، فمن رأى عنده رغبة في الدين جاءه من جهة الغلو، ومن جاء كان عنده حصار الجفاء جاءه من جهة الجفاء أو زاده جفاء. فالواجب على المكلف الحذر والتوسط في الأمور، والحذر من الميل إلى غلو وإطراء أو إلى جفاء وتفريط، وهذا هو الحق، فالرسل والأنبياء والأخيار لهم حقهم، وصفاتهم كريمة، وتعظيمهم التعظيم الذي شرعه الله باتباع ما جاءوا به، والسير على منهاجهم، والدعوة إلى ما جاءت به الرسل، مع الحذر من التعظيم الذي يختص بالله، فهذا إلى الله وليس لأحد غيره من دعوتهم والاستغاثة بهم، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، أو أنهم يتصرفون في الكون أو ما أشبه ذلك مما يعتقده الضلال.

الأسئلة:

وصف العلماء بأنهم (حجة الله على الناس)

• س: وصف العالم عفا الله عنك! في بعض التراجم، يوصف العالم أو الإمام المجتهد بأنه حجة الله على الناس، فهل في هذا غلو أو في محله الكلام عليه؟

○ **الجواب**: هذا محتمل حجة الله؛ لأنه من جهة ما عنده من

العلم يعني: أنه يقيم الحجة على الناس حتى يعرفوا حق الله، هذا مرادهم، يعني: أنه يقيم الحجج، وتقوم به الحجة على الناس.

الغلو في العلماء وإن أخطأوا:

● **س: الغلو في العلماء حتى ولو ظهر منهم أخطاء تخالف الشرع؟**

○ **الجواب**: الغلو مجاوزة الحد في القول والفعل، هذا هو الغلو، إذا وصفوا بما لا يليق بهم من الغلو صار غلوًّا، فإذا قيل: إن العالم هذا لا يخطئ، أو أنه يعلم الغيب، أو أنه يصلح أن يدعى من دون الله أو ما أشبه ذلك هذا هو الغلو، هذا جنس الغلو، نسأل الله السلامة.

الغلو في المولد النبوي:

مداخلة: ما يقع في الموالد هذا من الغلو؟

○ **الجواب**: الموالد قد يقع فيها شرور، قد يقع فيها كثير من الغلو.

من ادعى العصمة البشرية لغير المرسلين:

● **س: أحسن الله إليك! من قال: أن عالمًا لا يخطئ فهل يكفر بذلك؟**

○ **الجواب**: الذي يظهر أنه إذا بين له الأمر وأصر يكفر؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس أحد معصوم سوى الرسل، فمن كذَّب الإجماع وكذَّب ما عُلم من الدين بالضرورة وأصر عليه بعد إقامة الحجة يكفر، نسأل الله العافية.

معنى زعم في قول هشيم: زعم الزهري:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! قوله في رواية أحمد قال: زعم الزهري**

○ **الجواب**: لغتين، زعم تستعمل بمعنى: (قال)، وتستعمل بمعنى (الكذب)، مثل قول ضمام بن ثعلبة: زعم رسولك أنك تأمر بكذا، زعم

رسولك أنك تأمر بالصلوات، زعم رسولك أن علينا زكاة، يعني: قال رسولك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حمَّاد بن سَلَمَة، عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك: أن رجلًا قال: محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللهُ** عَزَّوَجَلَّ». تفرد به من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إسناد صحيح، وهذا من باب التواضع وسد وسائل الشرك، وسد طرق الشرك، وإلا هو سيد ولد آدم، لكن خاف عليهم أن ينقلهم هذا إلى أن يدعوه أو يستغيثوا به، أو يعتقدوا فيه ما لا يجوز، فقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان)، وإلا هو سيد ولد آدم وهو خير الناس عليه الصلاة والسلام، لكن من باب التواضع وسد الذرائع المفضية إلى الشرك نبههم عليه الصلاة والسلام.

مسألة: إقرار النبي ﷺ على قوله: (وابن سيدنا) مع أن أبوه مات كافرًا كيف يعني؟

○ **الجواب**: ما أقر، أنكر عليه، (قولوا بقولكم، لا يستهوينكم الشيطان)، هذا إنكار، ما هو بإقرار..

مداخلة: طيب....

الشيخ: هذا إنكار في الجميع.

قول: (سيدنا محمد) في الخطب والمواعظ والمحاضرات:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! المداومة على قول: سيدنا محمد في الخطب والمواعظ وفي ذكر النبي ﷺ.**

○ **الجواب**: ما هو بلازم تارة وتارة، إذا قال تارة لبيان الحق وترك تارة لئلا يظن أحد الغلو، تارة وتارة مثلما قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»(١) اللّهم صلِّ عليه وسلِّم...

مداخلة: السند صحيح؟

الشيخ: نعم، في الصحيحين وغيرهما.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾؛ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدًا ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وتنزه وتقدس وتوحَّد في سؤدده وكبريائه وعظمته ـ فلا إلٰه إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: إنما هو عبد من عباد الله وخَلقٌ من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ أي: خَلقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ، فكان عيسى بإذن الله ﷻ، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جَيْب درعها، فنزلت حتى وَلَجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله ﷻ؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل، قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٠).

خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]. وقال تعالى إخبارًا عن المسيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

والمعنى أنه روح من جملة الأرواح التي خلقها وأوجدها، فروح الله من باب إضافة التشريف مثل بيت **الله** وناقة الله ورسول الله، وجميع الأرواح كلها خَلْقه وإيجاده، جميع أرواح ذوات الأرواح كلها من خلقه وإيجاده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، روح عيسى، وروح **آدم** وروح جميع الرسل، وروح جميع الناس كلها من خلقه كلها روح منه خلقًا وإيجادًا سبحانه، لكن روح عيسى وأرواح الأخيار تضاف إليه إضافة تشريف وتكريم، كما يقال بيت الله وناقة الله ورسول الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ هو كقوله: ﴿كُن﴾ [آل عمران: ٥٩] فكان. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال: سمعت شَاذَّ بن يحيى يقول: في قول الله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: ليس الكلمةُ صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى.

وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾؛ أي: أعلمها بها، كما زعمه في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥]؛ أي: يعلمك بكلمة منه، ويجعل ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن

رَّبِّكَۚ﴾ [القصص: ٨٦]؛ بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله، فكان عيسى عليه السلام.

وقال البخاري: حدثنا صَدَقَةُ بن الفضل، حدثنا الوليد، حدثنا الأوزاعي، حدثني عُمَيْر بن هانئ، حدثني جُنَادةُ بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنةَ حق، والنارَ حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». قال الوليد: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عُمير بن هانئ، عن جُنَادة زاد: «**من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء**».

وكذا رواه مسلم، عن داود بن رُشَيد، عن الوليد، عن ابن جابر، به ومن وجه آخر، عن الأوزاعي، به

فقوله في الآية والحديث: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُۖ﴾ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ أي: مِنْ خَلْقه ومن عنده، وليست «مِنْ» للتبعيض، كما تقوله النصارى ـ عليهم لعائن الله المتتابعة ـ بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى.

وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُۖ﴾؛ أي: ورسول منه. وقال غيره. ومحبة منه. والأظهر الأول أنَّه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٤]. وفي قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، وكما ورد في الحديث الصحيح: «**فأدخل على ربِّي في داره**» أضافها إليه إضافة تشريف لها، وهذا كله من قبيل واحد ونمَط واحد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا كله من باب التشريف والتكريم كما تقدم، وقوله في هذه الشهادة: (من شهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا

عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله)، عبد الله فيه الرد على النصارى، ورسوله رد على اليهود المكذبين، (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) بيان أنه عبد من عباد الله، مخلوق من خلق الله، (وشهد أن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)، يعني: من أتى بهذه الشهادة صادقًا، مات على التوحيد والإيمان فله الجنة، إما من أول وهلة إن سلم من الكبائر، وإلا بعد التطهير والتمحيص؛ فإن النصوص يصدق بعضها بعضًا، ويفسر بعضها بعضًا، ويقيد مقيدها مطلقها، ويقيد خاصها عامها. فأحاديث فضل التوحيد المطلقة مقيدة في الأحاديث التي فيها الشرك، وأن من مات على الشرك دخل النار، وأن من مات على الكبائر فهو تحت المشيئة، وهذا من جنس قوله ﷻ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، كما في القرآن، هكذا في السُّنَّة. فالتفصيل والتقييد يزيل التشابه، والمشتبه يرد إلى المحكم، هكذا قال أهل السُّنَّة والجماعة وأهل الحق، فما أشكل من عام أو مطلق فسِّر بالمقيد والخاص، فما جاء في فضل التوحيد وفضل شهادة أن لا إلٰه إلا الله وما أشبه ذلك مقيد بالنصوص الأخرى التي فيها أداء فرائض الله وترك محارم الله، لا بد من هذا.

فإذا أتى بالتوحيد الخالص الصادق فإن هذا الصدق يحمله على أداء الواجبات وترك المحارم، وإلا كان توحيده ضعيفًا وإيمانه ناقصًا، لكن متى استقام أمر التوحيد وأمر الإيمان وكمل لم يقدم صاحبه على المعاصي ولم يصر عليها؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]. وفي الحديث الصحيح: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر**»، وفي اللفظ الآخر: «**ما لم تُغْشَ الكبائر**»، والصلوات الخمس

التي هي عمود الإسلام، وأعظم الأركان بعد الشهادتين، لو مات عليها وهو مُصِرٌّ على بعض الكبائر صار تحت المشيئة. وهكذا قوله ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فنصَّ ﷻ على أن العباد باجتنابهم الكبائر تكفَّر عنهم السيئات الصغائر، وكل إنسان على خطر من هذه الكبائر، فالواجب الحذر دائمًا، وأن يكون على حذر من جميع السيئات، وكلما أحس بشيء أو علم شيئًا بادر بالتوبة والإقلاع والندم حتى لا يكون مصرًّا.

الأسئلة:

معنى حديث: (فأدخل على ربي في داره):

• **س: الدار عفا الله عنك! في حديث: (فأدخل على ربي في داره)؟**

○ **الجواب:** محله يعني.

إلزام النصراني حين إسلامه بالنطق بأن عيسى عبد الله ورسوله مع الشهادتين

• **س: بارك الله فيك يا شيخ! هنا في الحديث يقول: (وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)، بعض الناس حينما يسلم نصراني يلزمه ويستنطقه بهذا مع الشهادتين أن يقول: (وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)، هل يلزم ذلك النصراني أن يقولها؟**

○ **الجواب:** هذا يبين له حتى لا تبقى العقيدة في قلبه، يبين له ما دل عليه الحديث.

مداخلة: لا، يستنطق بها مع الشهادتين.

الشيخ: حتى يعرف أمر عيسى ويزول ما في قلبه من الغلو، توضيح هذا له مهم؛ لأن هذا من عقيدته، فإذا وضح له أن عيسى عبد الله

ورسوله وكلمته وروح منه، وأنه ليس بإلٰه، وليس بولد لله، وليس ثالث ثلاثة يكون الأمر أوضح.

مداخلة: لكن هل يلزمه النطق بها مثل الشهادتين؟

الشيخ: يلزمه أن يقر بذلك، يلزمه أن يعلم ذلك، ويلزمه أن يقر بذلك، يعتقد هذا، ويقر بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس هو ابن الله، وليس هو الله، وليس هو ثالث ثلاثة، يعني: لا بد يعتقد هذا حتى يزول من قلبه ما كان من عقيدة النصارى، والمعلم إذا علمه يكون من تمام توجيهه إلى الخير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: فصدِّقوا بأن الله واحد أحد، لا صاحبة له ولا ولد، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾؛ أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهذه الآية والتي تأتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [المائدة: ٧٣]. وكما قال في آخر السورة المذكورة: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]، وقال في أولها: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ الآية [المائدة: ٧٢]، فالنصارى ـ عليهم لعنة الله ـ من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد؛ بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلٰهًا، ومنهم من يعتقده شريكًا، ومنهم من يعتقده ولدًا. وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولًا. ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير، وهو سعيد بن بَطْرِيق ـ بَتْرَكُ الإسكندرية ـ في حدود سنة أربعمائة من الهجرة

النبوية، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافًا لا ينضبط ولا ينحصر، فكانوا أزيد من ألفين أَسْقُفًا، فكانوا أحزابًا كثيرة، كل خمسين منهم على مقالة، وعشرون على مقالة، ومائة على مقالة، وسبعون على مقالة، وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى عصابة منهم قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرًا، وقد توافقوا على مقالة، فأخذها الملك ونصرها وأيدها ـ وكان فيلسوفًا ذا هيئة ـ ومَحَقَ ما عداها من الأقوال، وانتظم دَسْتُ أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووضعوا لهم كتبًا وقوانين، وأحدثوا الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويُعَمّدونهم عليها، وأتباع هؤلاء هم الملكية. ثم إنهم اجتمعوا مجمعًا ثانيًا فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجمعًا ثالثًا فحدث فيهم النسطورية. وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم! هل اتحدا، أو ما اتحدا؛ بل امتزجا أو حل فيه؟ على ثلاث مقالات، وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى، ونحن نكفر الثلاثة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾؛ أي: يكن خيرًا لكم ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾؛ أي: تعالى وتقدس عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝١٧١﴾.

أي: الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا الاضطراب يدل على فساد أقوالهم وفساد تصوراتهم، وفساد عقولهم، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووضعوا لهم كتبًا وقوانين، وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها، ويعمدونهم عليها، وأتباع هؤلاء هم الملكانية، ثم إنهم اجتمعوا مجمعًا ثانيًا فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجمعًا ثالثًا فحدث فيهم النسطورية. وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاث في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك، وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا، أو امتزجا، أو حل فيه على ثلاث مقالات، وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى، ونحن نكفر الثلاثة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾؛ أي: يكن خيرًا لكم.

ذِكر سبب اختلاف أهل البدع والضلالات بعضهم على بعض:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

﴿ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] من حاد على الحق، صار إلى الأمر المريج، وصار إلى الاضطراب والاختلاف؛ ولهذا لما حادوا عن الحق والصواب والأمر الواضح مرج أمرهم، وهكذا أصحاب البدع وأصحاب الكلام لما حادوا عن الحق مرج أمرهم اختلفوا، ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، نسأل الله العافية والسلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾؛ أي: يكن خيرًا لكم، ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾؛ أي: تعالى وتقدس

عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾؛ أي: الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيهما عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] الآية، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩] إلى قوله: ﴿فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

الشيخ: بركة، الله المستعان.

لعن المستشرقين والكفرة بعد موتهم بتخصيصهم:

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! من ادعى فعلًا أن من الكفرة من مات على الكفار، هل يجوز أن ألعنه بتخصيصه؟

الشيخ: نعم؟

● **س: عندما يموت أحد المستشرقين الكفرة، هل يجوز لي تخصيصه باللعن؟**

○ **الجواب**: ما ينبغي لا، يقول النبي ﷺ: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»، لا تسبوا الأموات، أما اللعن على العموم: لعن الله الكافرين، لعن الله النصارى، لعن الله اليهود، لعن الله الكفار، لعن الله النصارى لا بأس.

سبب نسبة الجهل إلى النصارى:

مداخلة: يا شيخ نسبة الجهل إلى النصارى... علمائهم.

الشيخ: ماذا يقول؟

مداخلة: يقول: نسبة الجهل إلى النصارى؟

الشيخ: هم أجهل الناس، ولهذا هم مضطربون لا يستقيم لهم أمر، وهل أجهل ممن يقول: إن عيسى المولود من امرأة أنه الله أو ثالث ثلاثة، سبحان الله.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣][(١)].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس قوله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ لن يستكبر.

وقال قتادة: لن يحتشم ﴿ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وقد استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وليس له في ذلك دلالة؛ لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح؛ لأن الاستنكاف هو الامتناع، والملائكة أقدر على ذلك من المسيح؛ فلهذا قال: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل.

وقيل: إنما ذكروا؛ لأنهم اتّخذُوا آلهة مع الله، كما اتخذ المسيح، فأخبر تعالى أنهم عبيد من عبيده وخَلْق من خلقه، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ١٧ ـ ٥ ـ ١٤١٧.

ثم قال: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾؛ أي: فيجمعهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، الذي لا يجور فيه ولا يَحِيف؛ ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، يعني: فيعطيهم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسَعَة رحمته وامتنانه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أما ما يتعلق بتفضيل الملائكة على البشر والبشر على الملائكة، فالذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة، صالح من البشر من بني آدم أفضل؛ لأنهم ابتلوا بالتكاليف والعبادات وأعطوا عقولًا وأعطوا شهوات، فإذا خضعوا لله وخالفوا شهواتهم وأطاعوا الله صاروا أكمل وأفضل عند ربهم من الملائكة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى ابن مَرْدُوَيه من طريق بَقِيَّة، عن إسماعيل بن عبد الله الكندي، عن الأعمش، عن سفيان عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: أجورهم: أدخلهم الجنة». ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: «**الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في دنياهم**».

وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفًا فهو جيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو مدلس، لكن إذا توبع في هذا أو لم يتبين شيء الأصل السماع إلا إذا تبين ما يدل على التدليس وإلا الأصل السماع؛ لأنه ثقة حافظ فالأصل السماع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾؛ أي: امتنعوا من طاعة الله

وعبادته واستكبروا عن ذلك ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين حقيرين ذليلين، كما كانوا ممتنعين مستكبرين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥](١).

يقول تعالى مخاطبًا جميع الناس ومخبرًا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعُذْر، والحجة المزيلة للشبهة؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾؛ أي: ضياء واضحًا على الحق، قال ابن جُرَيج وغيره: وهو القرآن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والنور يعم القرآن والسُّنَّة، فالله جعل لعباده نورًا يهتدون به من كتابه وسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، النور يشمل ما جاءت به السُّنَّة مع ما جاء به القرآن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. فالله جعل وحيه نورًا يهتدي به الناس ويبصرون به مواضع الشبهات ومواضع الشهوات حتى يهتدوا إلى السبيل، والسُّنَّة هي التي تفسِّر القرآن وتبيِّن ما قد يخفى، الله المستعان.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الأحد ١٧ ـ ٥ ـ ١٤١٧هـ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: إيمان بالله صادق وتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مقامين: مقام الإيمان ومقام التوكل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جريج: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن. رواه ابن جرير. ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾؛ أي: يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابًا ومضاعفة ورفعًا في درجاتهم، من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾؛ أي: طريقًا واضحًا قصْدًا قَوامًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف. وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات. وفي حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**القرآن صراطُ اللهِ المستقيمُ وحبلُ الله المتين**». وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير ولله الحمد والمنة.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦][(١)].

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجر الأربعاء ٢٠ ـ ٥ ـ ١٤١٧هـ.

قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء قال: آخر سورة نزلت: «براءة»، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: دخل عَلَيّ رسول الله ﷺ، وأنا مريض لا أَعْقِل، قال: فتوضأ، ثم صَبَّ عَلَيّ - أو قال صبوا عليه - فَعَقَلْتُ فَقُلت: إنه لا يرثني إلا كلالة، فكيف الميراث؟ قال: فنزلت آية الفرائض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الشيخ: يعني صبوا عليه من وضوئه عليه الصلاة والسلام، صب عليه من الوضوء فانتعش وانتبه وسأل.....

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة(١)، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عُيَيْنة، عن محمد بن المُنْكَدر، عن جابر، به. وفي بعض الألفاظ: فنزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الآية تتعلق بالمواريث الحواشي، الإخوة ومن دونهم، والآية اللي في أولها تتعلق بالذرية والأصول، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] هي مواريث الأولاد والأصول، وميراث الإخوة لأم في آخرها. وأما آية يستفتونك آخر السورة فكلها في الإخوة نعم؛ ولهذا (كان عمر رضي الله عنه إذا سأل عن الكلالة قال له الرسول ﷺ: يكفيك آية الصيف)، وهي آية يستفتونك، فإن الله أوضح فيها أن الكلالة من

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب صب النبي ﷺ برقم (١٩٤)، ومسلم في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة برقم (١٦١٦).

ليس له ولد ولا والد، ليس له والد ذكر لا أب ولا جد، وليس له الذرية هذه الكلالة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان، وقال ابن الزبير قال ـ يعني جابرًا ـ: نزلت في: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.

وكأن معنى الكلام ـ والله أعلم ـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: عن الكلالة قل: الله يفتيكم فيها، فدل المذكور على المتروك.

وقد تقدم الكلام على الكلالة واشتقاقها، وأنها مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه؛ ولهذا فسرها أكثر العلماء: بمن يموت وليس له ولد ولا والد، ومن الناس من يقول: الكلالة من لا ولد له، كما دلت عليه هذه الآية: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [أي مات] ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

وقد أُشْكِل حُكْم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: ثلاث وَدِدْتُ أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهدًا ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنه يعرف الوالد من السياق، ليس له ولد يعني ولا والد؛ لأن وجود الوالد وهو الأب والجد يمنع من كونها تعطى النصف والأختان الثلثين بإجماع المسلمين، بالإجماع إذا وجد أب ما فيه نصف ولا يسقطون، الإخوة تسقط بالإجماع يعني إذا وجد الأب، فدل ذلك على أن نبه بوجود الولد على عدم وجود الوالد أيضًا؛ ولهذا أجمع العلماء على أن الكلالة من ليس له ولد لا ذكر ولا أنثى ولا والد ذكر وهو الأب والجد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن

قَتَادة، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن مَعْدان بن أبي طلحة قال: قال عمر بن الخطاب: ما سألتُ رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأُصْبُعِه في صدري وقال: «**يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء**».

هكذا رواه مختصرًا وقد أخرجه مسلم مطولًا أكثر من هذا طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا مالك ـ يعني ابن مِغْل ـ سمعت الفضل بن عمرو، عن إبراهيم، عن عمر قال: سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة، فقال: «يكفيك آية الصيف». فقال: لأن أكون سألت النبي ﷺ عنها أحبَّ إليّ من أن يكونَ لي حُمْر النَّعم. وهذا إسناد جيد إلا أن فيه انقطاعًا بين إبراهيم وبين عُمَر، فإنه لم يدركه.

توجيه قول البراء في آية الكلالة: (أنها آخر آية نزلت):

• **س: أحسن الله إليك! قول البراء أنها آخر آية نزلت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

قد يكون هذا في اجتهاده أو في علمه رضي الله عنه، . . . قول ابن عباس قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] آخر الآية، حسب علمه والمعلومات التي وصلت إليه. الأقرب أن آخر الآية قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، هذه الأقرب أنها آخر آية؛ لأنها فيها بيان إكمال الدين، ونزلت يوم الجمعة في عرفة، قبل وفاة النبي ﷺ بنحو ثلاثة أشهر، اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

ما نزل من القرآن بعد حجة الوداع:

• **س: ما نزل عليه يا شيخ! بعد عودته المدينة ولا شيء من الآيات؟**

○ **الجواب**: الله أعلم، ظاهر الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

[المائدة: ٣]، لكن يمكن أن يكون نزل شيء في العظة والتذكير لا في الأحكام، الأحكام كملت، فإذا ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، كما قال ابن عباس أنها آخر آية هذه في التذكير والوعظ، أما آية الكلالة فهي في الأحكام، والأقرب أنها نزلت قبل ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر، عن أبي إسحاق، عن البَراءِ بن عازبٍ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الكلالة، فقال: «**يكفيك آية الصيف**». وهذا إسناد جيد، رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي بكر بن عيَّاش، به. وكأن المراد بآية الصيف: أنها نزلت في فصل الصيف، والله أعلم.

ولما أرشده النبي ﷺ إلى تفهمها ـ فإن فيها كفاية ـ نسي أن يسأل النبي ﷺ عن معناها؛ ولهذا قال: فلأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب إليّ من أن يكون لي حُمْر النَّعَم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا جرير عن الشيباني، عن عمرو بن مُرة، عن سعيد بن المسيَّب قال: سأل عمر بن الخطاب النبي ﷺ عن الكلالة، فقال: «**أليس قد بيَّن الله ذلك؟**» **فنزلت**: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ الآية. وقال قتادة: ذُكر لنا أن أبا بكر الصديق [رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ] قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزلت في أول «سورة النساء» في شأن الفرائض، أنزلها الله في الولد والوالد. والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم. والآية التي ختم بها «سورة النساء» أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها «سورة الأنفال» أنزلها في أولي الأرحام، بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، مما جَرّت الرحم من العَصَبة. رواه ابن جرير ذكر الكلام على معناها وبالله المستعان، وعليه التكلان.

قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾؛ أي: مات، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ

شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨] كل شيء يفنى ولا يبقى إلا الله، ﷻ، كما قال: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وقوله: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ تمسَّك به من ذهب إلى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد؛ بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد، وهو رواية عن عمر بن الخطاب، رواها ابن جرير عنه بإسناد صحيح إليه. ولكن الذي رجع إليه هو قول الجمهور وقضاء الصِّدِّيق: أنه مَنْ لا ولد له ولا والد، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾ ولو كان معها أب لم ترث شيئًا؛ لأنه يحجبها بالإجماع، فدل على أنه من لا ولد له بنص القرآن، ولا والد بالنص عند التأمل أيضًا؛ لأن الأخت لا يفرض لها النصف مع الوالد؛ بل ليس لها ميراث بالكلية.

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا أبو بكر بن عبد الله، عن مَكْحُول وعطية وحمزة وراشد، عن زيد بن ثابت: أنه سئلَ عن زوج وأخت لأب وأم، فأعطى الزوجَ النصفَ والأخت النصفَ. فكُلِّم في ذلك، فقال: حضرتُ رسولَ الله ﷺ قضى بذلك.

تفرد به أحمد من هذا الوجه، وقد نقل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان في الميت ترك بنتًا وأختًا: إنه لا شيء للأخت لقوله: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾ قال: فإذا ترك بنتًا فقد ترك ولدًا، فلا شيء للأخت، وخالفهما الجمهور، فقالوا في هذه المسألة: للبنت النصف بالفرض، وللأخت النصف الآخر بالتعصيب، بدليل غير هذه الآية وهذه نَصب أن يفرض لها في هذه الصورة، وأما وراثتها بالتعصيب؛ فلما رواه البخاري من طريق سليمان، عن إبراهيم، عن الأسود، قال: قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ: النصف للابنة، والنصف للأخت. ثم قال سليمان: قضى فينا ولم يذكر: على عهد رسول الله ﷺ. وفي صحيح البخاري

أيضًا عن هُزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة وابنة ابن وأخت، فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وأت ابن مسعود فسيتابعني. فسئل ابنُ مسعود ـ وأخبر بقول أبي موسى ـ فقال: لقد ضَلَلْتُ إذًا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ للابنة النصف، ولابنة الابن السدس، تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم.

وقوله: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾؛ أي: والأخ يرث جميع ما لها إذا ماتت كلالة، وليس لها ولد؛ أي: ولا والد؛ لأنه لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئًا، فإن فرض أن معه من له فرض، صرف إليه فرضه؛ كزوج، أو أخ من أم، وصرف الباقي إلى الأخ؛ لما ثبت في الصحيحين، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلْحِقُوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فَلأَوْلَى رجلٍ ذَكَر**».

وقوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾؛ أي: فإن كان لمن يموت كلالة، أختان، فرض لهما الثلثان، وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما، ومن هاهنا أخذ الجماعة حكم البنتين كما استفيد حكم الأخوات من البنات، في قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾.

وقوله: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ﴾. هذا حكم العصبات من البنين وبني البنين والإخوة إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم، أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا بالإجماع، تقدم الأولاد في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء: ١١] هذا في الأولاد، وفي الإخوة هذه الصورة: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ يعني: إخوة أشقاء أو إخوة لأب، ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ﴾. أما الإخوة لأم تقدم حكمهم

في أول السورة، في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾، يعني: من أم، ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢]، الإخوة من الأم لهم فرض ما لهم عصب، الواحد له السدس، والجماعة لهم الثلث وإن كثروا بشرط الكلالة، وهي: ألا يكون له ولد ولا والد، لا ابن ولا بنت، ولا ابن ابن، ولا بنت ابن، ولا أب ولا جد، فإذا فقد الستة ورث الإخوة لأم، وإن وجد واحد من الستة ابن أو بنت أو ابن ابن أو بنت ابن أو أب أو جد حجبوا.

حجب الأخت للعم:

● **س: أحسن الله إليك! إذا كانت الأخت عصبة مع البنت هل تقوم مقام أخيها في حجب العم؟**

○ **الجواب**: نعم، تقوم مقام أخيها، الشقيقة تقوم مقام أخيها وتمنع الأخ لأب، والشقيقة والتي لأب تمنع الأعمام وبنيهم وبني الإخوة بمثابة الأخ.

مداخلة: هذه عفا الله عنك إجماع أو..؟

الشيخ: محل إجماع هذي؛ والأم محل خلاف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: يفرض لكم فرائضه، ويحدّ لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه.

وقوله: ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾؛ أي: لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾؛ أي: هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى.

وقد قال أبو جعفر ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن عُلَيَّة، أنبأنا ابن عَوْن، عن محمد بن سيرين قال: كانوا في مسير، ورأس

راحلة حذيفة عند رِدْف راحلة رسول الله ﷺ، ورأس راحلة عمر عند ردف راحلة حذيفة. قال: ونزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ﴾ فلقَّاها رسولُ الله ﷺ حذيفة، فلقاها حذيفة عُمَر، فلما كان بعد ذلك سأل عُمَرُ عنها حذيفة فقال: والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقَّانيها رسول الله ﷺ فلقَّيتكها كما لقانيها، والله لا أزيدك عليها شيئًا أبدًا. قال: فكان عمر رضي الله عنه يقول: اللَّهُمَّ إن كنت بينتها له فإنها لم تُبين لي.

الحكم على حديث (كانوا في مسير ورأس راحلة حذيفة ردف راحلة رسول الله):

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هذا ضعيف منقطع؛ لأن ابن سيرين ما أدرك حذيفة ولا أدرك عمر كلاهما، ومتنه فيه نكارة من جهة كون حذيفة قدام عمر مع النبي ﷺ، وكون حذيفة يقول: . . . . . لأحمق، هذا من نكارة هذه الرواية والذي حدَّث بها ابن سيرين إما كذاب وإما ضعيف الحفظ لا يضبط. المقصود أنه منقطع ضعيف، نعم، ماذا قال: (كانوا في مسير).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

كانوا في مسير ورأس راحلة حذيفة رضي الله عنه عند ردف راحلة رسول الله ﷺ، ورأس راحلة عمر رضي الله عنه عند ردف راحلة حذيفة رضي الله عنه، قال ونزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ﴾، فلقاها رسول الله ﷺ حذيفة، فلقاها حذيفة عمر رضي الله عنه، فلما كان بعد ذلك سأل عمر عنها حذيفة رضي الله عنه فقال: والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقانيها رسول الله ﷺ، فلقَّيتكها كما لقانيها رسول الله ﷺ، والله لا أزيدك عليها شيئًا أبدًا، قال: فكان عمر رضي الله عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

أقول حتى المتن فيه نوع من النظر، إن كنت تظن، هو لقاه إياها

ولقَّاها عمر تلاها على حذيفة وتلاها حذيفة على عمر. أي المقصود أنها ضعيفة السند ليس بجيد ضعيفة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كذا رواه ابن جرير. ورواه أيضًا عن الحسن بن يحيى، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أيوب، عن ابن سيرين كذلك بنحوه. وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة، وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزَّار في مسنده: حدثنا يوسف بن حماد المَعْنيُّ، ومحمد بن مرزوق قالا: أخبرنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، حدثنا هشام بن حسَّان، عن محمد بن سيرين، عن أبي عبيدة بن حذيفة، عن أبيه: «نزلت الكلالة على النبي ﷺ وهو في مسير له، فوقف النبي ﷺ وإذا هو بحذيفة، وإذا رأس ناقة حذيفة عند مُؤتَزَر النبي ﷺ، فلقَّاها إياه، فنظر حذيفة فإذا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلقاها إياه، فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة، فدعا حذيفة فسأله عنها، فقال حذيفة: لقد لقَّانيها رسول الله ﷺ فَلَقَّيتُك كما لقاني، والله إني لصادق، ووالله لا أزيد على ذلك شيئًا أبدًا.

ثم قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه إلا حذيفة، ولا نعلم له طريقًا عن حذيفة إلا هذا الطريق، ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى[(١)]. وكذا رواه ابن مَردُوَيه من حديث عبد الأعلى[(٢)].

وقال عثمان بن أبي شَيْبَة: حدثنا جرير، عن الشَّيباني، عن

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار برقم (٢٢٠٦). وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي عبيدة بن حذيفة وثقه ابن حبان المجمع (٧/ ١٣). ولا يكفي توثيق ابن حبان في هذه الحالة، وقال الحافظ ابن حجر: مقبول، التقريب (ص٦٥٦) وهذه الرواية ليست فيها النكارة المذكورة سابقًا «حكمت بتصرف».

(٢) حكمه كسابقه.

عمرو بن مُرّة، عن سعيد ـ [هو] ابن المسيَّب ـ أن عمر سأل رسول الله ﷺ كيف يُوَرّث الكلالة؟ قال: فأنزل الله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية، قال: فكأن عمر لم يفهم. فقال لحفصة: إذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نَفْس فسليه عنها، فرأت منه طيب نفس فسألته عنها، فقال: «**أبوك ذكر لك هذا؟ ما أرى أباك يعلمها**». قال: وكان عمر يقول: ما أراني أعلمها، وقد قال رسول الله ﷺ ما قال[1]. رواه ابن مَرْدُوَيه، ثم رواه من طريق ابن عيينة، عن عمرو، عن طاوس: أن عمر أمر حَفْصَة أن تسأل النبي ﷺ عن الكلالة، فأملاها عليها في كَتفٍ، فقال: «**من أمرك بهذا؟ أعمر؟ ما أراه يقيمها، أوما تكفيه آية الصيف؟**» قال سفيان: وآية الصيف التي في النساء: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾، فلما سألوا رسولَ الله ﷺ نزلت الآية التي هي خاتمة النساء، فألقى عمر الكتف. كذا قال في هذا الحديث، وهو مرسل[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لأنه يعرف الوالد من السياق، ليس له ولد يعني ولا والد؛ لأن وجود الوالد وهو الأب والجد يمنع من كونها تعطى النصف والأختان الثلثين بإجماع المسلمين، بالإجماع إذا وجد أب ما فيه نصف ولا يسقطون، الإخوة تسقط بالإجماع يعني إذا وجد الأب، فدل ذلك على أن نبه بوجود الولد على عدم وجود الوالد أيضًا؛ ولهذا أجمع العلماء على أن الكلالة من ليس له ولد لا ذكر ولا أنثى ولا والد ذكر وهو الأب والجد.

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه عن جرير كما في المطالب العالية المسندة (٢/ ١٤٥ ح١٥٥١) وفي مسنده سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر.

(٢) طاوس لم يدرك عمر فالإسناد منقطع.

الأسئلة:

السبب في استشكال عمر للكلالة:

- **س: قول عمر بارك الله فيك!**

○ **الجواب:** رضي الله عنه عمر

قول عمر رضي الله عنه واضح، لكن الفاضل قد يشكل عليه شيء، الفاضل، العالم الفاضل قد يشكل عليه بعض المسائل وهي واضحة، وهذا دليل على أن الإنسان مهما بلغ من العلم قد يخفى عليه بعض الأشياء، وإلا فالنص واضح، الجد واضح فيه والنبي وضَّح أبواب الربا ووضحها عليه الصلاة والسلام، والكلالة وضَّحها آخر السورة.

المراد من قول ابن كثير (إسناد جيد):

- **س: أحسن الله إليك! إسناد جيد دون الحسن؟**

○ **الجواب:** لا، الجيد عام يعم الصحيح والحسن، أقول: السند جيد عبارة تعم الجميع.

المراد بالكلالة:

- **س: الوالد سلَّمك الله يعم الأم والأب والَّا فقط الوالد الذكور؟**

○ **الجواب:** لا، الذكر، الأم ما تحجب الإخوة، الأم يرث معها الأخوات.

دخول الجد في آية الكلالة:

مداخلة: ما يكون قصدهم أنه قال: الأب والجد يعني.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هنا ما يكون قصدهم الجد؟

الشيخ: والجد فيه خلاف، لكن الأب محل إجماع نعم، والجد الذي يرثونه ما يعطونها معه نصف يجعلونها معه عاصبة كالأخت مع الأخ.

حجب الجد وإن علا للإخوة:

● **س: أحسن الله إليك! الجد وإن علا فيه الخلاف؟**

○ **الجواب**: نعم فيه الخلاف، والصواب أنه كالأب يحجبهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أبو بكر هذا، الظاهر هو ابن أبي مريم وهو ضعيف، وفي سماعه من زيد كذلك نظر، والحق مثلما قال، لكن تعول تكون عائلة للزوج النصف والأخت النصف والأم الثلث، وتعول إلى ثمانية؛ بسبب تزاحم الفروض، تقسم من ستة وتعول إلى ثمانية، للزوج النصف ثلاثة، والأخت التي لأب النصف ثلاثة، والأم لها الثلث اثنان، ثلث المال وهو الحقيقة ربع؛ لأنه ليس هناك إخوة يمنعونها من السدس، الواحدة ما تمنعها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرِيْبٍ، حدثنا عَثَّام، عن الأعمش، عن قيس بن مُسْلِم، عن طارق بن شهاب قال: «أخذ عمر كَتفًا وجمع أصحاب النبي ﷺ، ثم قال: لأقضينَّ في الكلالة قضاء تحدث به النساء في خدورهن. فخرجت حينئذ حَيّة من البيت، فتفرقوا، فقال: لو أراد الله عَزَّ وَجَلَّ، أن يتم هذا الأمر لأتمه»[1]. وهذا إسناد صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه الأعمش العنعنة، في عنعنة الأعمش؛ لكن الأصل السلامة من التدليس، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أشكلت عليه الكلالة كثيرًا، وسأل عنها كثيرًا، وقال له النبي ﷺ: «**تكفيك آية الصيف**» يعني: الآية التي في سورة النساء، آخر سورة النساء، والأمر فيه يعني إشكاله على عمر أمر غريب يعني لأن أمرها واضح، ولكن وقع في نفسه شيء أشكل عليه.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

وهي لمن تأمل ليس فيها إشكال، فهي من لا ولد له ولا والد ذكر هذي الكلالة، يعني: تكلل بالحواشي ما فيه فرع ولا أصل من الذكور، حكمها أن الأخت تعطى النصف إذا كانت شقيقة أو لأب، والباقي للعصبة، وإن كانت هنا ابنتين لهما الثلثان كما بينه الله، وإن كانوا إخوة لأم سبق في أول السورة أحكامهم، فالأمر في هذا واضح جدًّا. ولهذا أجمع أهل العلم على أن الميت إذا مات عن غير ولد وعن غير أب أن الأخوات يرثن، والإخوة يرثوا، وإذا مات عن ولد ذكر أو عن أب سقط الإخوة جميعًا بإجماع المسلمين، إنما الخلاف في الجد فقط، هل يسقط به الإخوة الأشقاء والإخوة لأب أم لا؟ سبق هذا غير مرة في أول السورة أيضًا، والأمر الذي عليه الفتوى وهو الحق والصواب أن الجد كالأب يحجب الإخوة، وأن المسألة كلالة في وقته، لعل مسألة الجد هي سبب الإشكال.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحاكم أبو عبد الله النَّيْسَابُورِي: حدثنا علي بن محمد بن عقبة الشَّيْبَاني بالكوفة، حدثنا الهيثمُ بن خالد، حدثنا أبو نُعَيْم، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانَة يحدث عن عمر بن الخطاب قال: لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحبُّ إليّ من حُمْر النَّعَم: مَن الخليفة بعده؟ وعن قوم قالوا: نُقرُّ في الزكاة من أموالنا ولا نؤديها إليك، أيحل قتالهم؟ وعن الكلالة. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه[1]. ثم روي بهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن مُرَّة، عن مُرة، عن عمر قال: ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بَيَّنَهُنّ لنا أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها: الخلافة، والكلالة، والربا. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

---

(١) أخرجه الحاكم بسنده ومتنه وتعليقه وتعقبه الذهبي بقوله: بل ما خرجا لمحمد شيئًا ولا أدرك عمر، المستدرك (٢/ ٣٠٣).

وبهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة قال: سمعتُ سليمان الأحولَ يحدث، عن طاوس قال: سمعت ابن عباس قال: كنتُ آخر الناس عهدًا بعمر، فسمعته يقول: القولُ ما قلتُ: قلتُ: وما قلتَ؟ قال: قلتُ: الكلالة، من لا ولد له. ثم قال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه[1].

وهكذا رواه ابن مَرْدُوَيه من طريق زَمْعة بن صالح، عن عمرو بن دينار وسليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كنتُ آخر الناس عهدًا بعمر بن الخطاب، قال: اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة، والقولُ ما قلتُ. قال: وذكر أن عمر شرك بين الإخوة للأب وللأم، وبين الإخوة للأم في الثلث إذا اجتمعوا، وخالفه أبو بكر رضي الله عنهما[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أما الخلافة فقد أوضحها ﷺ في أحاديث كثيرة ما يدل على أن الخليفة هو الصديق؛ ولهذا أجمع عليه الصحابة، وبايعوه رضي الله عنه، ومن أعظم الأدلة أنه جعله الخليفة بعده في الصلاة، كان يصلي بالناس مدة مرضه عليه الصلاة والسلام، دل ذلك على أنه أحق الناس بالإمامة كما أنه أحق الناس بالصلاة عليه أفضل الصلاة، ولسابقته العظيمة، وعلمه العظيم، وجهاده العظيم رضي الله عنه وأرضاه. والزكاة شرح الله صدر أبي بكر فقاتل مانعيها، فتابعه عمر والصحابة على ذلك، وقاتلوهم حتى دخلوا في دين الله، وقاتلوا أصحاب مسيلمة أيضًا. أما الكلالة فقد أشكلت عليه ولكنها أوضحها النبي ﷺ له ولغيره، كما أوضحها القرآن الكريم. وفي رواية: [وأبواب من أبواب الربا] أيضًا أشكلت عليه.

---

(١) أخرجه الحاكم الروايتين وصححهما ووافقه الذهبي في كلتيهما، المستدرك (٢/ ٣٠٤).

(٢) في سنده زمعة بن صالح: ضعيف التقريب (ص٢١٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا محمد بن حُمَيْد الْمَعْمَرِي[١]، عن مَعْمَر عن الزُّهْرِي، عن سعيد بن المسيَّب: أن عمر كتب في الجَدِّ والكلالةِ كتابًا، فمكث يستخير الله فيه يقول: اللَّهُمَّ إن علمت فيه خيرًا فأمضه، حتى إذا طَعِن دعا بكتاب فمحى، ولم يدرِ أحدٌ ما كتب فيه. فقال: إني كنت كتبت في الجَدِّ والكلالة كتابًا، وكنت استخرت الله فيه، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه المسألة قضى فيها عمر قضائين: القضاء الأول بإسقاطهما، إسقاط الإخوة الأشقاء في مسألة المشركة، والقضاء الثاني أنه شرَّك بينهم وبين الإخوة لأم. والصواب أنهم يسقطون في المشركة وهي الحمارية: زوج وأم أو جدة وإخوة لأم وإخوة أشقاء يسقطون؛ لأن الزوج إذا أخذ النصف، والأم أو الجدة لها السدس والإخوة لأم أخذوا الثلث ما بقي شيء، وقال عليه الصلاة والسلام: (**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر**)، ولم يبق شيء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن جرير: وقد رُوِي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: إني لأستحي أن أخالف فيه أبا بكر. وكأن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: هو ما عدا الولد والوالد[٣]، وهذا الذي قاله الصدِّيق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة، في قديم الزمان وحديثه، وهو مذهب الأئمة الأربعة، والفقهاء السبعة. وقول علماء الأمصار قاطبة، وهو الذي يدل عليه القرآن، كما

(١) اختلف في سماعه من عمر، والراجح أنه سمع منه قليلًا.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وفي سنده سعيد بن المسيب اختلف في سماعه من عمر، والراجح أنه سمع منه قليلًا.

(٣) تقدم تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ [النساء: ١٢].

أرشد الله أنه قد بين ذلك ووضحه في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأمر كما قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن الأمر واضح، وهو الذي عليه عامة المسلمين، والأئمة الأربعة وغيرهم، أن الكلالة من لا ولد له ولا والد ذكر وقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ يدل على أن هذا بيان واضح كافي، والله أكبر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ [النساء: ١٧٦][1].

والكلالة: من لم يرثه أبٌ، أو ابنٌ وهو مصدرٌ من تكلّله النّسب.

حدّثنا سليمان بن حربٍ، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمعت البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «آخر سورةٍ نزلت براءة، وآخر آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه هي الكلالة عند أهل العلم، من ليس له ولدٌ ولا والدٌ ذكرٌ، مثل ما قال ﷺ لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما سأل عن الكلالة قال: «**تكفيك آية الصيف**» ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ﴾ ثم فسّرها فقال: ﴿إِنِ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث البراء. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾... إلخ برقم (٤٦٠٥)، ومسلم في كتاب الفرائض، باب آخر آية نزلت آية الكلالة برقم (١٦١٨).

﴿ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾؛ يعني: ولا والدٌ ذكرٌ ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾.

فإنّ الأخت ما ترث مع الأب بإجماع المسلمين؛ فدلّ على أنّ ﴿لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ﴾؛ يعني: ولا والد؛ فالكلالة من ليس له ولدٌ ولا والدٌ ذكرٌ، لا أبٌ ولا جدٌّ، هذه هي الكلالة، أن يكون فيها إخوةٌ، يكون فيها أعمامٌ، أو ما أشبه ذلك.

- **س: الأخت مع الجد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تسقط على الصّحيح لكون الجد والدًا.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ [النساء: ١٧٦].

وفي تفسير الجلالين مكتوب: ألا تضلوا والله بكل شيء عليم[1].

هذه الآية في المواريث في الإخوة، قال الله ﷻ: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾؛ يعني: كراهة أن تضلوا كما قال جماعة من المفسرين، مفعول لأجله محذوف، وقال بعض المفسرين: لئلا تضلوا، وبعضهم قال: أن لا تضلوا.

المقصود: أن البيان لأجل أن لا يضلوا، يبيِّن الله لهم هذه الأشياء حتى لا يضلوا عن الصواب، وحتى لا يقعوا في الباطل، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾؛ يعني: لئلا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا، هذا المعنى.

❐ ❐ ❐

(١) من برنامج نور على الدرب، الحلقة رقم (٧٠/ ٣).

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
ـ مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى	٣١٠
ـ مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ	١٤
ـ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا	٢٧٣
ـ من يتصدق على هذا	٢٠٤
ـ مَهْلًا يَا قَوْمُ بِهَذَا أُهْلِكَتِ الأُمَمُ	٥٨
ـ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ	٤٩
ـ هل تسمع النداء بالصلاة	٢٠١
ـ هي آخر ما نزل	١١٨
ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا	٣٣٢
ـ والذي نفسي بيده لقد هممت	٣٤٣
ـ والذي نفسي بيده لا تدخلوا	٨٣
ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ	٣٩٨
ـ والله في عون العبد	٨٦
ـ ولا شخص أحب إليه	٧٠
ـ ولم أسمع يرخص في	٣١٥
ـ ولقد رأيتنا وما	٣٥٢
ـ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ	٢٥٦
ـ يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا	٦٦
ـ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ	٣٩٣
ـ يا عائشة إن عيني تنامان	١٦
ـ يا عائشة هذه مبايعة الله	٢٧٩
ـ يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الْمَسِيحَ	٤١٨
ـ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الْخِنْزِير	٣٩٩

❒ ❒ ❒

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

❐ ❐ ❐